نزهة الأنام في محاسن الشام

تأليف

أبي البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري الدمشقي

من علماء القرن التاسع (ولد سنة ٨٤٧)

صاحب الديوان المشهور، وتاريخ «تبصرة اولى الابصار» و«سحر العيون»

وكم بالشام من شرف وفضل — ومرتقب لدى بر وبحر
بلاد بارك الرحمن فيها — فقدسها على علم وخبر
بها غرر القبائل من معد — وقحطان ومن سروات فهر
اناس يكرمون الجار حتى — يجير عليهم من كل وتر

أحمد بن محمد بن المدبر الكاتب

طبع على نفقة

المكتبة العربية - ببغداد

لصاحبها: نعمان الاعظمي

وحقوق الطبع محفوظة له

المطبعة السلفية - بمصر

لصاحبيها: محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

القاهرة: ١٣٤١

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ☆ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أما بعد فان من الكتب اللطيفة التي عثرنا عليها بين مخطوطات بغداد دار السلام هذا الكتاب المسمى :

نزهة الأنام ، في محاسن الشام

وقد وجدناه من الكتب الجامعة بين لذة الادب من منثوره الى منظومه ، وبين ملح التاريخ من خصوصه الى عمومه. وفضلاً عما فيه من لذة وفائدة فانه يصلح أن يكون نموذجاً صحيحاً لروح الأدب في القرن التاسع الهجري

ولما كانت غوطة دمشق — التي استوحى منها المؤلف موضوع كتابه — من أبدع مجالي الجمال الطبيعي فى العالم ، بل ربما كانت البقعة المتمردة بجمالها في عصر المؤلف ؛ فان ما انطوى عليه هذا الكتاب من الكلام عليها ، ووصف الشعراء والادباء لأزهارها وأثمارها ، والاشارة الى ضواحيها ونواحيها ؛ لمما يشوق الاديب الاطلاع عليه

ان المدينة التي اختصها البدري بكتابه هذا هي اقدم مدينة ثبت عمرانها على وجه الدهر ، ونقل ياقوت في معجم البلدان قول ابي بكر الخوارزمي : جنان الدنيا أربعة ، غوطة دمشق ، وصغد سمرقند، وشعب بوّان ، وجزيرة الابلة . قال : وقد رأيتها كلها ، وأفضلها دمشق

قال ياقوت : وجملة الأمر انه لم توصف الجنة بشيء إلا وفي دمشق مثله . ومن المحال ان يطلب بها شيء من جليل اعراض الدنيا ودقيقها الا وهو فيها اوجد من جميع البلاد

ولاحظنا عند العزم على طبع الكتاب أن في النسخة البغدادية نقصاً فسعينا لاستكمالها من النسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية (رقم ٤٩٤ من كتب التاريخ) وعليهما اعتمدنا في نشره طالبين من الله تعالى العون والتوفيق

بغداد　　　　نعمان الاعظمي

صاحب المكتبة العربية



بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

الحمد لله الذي جعل الشام في وجه الارض شامة خضراء وزان عاطله بحالي عيون تروي قلب الصادي وتشرح له صدرا . وأجرى ماءها الفضي على ثراء كالذهب ، وحلى به حصباء در لم يكن فيه مشاب . وأدار من الماء خلاخيل على سوق أصول الاشجار ، وقلد أجياد فروعها بيواقيت أثمار توجت رءوسها بأكاليل جواهر الازهار . وأرسل كف النسيم بمشط المطر فسرح فروع رءوس عرائس الغصون ، وجملها بحلل ذات اكمام من سندس أخضر ومعصفر صبغة صنعة من هم له ساجدون

أحمده حمداً كثيراً حيث صبح اللوز بامره على بعضهن عاقد ، وبعضهن أثقلها الحمل من الجوز فامست بارادته بعد قيامها تتقاعد . وبعضهن من باسقات النخيل من طرحت بقدرته ثمرة الفؤاد . واجرى لطفه في بعضهن حيث ارتخت نهودها كالرمان هائمة بحضنهن في كل واد

وأشكره شكراً مزيداً مذ عطف الظلال على طفل أمهات السفرجل فيرضعه وهو يشرب ، وأسبل ستره على من رفعت كفوفها كورق الكرمة لما امتدت وعليها العنب زبب . ومنهن من عمها بالحيا فاحمر خدها كالتفاح . ومنهن من نكست رأسها من الهيبة كالكمثرى فاكسبها عرفا طوت شقق نشره أيدي الرياح

سبحانه أوجد بها اجناساذات انواع تسقى بماءواحد . وجاد لعاليها من انواء السحاب وشعاع النيرين بصلةوعائد . فجعل قطوفها دانية لأحبائه ، وقدّس أرضها اذ هي مرتع ومربع لأصفيائه . وحباها لسكنى الانبياء ، واختارها موطنا لعباده الاولياء

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبد تقي يرجو بها في غد التفكه في رياض الجنان مع مزيد الانعام ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى اخترق السبع الطباق بنور أضاءت منه قصور بصرى من أرض الشام . ذوالشرف الاعلى السني الجبهة الواضح الجبين. الذي أنزل عليه « وآوناهما الى ربوة ذات قرار ومَعين »

اللهم فصل وسلم عليه ما دامت الشام عامرة بحديثه الشريف الماحي لصور الكفر الواهية . وعلى آله وأصحابه الذين تعاونوا على البر والتقوى في فتحها فمنهم من أخذ شطرها الشرقي عنوة ومنهم من اخذ الشطر الغربي صلحاً من باب الجابية.

وبعد فقد سألتني أيها الاخ الامجد ، والحبيب الاسعد . العاشق في محاسن الشام على السماع ، والمتشوّق المتتوّق الى بديع مرآها المشنف ذكره للاسماع . أن اعلمك بخبرها لعدم العيان ، وان اقربها اليك بوصف يلذه قلب الهائم الولهان . وهل أنا إلاّ قسيمك في الشوق والهيام ، وحليفك

في الحب والغرام

وليس بتزويق اللسان وصوغه
ولكنه ما خالط اللحم والدما

غير اني رُميت منها بعد الوصل بقطيعة صدها ، كأني اذنبت في حالة القرب فادَّبتني بهجرها وبعدها

عشنا زماناً وليس الوصل يقنعنا
واليوم أدنى خيال منك يرضينا

أي والله

وما قلت ايه بعدها لمحدث
من الناس الا قال قلبي آها

كيف لا وهو

بلد صحبت به الشبيبة والصبا
ولبست ثوب العز وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رأيته
وعليه أغصان الشباب تميد

أستغفر الله هي مسقط راسي ، ومجمع أهلي وناسي .

وملعب خلانى واخواني

سقا الله شاماً كان فيها اجتماعنا
بأحبابنا النائين مغدودقا سكبا

وروى ثراها من دموعي مسبل
كبحر فاني أستقل لها السحبا

منازل أحبابي ومربع جيرتى
وأوطان اخواني ومن كان لي تِربا

لعمري لئن شط المزار وأصبحت
منازلهم شرقاً ومنزلنا غربا

فاني على بُعد الديار وقربها
أُسِرُّ لهم حباً وأبدي لهم حبا

يهيج أشواقي من البرق لامع
ويبعث اشجاني النسيم اذا هبّا

ويذكرني ليلات وصل تصرّمت
حمام النوى نوحا فاسعده ندبا

ليالي اعطيت البطالة حقها
ورحت بما يقضيه حكم الصبى صبّا
اعاطي الهوى الصحب الكرام و بيننا
أحاديث آداب أرقّ من الصهبا
عسى ما مضى من شملنا أن نعيده
ونصبح في أفق ونمسي به شهبا

كيف اخفي ذلك ، وقد سبق في علم الله ما كان حمداً وشكراً على حب الوطن ، فانه من الايمان

وما عن رضى كانت سليمى بديلة
بليلى ، ولكن للضرورات أحكام

نعم

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة
ولكن تفيض العين عند امتلائها

فأجبتك أيها السائل اذ هيجت عندي من الدموع بحار الاشتياق . وواسيتك أيها العاشق اذ أتيتك بخبر المعشوق ولعل الخبر يكون وصله في التلاق ، وقد فصلته

لك في هذه الاوراق . وهو من جملة ما عندي ، وقدمت لحضرتك السامية ثروة ما ملكه اللسان من جواهر حفظها القلب في صندوق الصدر وأوردتها بخط يدي . وما هي الا صبابة من صب ، وقطرة من جفن نازح حب

وما تناهيت في بثي محاسنها

الا وأكثر مما قلت ما أدع

لعلمي أن محاسن (دمشق) كثيرة لا تستقصى ، وأوصاف صفاتها تتضاعف أعدادها ولا تحصى . قصرت عن استيفائها أرباب التواريخ المطولة الحسنة ، وحفيت سوابق خيول أقلامهم في ميادين الطروس أن يدركوا حصر بعضها في مصنفاتهم المدونة . لكن بحمد الله جاءت هذه النبذة حديقة يترنح بها الخاطر ، ويتنزه فيها الناظر * ولهذا سميتها

﴿ نزهة الانام * في محاسن الشام ﴾

والله تعالى أسأل أن يعوضنا عن ضيق هذه الدنيا الجافية ، بالدخول الى جناته الواسعة الرفيعة ، وان يمتعنا

فيها بقا كهه كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة . ان شاء الله تعالى بكرمه ومنه وأمنه ويمنه

فمن محاسن الشام ماورد فيها من رواية ابي داود في سننه عن عبد الله بن حوالة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انكم ستجندون بعدي أجناداً ثلاثة جنداً الى اليمن . وجنداً الى الشام . وجنداً الى العراق » قال عبد الله « خر لي يارسول الله » قال « عليك بالشام . فانها خيرة الله في أرضه يجتبي اليها خيرته من عباده . وان الله قد تكفل لي بالشام وأهله » قال أبو ادريس الخولاني ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ستفتح عليكم الشام فعليكم بمدينة يقال لها (دمشق) هي خير مدائن الشام ، وفسطاط المسلمين بأرض منها يقال لها الغوطة

وقال ابو هريرة رضي الله عنه : « أربع مدائن من مدائن الجنة وأربع مدائن من مدائن النار . فأما مدائن الجنة فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق ، وأما مدائن النار فالقسطنطينية وطبرية وانطاكية المحترقة وصنعاء »

قال ابو عبد الله السقطي ليس هي صنعاء اليمن وانما هي صنعا بأرض الروم • وانطاكية المحترقة انما سميت بذلك لان العباس بن الوليد بن عبد الملك أحرقها . وهو من فضائل الشام للربعي • وهو عند كعب الاحبار أيضاً من طريق آخر • انتهى

والحديث المبدأ به رويناه من حديث أبي مسهر عبد الاعلى بن مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي ادريس الخولاني عن عبد الله بن حوالة الازدي رضي الله عنه . قال شيخ الاسلام وأمير المؤمنين في الحديث شهاب الدين احمد بن حجر رحمه الله تعالى وهو حديث حسن مسلسل بالدمشقيين وهو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « انكم ستجندون أجناداً . جنداً بالشام . وجنداً بالعراق • وجنداً باليمن » قال الحوالي « خر لي يارسول الله » قال « عليكم بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه ويسق من غدره فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله » فكان أبو ادريس الخولاني اذا حدث بهذا الحديث التفت الى ابن عامر فقال « من تكفل الله تعالى به فلا ضيعة عليه » انتهى والله تعالى أعلم

ومن محاسن الشام هذا الحديث القدسي الذي ورد فيها عن كعب الاحبار رضي الله عنه قال « انا نجد في كتاب الله تعالى يعني التوراة أن الارض على صفة النسر فالرأس الشام والجناح الايمن الغرب والجناح الأيسر الشرق وهو العراق وخلف العراق أمة يقال لها واق وخلف واق أمة يقال لها واق واق. وخلفها من الأمم ما لا يعلمه الا الله تعالى. والظهر السندوخلف السندالهند. وخلف الهندأمة يقال لها مسند وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه الا الله تعالى. والذنب اليمن فلا يزال الناس بخير ما لم يقرع الرأس فاذا قرع الرأس هلك الناس »

قال بعض الشراح والمؤرخين والمفسرين انما سميت الشام شاماً لان قوماً من بني كنعان نزلوها فتشاءموا اليها فسميت شاماً لذلك

وقالت طائفة انما سميت شاماً لما تشاءم لها (١) أهل اليمن من يمنهم كما يقال تيامنوا وتياسروا فسميت بذلك

(١) كانت في الاصل « لما تشاءموا لها . الخ »

وقال قوم انما سميت شاماً لأن بني اسرائيل قتلوا بني كنعان ونفوا ما بقي منهم فصارت لهم ؛ ثم وثب الروم على بني اسرائيل فقتلوهم وأجلوا من بقي عنها الى العراق الا قليلا منهم . ثم جاءت العرب فقتلت الروم وسبتهم وهرب من سلم منهم الى بلاد الروم ؛ واستمرت بيد أولاد العرب الى يومنا هذا

قال الجوهري يذكر ويؤنث ورجل شآمي وشآم على فعال وشامي أيضاً حكاه سيبويه رحمه الله تعالى عليه ولا تقل شأم وما جاء في ضرورة الشعر محمول على أنه اقتصر من النسبة على ذكر البلد وامرأة شامية وشامية مخففة الياء

ونقلت من خط اللغوي أحمد بن مطرف من الجزء الثاني من كتابه المسمى بالترتيب في الاخبار والاعاجيب أن في الشام قولين أحدهما أنه يجوز أن يكون مأخوذاً من اليد الشومى وهي اليد اليسرى واليمنى اختها فالشومى من الشوم واليمنى من اليمن . وقالت العرب :

فأنحى على شؤمى يديه فذادها
باظمأ من فرع الذؤابة اسحما

اظمأ أفعل من الظما وشؤمى مقصور مهموز ويجوز أن يكون فعلى من الشوم

ويجوز أن يكون فيه قول ثالث وهو أن يكون جمع شامة والشامة العلامة . يقال شامة وشام مثل حاجة وحاج . والرجل أشأم اذا كان ذا شامة وحقيقة الشامة أن تكون مخالفة لاون سائر الجسم . قال الجاحظ وأطلقت الشامة على النكتة من أي لون كان في أي لون كان اضعافها . الا ترى قول رسول الله ﷺ لما نزلت « يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ـ الى قوله ـ ولكن عذاب الله شديد » قال عمران بن الحصين انزلت هذه الآية وهو في سفر قال « أتدرون أي يوم ذلك » قالوا « الله ورسوله أعلم » قال « ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار » قال « يارب وما بعث النار » قال « تسعمائة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة » فانشأ المسلمون يبكون : فقال

رسول الله ﷺ « قاربوا وسددوا فانه لم تكن نبوة قط الا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ ذلك العدد من الجاهلية فان تمت والا كملت من المنافقين . وما مثلكم ومثل الامم الا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أوكالشامة في جنب البعير » ثم قل « اني لارجو أن تكونوا ربع اهل الجنة » فكبروا ثم قال « اني لاجو ان أن تكونوا ثلث أهل الجنة » فكبروا ثم قل « اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة » فكبروا ثم قل ولا أدري قل الثلثين أم لا رواه الترمذي.

فانظر اليه ﷺ كيف اطلق الشامة وجعلها في جنب البعير. والبعير قد يكون ازرق أو أحمر وغير ذلك . وما الغرض الا النكتة القليلة من اي لون كانت في جنب البعير من أي لون كان . الا تراهم يقولون أرض الشام والشام جمع شامة

وذهب بعضهم الى تسميته شاما لشامات له يعني اختلاف اراضيه في الوان ترابها وقد علمت أن بعض ترابه أبيض وأسود وأحمر وأصفر وبعضها اكدر . ويختلف كل لون منها في ذاته بالاشدية والاضعفية اختلافاً كثيراً

فصحّ أن اطلاق الشامة هاهنا لكونها نكتة في الارض اذ الشام بمجموعه لوكان لونًا واحداً لكان كالنكتة الخفيفة الخفية في أديم الارض. ثم انهم تجاوزوا في استعمال الشامة الى ان اطلقوها على غير اللون فأطلقوها على كل شيء قليل في نوعه فقالوا : فلان في قومه شامْة . اما لمزيته عندهم بالكرم أو بالحلم أو بالشجاعة أو بغير ذلك من الصفات الحميدة . ومنه قول ابن الساعاتي :

لولا صدودك يا امامهْ ما بت اندب عهد رامهْ
ابكي ليالي غبطة كانت لخدّ الشام شامه

فتأمل كيف أطلق الشامة على لياليه التي قطعها بالشام لأنه استلذ زمانها واستطاب أوقاتها من بين الليالي كلها . انتهى

ومن محاسن الشام ماروى عن كعب الاحبار رضي الله عنه أنه قال : ما بعث الله نبياً الا من الشام فان لم يكن من الشام هاجر الى الشام . وبها رأس يحيى ابن نبي الله زكريا عليهما السلام بين الاساطين (١) من الجانب الشرقي

(١) كانت في الاصل « الاساطوين »

بالجامع الاموي . قباله هود عليه السلام في الجدار القبلي قبره . انتهى

ومن محاسن الشام بناؤها ودمشقتها

قال وهب بن منبه : دمشق بناها العازر غلام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وكان حبشيا وهبه له نمرود بن كنعان

وقال أبو الحسن الرازي : رأيت في الكتاب الذي سماه أبو عبيدة (كتاب فضائل الفرس) أن بيوراسف الملك بنى مدينة بابل ومدينة دمشق

وفي جزء الدمشقيين ما حكاه أبو الخير العراقي قال كان في زمان معاوية بن أبي سفيان رجل صالح بدمشق وكان يقصده الخضر عليه السلام في أوقات للزيارة فبلغ ذلك معاوية فجاء اليه وقال بلغني أن الخضر يأتيك فأحب أن تجمع بيني وبينه فقال له نعم فلما جاء الخضر عليه السلام على العادة قال له الرجل ان معاوية سأله الاجتماع به [1] فقال الخضر

[1] كانت في الاصل « بك »

عليه السلام لا سبيل الى ذلك قال معاوية قل له قد اجتمع على أفضل الخلق وحدثه وجلس معه وهو سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ولكن سله عن ابتداء (دمشق) كيف كان قال الرجل فسألته قال صرت اليها فرأيت موضعها بحراً تستجمع فيه المياه ثم غبت عنها خمسمائة عام ثم صرت اليها فرأيتها قد ابتديء فيها بالبناء ونفر يسير بها

ونقل ابن عساكر رحمه الله تعالى في فتوحه قال: وجدت بخط أبي الفرج الاصفهاني فيما ذكر انه نقله من كتاب فيه اخبار الكعبة المشرفة وفضائلها واسماء المدن والبلدان واخبارها ثم ذكر مولد (١) ابراهيم الخليل عليه السلام على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمسين سنة من جملة الدهر الذي هو سبعة آلاف سنة وذلك بعد بنيان دمشق بخمسين سنة . ونقل بعض المؤرخين بخمس سنين . قلت وهذا يناقض ما تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم

وقال صاحب عيون التواريخ ان الذي بناها غلام

(١) في الاصل « مولود »

(الاسكندر) اسمه (دمشقش) وقيل (دمشق)

وذلك لما رجع (الاسكندر) من المشرق ، وعمل السد بين أهل خراسان وبين ياجوج وماجوج ، وسار يريد المغرب ، فلما بلغ الشام وصعد على عقبة (دُمَّر) نظر الى هذا المكان الذي فيه اليوم (دمشق) فوجده وادياً يخرج منه نهر جار وغيضة أرز فلما رآها ذو القرنين ورأى اجتماع الماء بواديها فأخذ الاسكندر لغلامه (دمشقش) فأمره أن ينزل بها وكان أمينه على جميع ملكه فنزل هو والاسكندر في موضع القرية المعروفة (بيلدا) وهي من غيضة الأرز على ثلاثة أميال . وأمره ان يحفر في ذلك الموضع حفيرة فلما فعل ذلك أمر أن يردها بالتراب الذي حفر منها فلما رد التراب اليها لم يملأها فقال للغلام ارحل بنا فاني كنت نويت أن أُأَسس في هذا المكان مدينة فبان لى ما يصلح ان يكون ههنا مدينة فانه ما يكفي اهلها زرعها فلما رحل الاسكندر عنها وصار الى (البثنية) و (حوران) وأشرف على تلك السعة ونظر الى أرضها

الحمراء فأمر بتناوله من ذلك التراب فلما لمسه بيده أعجبه ورأى لونه كالزعفران فامر بالنزول هناك وان يحفر حفيرةً فلما حفرت أمر برد التراب فردوه ففضل منه ثلثه فقال (الاسكندر) للغلام (دمشقش) ارجع الى الموضع الذي به الارز وانزل الوادي واقطع الاشجار التي على حافاته وابنها مدينة وسمها باسمك فهناك يصلح أن يكون مدينة وهنا يصلح أن يكون زرعها فانه يجزئها ويكون منه ميرتها. يعني المكان المسمى بحوران والبثنية. فرجع الغلام دمشقش الى الغيضة واختط بها المدينة وجعل لها ثلاثة ابواب الأول (باب جيرون) والثاني (باب البريد) والثالث (باب الفراديس) وهذا القدر هو المدينة فاذا غلقت هذه الثلاثة الأبواب فقد اغلقت المدينة وتحصنت. وخارج الابواب مرعى ونباتٌ وأعشابٌ وما أشبه ذلك. وكان قد بنى له فيها كنيسة يعبد الله تعالى [فيها] وهي الموضع الذى هو الآن الجامع

وقيل إن الذي بنى الكنيسة اليونان. وقيل بل وسعوها ثم وكبروها على ماهي عليه اليوم من الجامع المعمور

بذكر الله تعالى

وسكنها (دمشقش) واستمر بها الى أن مات فيها وبه عرفت وسميت ، غير ان طول الازمنة وتغير الاحوال واختلاف الالسنة حذفت شينه وسكنت قافه فقيل (دمشق) وقيل انما اسمه دمشق وبه سميت

وقال الجوهري دمشق المراد به السرعة ويجمع على دماشق ومنه قول الهذلي :

دماشق يعفقن عفق السعالى

خفاف التوالي طوال الجزوور(١)

وناقة دمشق أي سريعة جدا ومثالها حِضَجْر ومنه قول الزفيان «وصاحبي ذات هباب دمشق»

قال الجوهري و (دمشق) هي قصبة الشام . انتهى

وقال ابو مسهر عبد الأعلى راوي الحديث المتقدم ان الذي بنى حصن (دمشق) هو الذى حول أبواب (بيت المقدس) الى مسجدها وجعله على مساحته

---

(١) لم نجد هذا في (الصحاح) وفيه الاسطر الثلاثة التالية

واليونان هم الذين وضعوا الارصاد وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها وبنوا (دمشق) في طالع سعيدٍ واختاروا هذه البقعة الى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين ، وصرفوا أنهاراً تجرى الى الاماكن المرتفعة والمنخفضة وسلكوا الماء في أبنية الدور بها وبنوا هذا المعبد وكانوا يصلون الى القطب الشمالي فكانت محاريبه تجاه الشمال وبابه يفتح الى جملة القبلة حيث المحراب اليوم كما شاهدنا ذلك عياناً لما نقضوا بعض الحائط القبلي وهو بابٌ حسنٌ مبنيٌ بحجارة منحوتة عن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة اليه وكان غربيٌّ المعبد قصراً منيفاً جداًّ تحمله هذه الاعمدة التي بباب البريد وشرقيه باب قصر جيرون وهي « إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد » انتهى

وقال بعض المؤرخين الذي بني (باب جيرون [١]) سليمان عليه السلام بنته له الشياطين وكان الذى تكفل

(١) فى الاصل « الذي بباب جيرون »

بعمارته اسمه (جيرون) فسمى به

وقال بعض المؤرخين بناه (عاد) وقيل بل ولده (سعد) كان له ولدان احدهما اسمه (جيرون) والآخر (بريد) فبنى لهما هذين القصرين على أعمدة وفتح لكل قصر منهما بابا الى المعبد فسمى كل واحد باسم صاحبه وهو أول من صنع المدينة وأحدث بها البناء وعمل لها الابواب :

الاول (الباب الصغير) وهو الذي نزل عليه (يزيد بن أبي سفيان) في حصار المسلمين الروم ودخل منه . وسمى بذلك لانه كان أصغر أبوابها حين بنيت . وقيل يسمى (باب الجابية الصغير) وهو في قبلة البلد

الثانى (باب كيسان) وهو من شرقيه وينسب الى (كيسان مولى معاوية) لنزوله عليه قلت وهو الآن مسدود

ويليه الثالث وهو (بابُ شرقيّ) لانه شرقيّ البلد وعليه نزل (خالد بن الوليد) رضي الله عنه ومنه دخل عَنْوةً كما في التواريخ المطولة

ويليه الرابع وهو (باب توما) من شام البلد ينسب

الى عظيم عن عظماء الروم وسمي باسمه وكان له عليه كنيسة

ويليه الباب الخامس وهو المسمى (بباب الجنيق) منسوب الى رومي اسمه(الجنيق) وبه تعرف (محلة الجنيق) كانت خارج البلد تسمى (الفراديس) والفراديس بلغة الروم البساتين

ويليه السابع وهو (باب الجابية) منسوب الى (قرية الجابية) وكانت في الجاهلية مدينة عظيمة انتهى . وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله كان باب الجابية ثلاثة ابواب الاوسط منها كبير ومن جانبيه بابان صغيران وكان الباب الشرقي بهذه الصفة لكونه مقابله وكان من الثلاثة الابواب ثلاثة اسواق ممتدة من الباب الشرقي الى باب الجابية

وكان الأوسط من الأسواق الثلاثة للمشاة من الناس ، وأحد السوقين [لمن] يشرّق بدابة والآخر لمن يغرّب بدابة حتى لا يلتقي فيهما راكبان

والأبواب صوروها على الكواكب فزحل على باب كيسان وعلى الباب الشرقي صورة الشمس وعلى باب توما

الزهرة وعلى باب الجنيق القمر [1] وعلى باب الفراديس عطارد وعلى باب الجابية المشتري وعلى الباب الصغير المريخ [2]

وكان من حكماء اليونان من اتخذ على باب الجابية صورة انسان مطرق الرأس كالمتفكر ومن أعماله أنه اذا دخل أحد يريد بدمشق سوءاً أو بأهلها فان ذلك الانسان يصر لأنينه الباب فيعلم به خدمة الباب وقوامه . انتهى

والمرحوم نور الدين محمود بن زنكي الشهيد افتتح لها باباً وسماه باب السلام [3] وأحدث باب الفرج وسماه بذلك لما وجد الناس به من الفرج

قال ابن عساكر وكان بقربه باب يسمى باب العمارة فتح عند عمارة القلعة فسدّ وأثره باق الى يومنا هذا وأول

(١) في ابن عساكر (١ : ١٦) وباب الفراديس الآخر المسدود للقمر

(٢) فى ابن عساكر الباب الصغير للمشتري وباب الجابية للمريخ

(٣) في الاصل « باب السلامة »

من بنى القلعة اقسر ابن آوق ولما جدد الملك العادل أبو بكر بن أيوب القلعة أذهب باب العمارة . والله أعلم

ويليه الباب الجديد وهو الآن خاص بالقلعة والذي أحدثه الأتراك في دولتهم ثم صحفته العوام بالحديد (١) وهو يفتح الى القلعة يليه من الغرب باب السر سمي بذلك لكونه يفتح الى القلعة أيضاً وكانت الأتراك ينزلون منه سراً ويطلعون منه ويجوز الخارج منه على جسر من خشب من تحته الخندق الدائر بالقلعة ينيف عمقه على مائة ذراع بالعملة به يتخزن الماء وينبت البوص وغير ذلك وهو غير خندق المدينة

واصطلح في آخر دولة ابن قلاوون أن من يولى نيابة دمشق أن يصلي عند هذا الباب ركعتين مستقبل القبلة بحيث يبقى الباب على يساره ويقف أجناد القلعة وأرباب الوظائف والاتراك في منازلهم على حسب العادة متحملين السلاح الى أن يفرغ من صلاته ودعائه فان أريد به شر

(١) قال ابن عساكر (١٦:١) باب الحديد في سوق الاساكفة

قبض عليه ودخلوا به من ذلك الباب ويقفلون الجسر بينهم وبين أعوانه ، فان الجسر بلوالب يحيل بينهم . وان أريد به خير ركب في عزه ووجوه الدولة في خدمته الى أن ينزل بدار العدل التي أنشأها المرحوم نور الدين الشهيد . وهي التي تسمى اليوم بدار السعادة وهي تلي باب السرور وعلى بابها باب النصر فتحه الملك الناصر بن أيوب للمدينة وهذه الخمسة الابواب الحادثة جميعها فيما بين بابي الجابية والفراديس الا باب السلام وفي السور أبواب صغار تفتح عند الحاجة اليها غيرما ذكرنا وغالب هذه الأبواب القديمة بنى عليها منائر نور الدين الشهيد رحمه الله على مساجد وجعل لكل باب باشورة كالسويقة بها حوانيت مملوءة بالبضائع فاذا حصنت المدينة وقفلت الأبواب يستغنى أهل كل باب من هذه الأبواب بما عندهم وهو مقصد جميل . والله أعلم

ومن محاسن الشام افتتاحها على يد الصحابة رضي الله عنهم قال الحافظ ابن عساكر لما فتح الله تعالى على المسلمين

الشام بكماله ومن جملته (دمشق) المحروسة بجميع اعمالها وانزل الله عز وجل رحمته فيها وساق بره اليها كتب أمير المؤمنين (١) وهو اذ ذاك أبو عبيدة رضي الله عنه كتاب أمان وأقر بايدي النصارى أربع عشرة كنيسة وأخذ منهم نصف هذه الكنيسة وأخذ منهم التي كانوا يسمونها كنيسة مر يحنا بحكم أن البلد فتحه خالد بن الوليد رضي الله عنه من الباب الشرقي بالسيف وأخذت النصارى الامان من أبي عبيدة وهو على باب الجابية فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحاً و نصفه عنوة فاخذ المسلمون نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعله أبو عبيدة رضي الله عنه[مسجداً وكانت قد صارت اليه إمارة الشام فكان أول من صلى فيه أبو عبيدة رضي الله عنه] (٢) ثم الصحابة بعده في البقعة التي يقال لها محراب الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن

(١) أي الأمير على من شهد هذا الفتح من المؤمنين

(٢) الموضوع بين هاتين الاشارتين [ ] كان ناقصاً من النسخة البغدادية وأكمل من النسخة المصرية

الجدار مفتوحاً بمحراب مخفي وانما كان المسلمون يصلون عند هذه البقعة المباركة

وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد وهو باب المعبد الاصلي الذى كان في جهة القبلة مكان المحراب الكبير الذي هو اليوم حسبما سلف لنا ذكره فينصرف النصارى الى جهة الغرب لكنيستهم ويأخذ المسلمون يمنة الى مسجدهم . ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة كتابهم ولا يضربون بناقوس اجلالا للصحابة رضي الله عنهم ومهابة لهم وخوفا منهم

ولما ولي امارتها معاوية رضي الله عنه بنى دار الامارة وسماها ﴿ الدار الخضراء ﴾ وسكنها معاوية أربعين سنة والامر على ذلك . والله أعلم

ومن محاسن الشام ما ورد في فضل مسجدها . نقل عن بعض المفسرين في قوله تعالى « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين » عن قتاده أنه قال : لقد أقسم الله تعالى بأربعة مساجد فان التين هو مسجد دمشق

والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام والبلد الامين مكة المشرفة

وعن يزيد بن ميسرة قال : أربعة أجبل مقدسة بين يدي الله تعالى : طور زيتا ، وطور سينا ، وطور تينا ، وطور تيمانا. قال فطور زيتا بيت المقدس ، وطور سينا طور موسى عليه السلام ، وطور تينا مسجد دمشق ، وطور تيمانا مكة المشرفة

وعن محمد بن شعيب قال : سمعت غير واحد من قدمائنا يذكرون أن التين مسجد دمشق . وأنهم قد أدركوا فيه شجراً من تين قبل أن يبنيه الوليد

وعن عمرو بن الدونس الغساني في تفسير والتين قال : التين مسجد دمشق ، كان بستاناً لهود عليه السلام ، وفيه تين قديم

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال : أوحى الله تبارك وتعالى الى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك لجبل بيت المقدس . قال ففعل . فاوحى الله عز وجل اليه : اما

وقد فعلت فاني سأبني لي في حضنك بيتاً . قال الوليد بن مسلم في حضنك أي وسطك وهو المسجد أعني مسجد دمشق أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ولا تذهب الايام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك . قال فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع

ويقال ان أول من بنى جدران هذا الجامع الاربعة هود عليه السلام ، وكان هود قبل ابراهيم الخليل عليهما السلام بمدة طويلة

وقد جاء في الاخبار ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاتل شمالي دمشق عند (بَرْزَة) قوما من أعدائه فظفر بهم وكان مقامه لمقاتلتهم عند قرية برزة وبه سميت عند بروزه على أعدائه وبها متعبده بسفح الجبل ينسب اليه . وكانت دمشق عامرة إذ ذاك

وعن مسلم بن الوليد قال لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر منقوش فأتوا به الوليد فلم يجد من يحسن قراءته

فدلوه على وهب بن منبه فبعث اليه فلما قدم أخبره بموضع ذلك اللوح فقرأه وهب فاذا فيه موعظـة[١] وفي آخرها كتب في زمن سليمان بن داود عليهما السلام . والله سبحانه وتعالى أعلم

ومن محاسن الشام بناء معبـدها . قال ابن عساكر: لما صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك عزم على أخـذ بقية هذه الـكنيسة وإضافتها الى ما بأيدي المسلمين وجعل الجميع مسجداً واحداً وذلك لتأذي المسلمين بسماع قراءة النصارى في الانجيل ورفع أصواتهم في الصلاة فاحب أن يبعدهم عن المسلمين فطلب النصارى وسألهم أن يخرجوا عن بقية الـكنيسة ويعوضهم اقطاعات كثيرة عرضها عليهم وان يقر لهم اربع كنائس لم تدخل في العهد وهي كنيسة مريم وكنيسة المصلبة وكلاهما داخل الباب الشرقي وكنيسة تل الجبن وكنيسة حميد بن درّة[٢] التي بدرب الصيقل

(١) هذه الموعظة في تاريخ ابن عساكر (١ : ١٩٧)

(٢) قال ابن عساكر (١ :٢٤٢) : هو حميد بن عمرو بن

فأبوا ذلك أشد الاباء فقال ائتونا بعهدكم الذي بأيديكم في زمن الصحابة فقرئ بحضرة الوليد فاذا كنيسة توما التى كانت خارج باب توما لم تدخل في العهد وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مريحنا فقال أنا أهدمها وأجعلها مسجداً فقالوا بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى بأن يأخذ بقية كنيسة مريحنا فاقرهم على تلك الكنائس وأخذ منهم بقية الكنيسة

ثم امر الوليد بالهدم فجاءت اساقفة النصارى وقساوستهم وقد ندموا فقالوا يا أمير المؤمنين إنا نجد في كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يجن فقال انا أحب أن اجن في الله والله لا يهدم فيها أحد قبلي ثم صعد المنارة الغربية وكانت صومعة عظيمة فاذا فيها راهب فأمره بالنزول منها فأبى الراهب فأخذ بقفاه وحدّره منها ثم وقف على أعلى مكان

. . . .

مساحق القرشي العامري ، وأمه (درة) بنت أبى هاشم خال معاوية بن أبي سفيان ، وهو أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة . وكان لدرب اقطاعا له فنسبت الكنيسة اليه

منها فوق المذبح الاكبر الذى يسمونه الشاهد وأخذ فاساً وضرب أعلى حجر فالقاه فتبادر الامراء والاجناد الى الهدم بالتكبير والتهليل والنصارى تصرخ بالعويل على درج باب البريد وجيرون وقد اجتمعوا فامر الوليد صاحب الشرط أن يضربهم وهدم المسلمون جميع ما كان من آثارهم من المذابح والابنية والحنايا حتى بقى صرحة مربعة

ثم شرع في بنائه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة التي لم يشهد مثلها من قبلها ولا من بعدها

واستعمل الوليد في هذا المسجد خلقاً كثيراً من الصناع والمهندسين والمرخمين. وكان المستحث على عمارته أخوه سليمان بن عبد الملك ويقال ان الوليد بعث الى ملك الروم يطلب منه صناعا في الرخام والاحجار وغير ذلك ليعمروا هذا المسجد على ما يريد وأرسل يتوعده إن لم يفعل ليغزونّ بلاده بالجيوش وليخربن كل كنيسة في بلاده حتى القيامة التى بالقدس الشريف ويهدم كنيسة الرُّها وجميع آثار الرّوم. فبعث ملك الروم صنّاعاً كثيرة جدّاً وكتب

اليه يقول له ان كان ابوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فانه لوصمة عليك وان لم يفهمه وفهمته انت فانه لوصمة عليه . فاراد ان يكتب اليه الجواب واذا بالفرزدق الشاعر دخل عليه فاخبره بما كتبه ملك الروم فقال ياامير المومنين انت جعلت اخاك سليمان هو القائم بأمر العمارة والجواب بنص القرآن « ففهّمناها سليمان وكلاًّ آتينا حكماً وعلما » فاعجب ذلك الوليد وارسل به جواباً لملك الرّوم

ولما اراد الوليد ان يبنى القبّة التي في وسط الرواقات. التي يقال لها قبّة النسر (قلت وهو اسم حادثٌ على ما اظنّ كأن العوام شبهوها بالنسر في شكله لأن الرواقات عن يمينها وشمالها كالاجنحة لها) حفر لأركانها حتى وصل الى الماء وشربوا منه ماء عذباً زلالا ثم وضعوا فيه جراز الكرْم وبنوا فوقها بالحجارة فلما ارتفعت الاركان عقدوا عليها القبة فسقطت . فقال الوليد وقد أعياه أمرها لبعض المهندسين اريد أن تبني لي أنت هـذه القبة . فقال علي أن تعطيني عهد الله وميثاقه أن لا يبني فيها أحد غيري

وان لا يعارضني فيما أرومه . ففعل ذلك . و بنى الاركان ثمّ سترها بالبواري والحصر واختفى سنة لا يعلم الوليد أين ذهب ولا يستطيع أن يدع أحداً يتمّها . فلما كان بعد العام حضر على الوليد فقال له : كيف حتى عطلت البناء. قال لامر خفي على أمير المؤمنين وعلى البنائين ثم قال يا أمير المؤمنين احضر معي حتى أوقفك على ذلك فلما حضر الوليد وكشف الحصر والبواري عن الاركان فاذا هي هبطت بعدار تفاعها حتى ساوت الارض . فأعجب الوليد و [رجال] الدولة وخلع عليه. ثم أكمل بناءها وعقدها على الهيئة المعلومة الآن

وأراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن المسجد فقال له بعض المعلمين: انك لا تقدر على ذلك . فضربه خمسين سوطاً وقال له ويلك أنا أعجز عن ذلك . فقال له المهندس الذي بناها : صدق يا أمير المؤمنين وأنا اوضحه لك . فأمر أن يسبك له لبنة على القدر الذي يطلبه . فلما أحضرها قال أمير المؤمنين : احسبوا القدر الذي دخل فيها . فوجدوه عدة من الالوف فقال : يا أمير

المؤمنين اريد مثل هذه كذا وكذا الف لبنة فان كان عندك ما يكفي عملناه . فلما تحقق الوليد صحة قوله أطلق المضروب ورسم له بخمسين ديناراً واعتذر اليه

ولما سقف الوليد الجامع جعلوا أسقفه جملونات وباطنها مسطحاً مقرنصاً بالذهب . فقال له بعض أهله : أتعبت الناس بعدك بتلبيس سطح هذا الجامع في كل عام . فأمر الوليد أن يجمع ما في بلده وباقي معاملته من الرصاص ليجعله عوض الطين ويكون أخف على السقف ، فجمع ذلك . فلم يكفه . ثم بلغ الوليد ان امرأة عندها من الرصاص القناطير المقنطرة ورثته من ابيها ، فساوموها في بيعه فأبت وقالت : لا ابيعه الا بثقله فضة . فقال لهم : نشتريه لحاجتنا بزنته فضة . فلما اخبروها ان امير المؤمنين سمح لك بزنة ما قلت . قالت : حيث كان صادقا في حب الله فانا احب ان يكون لى في هذا الجامع شيء في حب الله خذوه باجمعه ، فكفاه وفضل . وذكر بعض المؤرخين ان هذه المرأة كانت اسرائيلية

وقال ابن عساكر اشترى الوليد هذين العمودين تحت قبة النسر من خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار قال وكان في مسجد دمشق اثنا عشر الف مرخم واشترى لوحين [من] رخام فستقي من الاسكندرية بمائة اشرفي ونقلهما ووضعهما على محل الغار التي فيها راس يحيي بن زكريا عليهما السلام . وقيل انهما كانا في عرش بلقيس مع الستة الشبابيك التي في مشهد المؤذنين على الباب والمشهد الذي تجاهه

وعن يزيد بن واقد قال وكلني الوليد على العمال في بناء الجامع فوجدنا فيه مغارة فعرّفنا الوليد . فلما كان الليل وافى وبين يديه الشمع فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة اذرع في ثلاثة اذرع واذا فيها صندوق ففتح الصندوق فاذا فيه سفط وفي السفط رأس يحيي بن زكريا . فأمر الوليد بردّه الى مكانه وقال : اجعلوا العمود الذي فوقه معينا بين الاعمدة . فجعلوا عليه عموداً مسفط الرأس

وذكر بعض المؤرخين انّ ارض الجامع كانت مفروشة

بالفصوص المزمكة بالذهب المسماة بالفُسَيفساء. وان الرخام كان في جدرانه سبع وزرات. ومن فوقه صفات البلاد والقرى وما فيهما من العجائب. وان الكعبة المشرفة وضع صفاتها فوق المحراب. ثم فرق البلاد يميناً وشمالاً وما بينهما من الاشجار المثمرة والمزهرة وغير ذلك. وجعل سلاسل المصابيح من نحاس محلّىً بالذهب. ورتب له من الشموع ما يوقد منه في اماكنٍ مختصة. واصطنع في صحنه صفة مجامر على اعمدةٍ برسم البخور ووكل بذلك خدمة لا يفترون ليلا ولا نهاراً حتّى كان يُشمّ روائح البخور من مسيرة فرسخين وسبك له سرجاً من نحاسٍ كلّ سراجٍ يوضع فيه قنطار زيت وجعل على كلّ بابٍ سراجاً. وجعل في محراب الصحابة رضي الله عنهم اجمعين حجر بلّورٍ، وقيل بل درّةً لا قيمة لها وكانت اذا طفئت المصابيح يقوم نورها مكانها وان الامين بن الرشيد ارسل الى صاحب دمشق ان يُسيّرها اليه فاختلسها وسيّرها اليه، وقيل انه لمّا رآها امر بردّها. وقال الحافظ ابن عساكر ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها

برنية من زجاجٍ وقد رأيتها ، ثم انكسرت بعد مدة فلم يوضع مكانها شيءٌ

وبنى الوليد المنارة التي يقال لها (العروس) وجعل عدّةً من المصابيح توقد عليها في كلّ ليلة ورتّب لها ثلاث نُوَب كل نوبة اربعون مؤذّناً وهي باقية الى يومنا هذا . واما (الغربية) و (الشرقية) فهما على ما كانتا عليه من غير عمل ادوار ودرابزين ؛ وهما من بناء اليونان كالصوامع لضرب النواقيس والرّصد . وقال بعض المؤرّخين انّ الشرقيّة احترقت في سنة اربعين وسبعمائة فنقضت وجدّدت من اموال النصارى لكونهم اتّهموا بحرقها واقرّ بعضهم بذلك فقامت على احسن الاشكال . وقال بعض العلماء في المنارة الشرقية البيضاء التي ينزل عليها عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان بعد خروج الدجّال كما ثبت في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان والله أعلم

ويقال انه كان في الركنين الشماليين صومعتان كالمقابلة

فهدمهما الوليد ، وجُعل من بعض آلتهما قبتان على اعمدة في صحن الجامع ، وجعل فيهما خلوتان من فوق الاعمدة واودع بهما كتب اوقاف هذا الجامع ومصاريفه ، ويقفل عليهما بالاقفال الحديد المانعة (١)

وكانت فيه طلّسمات اصطنعتها اليونان لعدم دخول الحشرات كالحية والعقرب والخنافس والعناكب وغير ذلك من الطيور كالحمام والعصافير والوطاويط وما اشبه ذلك . قال ابن عساكر : وذهب بعض طلسماته . قلت : بل كلها

(١) توجد الى الآن في الشمال الغربي من صحن المسجد قبة على أعمدة فتحت في أواخر عهد السلطان عبد الحميد بطلب من الحكومة الألمانية بناء على اقتراح بعض مستشرقيها . وكان من العلماء الذين حضروا فتحها باسم الحكومة العثمانية شيخنا المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ، فوجد فيها بعض الصكوك والوقفيات والمصاحف وامثال ذلك من المكتوبات القديمة . أما الشمال الشرقي من صحن المسجد ففيه الآن قبة الساعات وهي على جدران لا على أعمدة

بسبب المِحَن التي توالت وتعدّدت على دمشق آخرها محنة تمرلنك

وقال عمرو بن مهاجر الانصاري رحمه الله : ضبط الكتّاب ما انفق على الكوة التي في قبلة المسجد فكانت سبعين الف دينارٍ . وقال ابو قصي : انفق في عمارة مسجد دمشق خمسة آلاف الف دينارٍ وستمائة الف دينارٍ . فلما بلغ اميرَ المؤمنين الوليد انّ عمرو بن مهاجر والنّاس قالوا « أنفد الوليد بيت مال المسلمين في غير حقّه وكان يعمّر هذا الجامع ببعض ذلك » جمع النّاس ، ونودي بالصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر وحمد الله واثنى عليه فقال « يا ايها الناس ، قد بلغني عنكم أنكم قلتم بانّي انفقت بيت مال المسلمين في غير موضعه بغير حقٍّ » فأطرقت الناس ثم قال « ياعمرو – يعني ابن مهاجر – قم فأحضر اموال بيت المال » فحمل على البغال . وبسطت الأنطاع تحت القبة وصب عليها المال ذهباً وفضّة حتى كان الرجل لايرى الآخر وجيء بالقبانين ووزنت فاذاهي تكفي الناس ثلاث سنين مستقبلة

وفي رواية سبع سنين مستقبلة لو لم يدخل الناس شيء بالكلية ففرح الناس وهللوا وكبروا وحمدوا الله وأثنوا على أمير المؤمنين ودعوا له وشكروه على ذلك . ثم قال الوليد « يا أهل دمشق انكم تفخرون على الناس بأربع : بهوائكم ومائكم ، وفاكهتكم ، وحماماتكم ؛ فاحببت أن أزيدكم خامسة وهي هذا المعبد » فحمدوا الله تعالى وانصرفوا شاكرين له . انتهى

ومن محاسن الشام ماوصف جامعها به بدر الدين حسن ابن حبيب الحلبي في كتاب سماه (تشنيف المسامع في وصف الجامع) قال : واما دمشق فانها في وجنة الدنيا كالشامة ، وزينة البلاد كريش الطاوس أو طوق الحمامة . وفي دائرة الاقطار كالنقطة المعلمة ، وفي جيش الامصار كالملك الذى ينطق بالحكمة . وفي قلادة الاقليم كالواسطة ، وفي سماء الحلل كالشمس التي بدت أشعتها في الوجوه باسطة . وهي الربوة المباركة . والغوطة التي جلت عن المماثلة والمشاركة .

والمعدودة من جملة مدائن الجنة، والمأهولة بالأهلة من أرباب الكتاب والسنة. والمعروفة بإرم ذات العماد، والموصوفة بلم يخلق مثلها في البلاد. وأما جامعها ففيه أقول:

يا جامعاً في دمشق في حسنه قد تفرَّدْ
لم تُطرِب الناس طراً ألا لأَنك مَعْبَدْ(١)

وقلت أيضاً:

معبد الشام يجمع الناس طراً
واليه شوقا تميل النفوسُ
كيف لا يجمع الورى وهو بيت
فيه تجلى على الدوام العروس(٢)

وقلت:

ياراغبا في غير جامع (جلِّق)
هل يستوي الممنوع والممنوح

(١) فيه تورية باسم (معبد) الموسيقي العربي الشهير.
(٢) فيه تورية باسم (منارة العروس) التي مر ذكرها.

اقصر عناك وفي غلوك لا تزد
إن الزيادة بابها مفتوح(١)

قلت : وهذا الباب المفتوح في بيت ابن حبيب سرقه من بيتي الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة لكن ركبه في محله أحسن تركيب وهما :

أرى الحسن مجموعا بجامع (جِلق)
وفي صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى في الجوامع معشر
فقل لهم باب الزيادة مفتوح

ونقلت من خط الشيخ صلاح الدين الصفدى قوله فيه :

تقول (دمشق) اذ تفاخر غيرها
بمعبدها الزاهي البديع المشيَّدِ
جرى لتناهي حسنه كل معبد
وما قصبات السبق الا لمعبد

(١) فيه تورية باسم (باب الزيادة) الذى مر ذكره

والاصل في ذلك قول الشيخ برهان الدين القيراطي رحمه الله :

سقى بدمشق الغيثُ جامعَ نسكها
وروضاً به غنى الحمام المغرّد
اذا ما زهى في العين من ذاك معبد
لذكر حلا في السمع من ذاك معبدُ

ومن معانيه البديعة قوله فيه :

الجامع الأُموي اضحى حسنه
حسناً عليه في البرية أجمعا
حلوه اذ حلوه فانظر صحنه
تلقاه أصبح للحلاوة مجمعا

ومن تحريره البديع قوله فيه :

(دمشق) في الحسن لها منصب
عال وذكر في الورى شائعُ
نخلّ من قاس بها غيرها
وقل له ذا الجامع المانع

ومن محاسنه قوله في الساعات رحمه الله تعالى :

في الجامع الأموي الحسن مجتمع
وبابه فيه للأحداق لذاتُ
دقائق الحسن يحويها له درج
فحبذا منه بالساعات ساعات
وحبذا معبدٌ كم أطربت اذناً
فيه من الذكر نغمات وأصوات
جلا العروسَ على الرائي فطلعتها
تزفها من بدور التم طارات

ومن لطائفه قوله فيه وفي (النسر) تغمده الله برحمته :

يقول لنا نسر بجامع (جلق)
أنا الطائر المحكي والآخر الصدى
وقد أطرب الاسماع مطرب جنكها
وغنى به من لا يغنى مغردا

ومن محاسن الشام ما وصفها [به] الشيخ بدر الدين
محمد الدماميني الاسكندري المالكي قال: « فتاماها المملوك

فاذا هي جنة ذات ربوة قرار ومعين ، وبلدة تبعث محاسنها الفكر على حسن الوصف وتعين . وحسبها بالجامع الفارق بينها وبين سواها ، والانهار التي اذا ذكرت قبل المحْل فما أجراها ، واذا سُمع حديثُ الخصب فما أرواها . وما أقول ومتنزهات مصر عارية عن المحاسن وهذه ذات الكسوة(١) ، وان النيل ما احترق (٢) الاّ من الاسف حيث لم يسعده الدهر بالصعود الى تلك الربوة . وما أظنه احمرّ إلا خجلاً من صفاء أنهارها ، ولا ناله الكسر الا لتألمه بالانقطاع عن الوصول الى سقي أزهارها . فلو رأى العاشق جبهتها لسلا بمصر معشوقه ، ونسي ظهور جوانبه المنحنية بقامات غصونه الممشوقة . ولو تطاولت المجنونة الى المفاخرة لتأخرت الى خلفها مستحيية ، وأحجمت عن الاقدام حين تحركت لها بدمشق السالسلة . وحق لمصر ألاّ يجري حديث

(١) فيه تورية بقرية (الكسوة) وهي ضاحية جنوبي دمشق ، سميت باسم كسوة المحمل الذي كان يسافر منها الى مكة المكرمة كل عام (٢) فيه اشارة الى (تحاريق النيل) ايام انخفاضه

المفاخرة في وهمها، وأن تتقي شر المنازعة قبل أن تصاب من هذه البلدة بسهمها. فسقى الله متنزهاتها التي طرب المملوك برؤية جنكها ولطالما اهتزت له المعاطف على السماع، ورأى بها كل نهر ذاب عنه الجليد فانعقد على حلاوة شكره الاجماع »

وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي :

ما فيه إلا جوسق أو روضة
أو جدول أو بلبل أو ربرب

وكأن ذاك النهر فيه معصم
بيد النسيم منقش ومكتّب

وإذا تكسر ماؤه أبصرته
في الحال بين رياضه يتشعب

وشدت على العيدان ورق أطربت
بغنائها من غاب عنه المطرب

فالورق تنشد والنسيم بها فكم
أضحى له من بيننا متطلّب

ولكم طربت على السماع بجنكها
وغدا بربوتها اللسان يشبّب
فمتى أزور معالما ابوابها
بسماحها كتب الكرام تبوب

ومن محاسن الشام ماوصف جامعها به العلامة اليعقوبي قال « مدينة دمشق جليلة قديمة . وهي مدينة الشام ، في الجاهلية وفي الاسلام . وليس لها نظير في جميع بلاد الشام في انهارها ومبانيها وكثرة عمارتها . افتتحت في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة اربع عشرة وبانيها اسمه دماشق بن نمرود بن كنعان. وقيل دمشق بن قاني بن مالك ابن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. وقيل سعد بن عاد ، وبنى فيها قصرين لولديه بريد وجيرون ، ولما بنى دمشق سماها إرم وعلى هذا نقلت الاخبار ان ارم ذات العماد هي دمشق ، يقال انه كان فيها اربعمائة الف عمود . واما جامعها فليس في مدائن الاسلام احسن منه ، بناه الوليد في خلافته بالرخام والذهب سنة ثمان وثمانين ، فرشه

بالرخام الابيض المختم بالازرق ، وسقفه لاخشب فيه ، مذهب كله من اعلاه الى اسفله، وبه ثلاثة منابر» انتهى

ومن محاسن الشام وصف الاستاذ ابن جبير لجامعها. نقلت من خط الشريشي قال: أملى عليّ شيخنا ابن جبير في وصف جامع دمشق ما صورته قال « الجامع الاموي من اشهر جوامع الاسلام حسناً واتقان بناء . وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين . ومن عجيب شأنه انه لا ينسج فيه عنكبوت ، ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف

ووجه الوليد الى ملك الروم بالقسطنطينية فامر باشخاص اثني عشر الف صانع من جميع بلاده وتقدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف. فامتثل امره مذعنا فشرع في بنائه وبلغت الغاية في التأنق فيه [وانزلت جدره كلها] بالفصوص الملونة المذهبة المعروفة بالفسيفساء ومثلت به الاشجار مفرّعة الاغصان بانواع الازهار ، فجاء يغشى العيون وميضا وبصيصا

وبلغت النفقة عليه احد عشر الف الف دينار

ومائتي الف دينار

وكان ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لما دخلها صالح النصارى بان اخذ نصف الكنيسة الشرقي فصيره مسجداً وبقي النصف الغربي للنصارى فاخذه الوليد وادخله في الجامع بعد ان ارغبهم في التعويض عنه فأبوا فاخذه قسراً . وكانوا يزعمون ان من يهدم كنيستهم يجن ، فبادر الوليد وقال أنا أول من يجن في حب الله وبدأ الهدم بيده فتبادر المسلمون للهدم ثم ارضاهم عمر بن عبد العزيز في خلافته عن الكنيسة بمال عظيم

وطول هذا الجامع من الشرق الى الغرب مائتا خطوة وهي ثلاثمائة ذراع وذرعه في السعة من القبلة الى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع وتكسيره من المرجع الغربي اربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد النبي صلى الله عليه وسلم غير ان طوله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبلة [الى الشمال] . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من الشرق الى الغرب سعة كل بلاطة منها ثماني عشرة

خطوة [والخطوة] ذراع ونصف وقامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها [اربع وخمسون سارية و] ثماني ارجل واربع [ارجل مرخمة ابدع ترخيم : مرصعة بفصوص من الرخام ملونة ، قد نظمت خواتيم وصورت] يتخللها اثنتان مرخمة ملصقة في الجدار الذي يلي الصحن واربعة محاريب واشكال غريبة قامت في البلاط الأوسط دور كل رجل منها اثنان وسبعون شبراً ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهات سعته عشر خطوات عدد قوائمه سبع وأربعون منها اربعة عشر رجلا والباقي سواد

وسقف الجامع كله من خارج ألواح من رصاص واعظمها ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب هي قائمة في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم وهو غارب لها (١) يتصل من المحراب الى الصحن والقبة

(١) كانت في الاصل « وهو عمودها » فصححناها من رحلة ابن جبير ومنها أخذنا الزيادات التي أدخلناها في هذه القطعة بين هاتين الاشارتين [ ]

قد اقيمت في الهواء فاذا استقبلتها أبصرت مرأى عظيما هائلا

ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو وعدد شمسياتها الزجاجية الملونة المذهبة أربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلي وتتصل بالابصار منها أشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة بعض صورها

ومحرابه من أعجب المحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهبا كله قد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجدار تحفها اسورة مفتولات قبلي الاجدرة كأنها مخروطة بعضها أحمر كأنها مرجان ولم ير شيء أجمل منها

وفيه ثلاث مقاصير : مقصورة معاوية رضي الله عنه وهي مقصورة وضعت في الاسلام طولها اربعة وأربعون شبراً وعرضها نصف الطول . ويليها لجهة الغرب المقصورة

التي احدثت عند زيادة الكنيسة فيه وهي أكبر . والثالثة بالجانب الغربي تجتمع السادة الحنفية فيها للتدريس

وله أربعة أبواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباب شمالي يعرف بباب الناطفيين وباب غربي يعرف بباب البريد وباب شرقي يعرف بباب جيرون وهو أعظمها . وله وللغربي [وللشمالي أيضاً] دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل الى الكنيسة فبقيت على حالها

وفي صحنه من عجائب الابنية والقباب والصوامع الثلاث والمياه المدبرة ما يحير العقول وتكلّ عنده الافهام وهذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها وفيه يجتمع أهل البلد و[هو] متفرجهم كل عشية تراهم فيه ذاهبين راجعين من باب البريد الى باب جيرون لا يزالون على هذا الحال الى انقضاء العشاء الآخرة منهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ . فهذا دأبهم بالعشي والغداة ، والاحفل بالعشي . وأهل البطالة يسمونهم الحراثين »

وما أحسن قول الشاب الظريف محمد بن العفيف في غلام يمشي في صحن الجامع :

تمشى بصحن الجامع الشادن الذي
على قده أغصان بان النقى تثني
فقلت وقد لاحت عليه حلاوة
الا فانظروا هذي الحلاوة في الصحن

وقال ابن جبير « وللجامع الاموي اربع سقايات في كل جهة

سقاية باب جيرون ، وباب جيرون مفروش بالبلاط الطويل العريض وهو خمسة ابواب مقوسة لها ستة أعمدة. وفي جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه قبل أن ينقل الى القاهرة. وبازائه مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . قد انتظمت أمام البلاط أدراج ينحدر عليها الى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع ينحسر الطرف دونه سمواً قد حفته أعمدة كالجذوع طولا وكالاطواد

ضخامة . وبجانبي هذا الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت . وفي وسط الدهليز حوض بانبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع الى الهواء أزيد من القامة وحوله أنابيب صغار ترمي الماء علواً فيخرج عنها كقضبان اللجين وكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ومنظرها ابدع من أن يوصف

وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه شبه غرفة لها هيئة طاق كبيرة مستديرة فيها طيقان من صفر وقد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيراً هندسياً فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان اعناقهما بالبندقتين [1] الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة

(١) كانت في الاصل « بالصيحتين » المحرفة عن «الصنجتين».

وتدبير عجيب تتخيله الاذهان سحراً فعند وقوعهما يسمع لهما دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينغلق الباب للحين بلوح صفر فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتنغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها الاولى

ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عمّ الزجاجة ضوء المصباح وأفاض على الدائرة شعاعا فلاحت دائرة محمّرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وقد وكل بها من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنج الى موضعها وهي التي تسمى الميقاتية [1] »

فصححناها من رحلة ابن جبير . وفيما نقل هنا عن ابن جبير اختصار وتلخيص في مواضع كثيرة

(١) في رحلة ابن جبير « وهي التي يسميها الناس المنجانة »

انتهى كلام ابن جبير والله أعلم

ومن محاسن الشام قلعتها وحسن بنائها واتساعها فانها قدر مدينة . وبها ضريح السيد الجليل ابي الدرداء رضي الله عنه . وبها جامع وخطبة كالمدينة فانها بفرد خطبة لا غير وخارج المدينة الخطب الكثيرة يعسر الآن علينا تعدادها. وبها حمام وطاحون وبعض حوانيت لبيع البضائع. وبها دار الضرب التي تضرب فيها النقود. وبها الدور والحواصل وبها الطارمة التي ليس على وجه الأرض أحسن منها كأنها افرغت بقالب من شمع ينظر الرائي اعلاها فيحسن نظره وان طال مرآه.

وهي تسامت رءوس الجبال . يقال ان تمرلنك لما ان حاصرها وعجز عنها امر أن ينقب تحتها وتقطع الاشجار وتعلق بها حتى اذا انتهى تعليقها اطلق النار فيما تحتها من الاخشاب وظن انها تفسخ بذلك وتسقط شذر مدر فيبلغ مراده من أخذ القلعة. فاما عمت النار فيما تحتها بركت بصوت أزعج الوجود كما يبرك الاسد فمن ثم سمّوها

بالاسد البارك وهي الآن على الثلثين من علوها

وبالقلعة آبار ومجار للماء ومصارف بحيث اذا وقع الحصار وقطع عنهم الماء تقوم الآبار مقامه

وبها يمر نهر بانياس وينقسم فيها قسمين يستمر احدهما على حاله طاهراً للمنافع والاستعمال والآخر تنسحب عليه الاوساخ والقاذورات وهو المسمى بقليط يمر تحت الارض بنحو من قامتين لتشعب الماء الطاهر فوقه يميناً وشمالاً ، حتى في بعض الاراضي يبلغ سبعة مجار من الماء العذب ليس لاحدها اختلاط بالآخر

ومصارفهم تسقط على نهر قليط ويمر في المدينة الى أن يخرج من الباب الصغير ويتصل بمحلة المزاز فيضمحل فيما يليها من الاراضي التي تزرع الكرسنة والفصة والبيقية والقنب وما أشبه ذلك . وغالب ما يسقى به القنب وهو أبيض أملس كالرماح في الطول مجوف لا عقد به يصب الماء من رأس الواحدة فيجرى من آخرها وقشره يعمل منه الخيوط والحبال وتورى بالقنب النار وهو يقوم مقام

الشعشاع والطرفاء لكنه ألطف منهما وأسرع وقيداً . كما أن الشيح أحسن من الحلفاء بعرقه الذكي أخضر وناشفاً . ويقال ان القنب هذا يعمل من ورقه الحشيش اذا اضيف اليه الورق البري . وقد ذكرنا ذلك مفصلا في كتابنا (راحة الارواح ، في الحشيش والراح) فليراجع . انتهى

ومن محاسن الشام تحت قلعتها فانها منهل للغريب ومرتع للقريب وهي ساحة سماوية كبركة الرطلي [1] في الوسع لاجتماع البرية تحفها الدور وتعلوها القصور ويلحقها كل ما يرومه الانسان وتشتهيه الشفة واللسان لا يحتاج فيها سكانها لحاجة من المدينة ولا لجيرانها . فيها دار البطيخ الذي يباع فيه جميع فواكه البلد . وبه العين المشهورة بالمجمع على برودة مائها وعذوبته وخفته . وبتحت القلعة سوق للقماش المذروع وسوق قماش للمخيط . أحدهما للرجال والآخر للنساء . وبها سوق للفرا والعبي وغير ذلك . وبها

(١) بركة الرطلي حي من أحياء القاهرة

سوق السقطيين وسوق النحاس وبها سوق السكاكينيين وبها سوق القربيين وبه للارميين [1] وبها سوق قماش الخيل والبغال والبهائم والاغنام وبها سوق القشاشين وبها سوق المدهون والخضريين . وبها سوق المحابريين والنجارين والخراطين . وبها سوق النقليين وبها دار الخضر وبها سوق المناخليين والزجّاجين

واما ساحة تحت القلعة فانك لا تستطيع أن ترى ارضها لكثرة ما به من المتعيشين والوظائفية . ويتخلل بينهم أرباب الحلق والفالاتية والمضحكون وأصحاب الملاعيب والحكوية والمسامرون [و] كل ما يتلذذ به السمع ويسر العين وتشتهيه النفس صباحاً ومساء على هذا لا يفترون ؛ لكن المساء أكثر اجتماعا ويستمرون الى طلوع الثلثين . وهو عبارة عن ثلاثة طبول متفرقة بأعلى القلعة يضربون الثلث الاول كل واحد منهم ضربة والثلث الثاني من الليل يضرب كل واحد ضربتين والثلث الآخر

(١) كذا الاصل

من الليل يطلع المؤذن على منارة العروس بالجامع الاموي ويعلق لهم قنديل الاشارة فيضرب كل واحد منهم ثلاث ضربات ويسوق الثلثين من التسبيح والأَذان الاول الى السلام ينتهي الضرب

وبها خطبتان الاولى بآخرها بالمدرسة المؤيدية . والثانية بصدرها في جامع يلبغا . وهو من أحسن الجوامع ترتيباً ومتنزّها ، بصحنه بركة ماء مربعة داخلها فسقية مستديرة بها نوفرة يصعد عنها الماءقامة ومن فوقها مكعب عليه عريشة عنب ملوّن يصل الماء الى قطوفها الدانية. وبجانبيها حوضان فيهما من أنواع الفواكه واجناس الرياحين. وله شبابيك تطل على جهاته الثلاث الاولى على تحت القلعة من جهة الشرق والجهة الثانية تطل على بين النهرين وهى الغربية والجهة القبلية تنظر الى نهر بردى وما هناك من الاشجار والازهار وهناك شجرة حور يحتاط بها اربعة رجال فلا ينظر الواحد لمن يقابله لعظم ساقها . وللجامع ثلاثة أبواب الاول الشرقي وهو في صدر تحت

القلعة ويسمى باب الحلق ، والثاني شماليه يخرج الى الميضا ويسمى باب الفرج، والثالث غربيه ينحدر منه في درج الى اول الوادي ويسمى باب المنزه . انتهى

ومن محاسن الشام (بين النهرين) وهو مبتدأ الوادي يشتمل على فرجة سماوية بها دور وقصور وسويقة بها حانوت طباخ وصاجاتي وقطفاني وفقاعي وحواضري وفاكهاني وشواوقلاجين وسكرداني ونقلي وقاعة لبن وعدة للجلبية وحمام يشرح صدور البريد [1] وقنطرة يتوصل منها الى جزيرة لطيفة من رأسها ينقسم نهر بردى فيصير نهرين والمقسوم منه نهر الصالح المعتقد الشيخ ارسلان أعاد الله علينا من بركاته وعلى المسلمين طول الزمان وبها مقصفان [2] للبطالين فيما بين المقسمين وقبالهما زاوية للشاب التائب يقام بها السبت والثلاثاء من الاوقات بالوعاظ والدواخل ما يصير الحاضر غائبا . ويتوصل الى زقاق الفرايين . المشتمل على قاعات واطباق وغرف وكم رواق ، الجميع يطل على بين

(١) كذا (٢) المقصف المتنزه الظليل على شاطيء نهر

النهرين ولكل مكان من ذلك ناعورة يستلذ صاحبها بانسها وتجلب له الماء اذا سمع حسها . ومن أحسن ماقاله الشيخ ابو الفضل ابن القدوه احمد ابن العارف محمد وفاء :

نواعير نعت لي رشاً للقلب راعي
فهام القلب مني على حس النواعي

ومن محاسن الشيخ زين الدين عمر بن الوردي قوله فيها:

ناعورة مذعورة ولهانة لي حائره
الماء فوق كتفها وهي عليه دائره

ابن نباته :

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها
واضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي لاني فقدته
وأما دموعي فهي تجري على جسمي

ومن بديع مجير الدين[1] محمد بن تميم :

(١) كان في الاصل هنا « محيي الدين » وفي صفحة ٦٩ « محب الدين » وفي صفحة ٧٢ « مجير الدين » وفي صفحة ٨٤ « فخر الدين » والصواب ما اعتمدناه — المطبعة السلفية

ناعورة قالت لنا بأنينها
قولاً ولن تدري الجواب ولا تعي
كم فيّ من عجب يُرى مع انني
ابداً اسير ولا افارق مضجعي
لا رأس في جسدي وقلبي ظاهر
للناظرين واعيني في اضلعي

ومن اغراضه قوله :

وناعورة شبهتها اذ رأيتها
ومازال فكري بالغرائب يسمح
بطائرة مخضرة كل ريشة
لها تحتها عين من الدمع تسفح

ومن بدائع ابن خطيب الاندلس :

وناعورة تحسب من صوتها
متيماً يشكو الى زائر
كأنما كيزانها عصبة
رموا بصرف الزمن القاهر

قد منعوا ان يلتقوا فاغتدى

أولهم يبكي على الآخر

ومن تحرير القيراطي قوله :

وناعورة قد ضاعفت بنواحها

نواحي وأجرت مقلتاي دموعها

وقد ضعفت مما تئن وقد غدت

من السقم والشكوى تعد ضلوعها

التقي ابن حجه قوله فيها :

وناعورة قد سلسلت دور انسنا

وأهدت لنا روحاتها نفحة الصور

اذا ما سقت دوراً تحرِّك عودَها

لنا وتغني في البسيط على الدَّور

شيخه علا الدين بن القضامي :

وذات شجو أسالت مدامعا لم تصنها

تبكي بفرط دموع ويضحك الروض منها

ابن نباتة رحمه الله تعالى :

وناعورة قسمت حسنها
على واصف وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت
تدور وتبكي على الضائع

ومن محاسن شعره قوله فيها:

اعجب لها ناعورة قلبها
للماء منشى العيش والعشب
تعبانة الجسم ولكنها
كما ترى طيبة القلب

الامير مجير الدين بن تميم رحمه الله :

أبدت لنا بالعذر ناعورة
أدمعها في غاية السكب
تقول لما ضاع قلبي وقد
ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمي كله اعينا
تدور في الماء على قلبي

ومن تضامين ابن تميم قوله :

وناعورة شبهتها حين ألبست
من الشمس ثوبا فوق اثوابها الخضر
كطاوس بستان تدور وتنجلي
وتنفض عن ارياشها بلل القطر

ومن لطائفه قوله فيها :

ناعورة مذ ضاع منها قلبها
دارت عليه بأنة وبكاء
وتعللت بلقائه فلأجل ذا
جعلت تدير عيونها في الماء

ومن محاسن الشام شرفاها وما حويا من المناظر والقصور ، وما فيهما من الولدان والحور . ونقرب الى الله تعالى أهلها ببناء المدارس، رغبة في جوار المجرّد الفقير البائس. ورتبوا له من الخبز واللحم والطعام ، والزيت والحلو والصابون والمصروف في كل شهر على الدوام . فيجلس الطالب في شباكها ينظر الى الماء والخضرة والوجه الحسن،

فكيف لا ينبعث الى طلب العلم ويتحرك من فهمه ماسكن

ويقال ان بمدرسة الكجحانية قبة بها طاقات بعدد أيام السنة ، والشمس دائرة على تلك الطيقان ولا تدخل اليها وهذا من حسن الهندسة

وأما جامع تنكز فانه في الشرف الادنى وهو من الغايات هندسة و بناء فيه عشرون شباكا على خط الاستواء يشرف على الانهار ومرجة الميدان وما حوى . وبوسط صحنه يمر نهر بانياس يتوضأ منه الناس وبه ناعورتان يملآن ويفرغان الى حوضين بهما سائر الاشجار ، وجميع الرياحين والازهار. و بينهما بركة مربعة بها كأس في غاية التدوير ، يجري الماء اليها من النواعير . فهو متنزه يقصد ، وللمصلي معبد . وفي كل شرف منهما عدة من المدارس والمساجد ، ولكل واحد ما يكفيه من الاوقاف استولت عليها ايدي المتشبهين بالفقهاء فاظهروا فيها انواع المفاسد. فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وكل شرف يطل على (الشقرا) و(الميدان)؛و(القصر

لابلق) و(المرجة) ذات العيون والغدران . وما أحسن قول الشيخ [شمس] الدين محمد النواجي الشافعي في وصف الشرف الاعلى :

الا ان واديْ الشام أصبح آية
محاسنه ما بين أهـل النهى تتلى
وان شرفت بالنيل مصر فلم يزل
دمشق لها بالغوطة الشرف الاعلى

ونقلت من خط العلاء علي بن المشرف الماردينى في غلام اسمه علي في الشرف الاعلى :

جنى عليّ ولـكن وجهه حسن
وفعله المرتضى يحلو به الشغف
بدر من الشرف الاعلى له نسب
وهـل لغير علي ينسب الشرف

الامير مجير الدين محمد بن تميم يصف الميدان :

عجباً لميداني دمشق وقد غـدا
كل له شرف اليـه يئول

والنهر يبنهما لغير جناية
سيف على طول المدى مسلول

وقال ابن الشهيد في (الشقراء) و (الميدان):

لم تحك جلقَ في المحاسن بلدة
قول صحيح ما به بهتان
ولئن غدوتَ منافسا في غيرها
هابيننا (الشقراء) و (الميدان)

ومن تحرير القيراطي قوله في وصف الشقراء:

سر بي الى الشقراء من جلق
واثن الى الخضراء منك العنان
فيها جنان لو رأى حسنها
ابو نواس للها عن (جنان)
وانزل بواديها الذي تربه
مسك وحصبا النهر منه جمان

ومن محاسن الشام مرجتها * قرأت كتاب وقف تربة السلطان الملك الظاهر (برقوق) سقى الله عهده الكائنة

بالصحرا خارج (باب النصر) من (القاهرة) المحروسة وهو متصل الثبوت الى آخر وقت تسجيلي على بعض القضاة الشافعية، من جملته طاحون الشقراء بمرجة (دمشق) المحروسة ظاهر قصر الملك الظاهر ابي الفتوحات (بيبرس) سقى الله عهده بالقرب من (زاوية الاعجام) ويليها قصبة سوق عدة حوانيتها احد وعشرون حانوتا وعلوها الطباق المطلة على المرجة المذكورة وبآخرها المسجد المطل على نهر بردى . انتهى

قلت وأدركت الطاحون غير دائرة . ولقد هدمها وكيل المقام الشريف (برهان الدين النابلسي) المعروف بابن ثابت في أوائل دولة السلطان الملك الاشراف (قايتباي) خلد الله تعالى ملكه . فعلى هذا كانت المرجة عامرة آهلة وهي من المحاسن التي لاتدرك وبعضهم يشبهها بصدر الباز [1] كأنه شبهها به لان الوادي ينضم من رأسها

(١) لايزال منتهي (المرجة) في جهة الغرب يدعى الى اليوم (صدر الباز)

ويعلوه جبلان وشبه هذين الشرفين بالاجنحة

ونقلت من خط التقي ابن حجه قوله فيها :

ذكرت احبتي بالمرج يوما
فقوّت ادمعي نيران وهجي

وصرت اكابدالاحزان وحدي
وكل الناس في هرج ومرج

ومن بديع القاضي محيي الدين بن عبدالظاهر قوله فيها :

ومرجةٌ في واد يروقك روضها
ولا سيما ان جاد غيث مبكر

بها فاض نهر من لجين كأنه
صفائح اضحت بالنجوم تسمَّر

تلاحظها عين تفيض بادمع
يرقرقها منه هنالك محجر

وكم غازلته للغزالة مقلة
تسارق اوراق الغصون فتنظر

اذا فاخرته الريح ولّت عليلة
باذيال كثبان الربا تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا
به الروض يحيى وهو لاشك جعفر (١)

ومن محاسن الشام محلتا (الخلخال) و (المنيبع) فمحلة (الخلخال) بها سويقة وحوانيت وفرن وحمام وهي مسكن الاتراك وكذلك المنيبع والشرفان وبه يدق طبلخاناتهم وبها زاويتا الادهمية والحضود (٢) وهي تحف بالناس والاعيان ومن أحسن قول الشيخ جمال الدين محمد بن نباته في وصف الخلخال :

ياحبذا يومي بوادي جلق
ونزهتي مع الغزال الحالى
من اول الجبهة قبلته
مرتشفا لآخر الخلخال

(والمنيبع) محلة وسويقة وحمام وافران وبها مدرسة

(١) فيه تورية بآل برمك (٢) كذا فى الاصل

(الخاتونية) وهي من اعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر (بانياس) ونهر (القنوات) على بابها ولها شبابيك تطل على المرجة وبها الواح الرخام لم يسمح الزمان بنظيرها وعدة [من] خلاوي الطلبة وبجوارها دار الامير الاصيل (ابن منجك) رحمه الله تعالى وبها سكن القاضي بهاء الدين بن جحى الشافعي رحمه الله تعالى . وهذه المحلة من محاسن دمشق وشرفها. انتهى

نقلت من خط الشيخ شمس الدين محمد النواجي في وصف المنيبع :

ياسادة اهدوا محاسن جلّق
لطرفي ففاضت بالبكا عبراتُ
منيبع جفني فوق ربوة جبهتي
يزيد ودمعي بعدكم قنوات (١)

ومن محاسن الشام المتنزه المسمى بالجبهة وهي أرض مربعة قدر فدانين عليها سقائف تظلها من غير طين بين

(١) فيه تورية بمحلة (المنيبع) ومتنزهي (الربوة) و (الجبهة) ونهري (يزيد) و (القنوات).

شجر الصفصاف والجوز والحور وكل مفرش حصير تحيط به جداول الماء من اربع جهاته مع البرك والبحرات بالنوافر وهي على جنب نهر (بردى) وبه النواعير وبها حوانيت للشرايحية والجزارين والطباخين والحواضرية والاقسماوية والنكاهين وغير ذلك . وبها مسجد ومدرستان ومربط الدواب . ومقاصفية واقفون في خدمة الناس . وعندهم اللحف والانطاع والعبي لمن يبات

وفيها يقول التقي ابن حجة الحموي (دو بيت) :

لما ملأ (الجبهة) بالانوار

لمناه على ذلك خوف العار

قال انصرفوا اسئمت من بلدتكم

و«الجبهة» من منازل الاقمار

وفيها يقول علي بن سعيد صاحب (المرقص والمطرب) وقد رآها عند شمس الاصيل قبيل المغرب :

ان للجبهة في قلبي هوى

لم يكن عندي للوجه الجميل

يرقص الماء بها من طرب
ويميل الغصن في الظل الظليل
وتود الشمس لو باتت بها
فلذا تصفرّ في وقت الاصيل

ويعلوها نهرا (القنوات) و(بانياس) المنحدر الماء اليها منه ومن فوق النهر حمام النزه والى جانبه مقصف بحوانيت فيها البضائع ويمر بوسطه نهر القنوات . ويتوصل منه الى زاوية الحريري المشهورة وليس أبدع من منظرها وينحدر منها الماء الى المتنزه المسمى (قطْية) وهي مقصف على نهر بردى وعليه النواعير متشعبة اراضيه بجداول الماء والبرك والبحرات . وبه قصبة ذات حوانيت يعلوها اربعة أطباق ومربط للدواب . وعند المقاصفي العي واللحف والانطاع حتى الاطباق والملاعق لمن يأكل وهذا مما لا يوجد في بلد من البلاد

انشدني قاضي القضاة عز الدين احمد الكتاني الحنبلي فيها :

أياحسن سلسال على نهر قطية
اذا ما جرى فيها نخوض و نلعب
تهدده اغصانها برءوسها
فينظر من طرف خفي ويهرب

وقال ابن عماد الاندلسي وابدع :

نهر يهيم بحسنه من لم يهم
ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
فكأنه وكأن خضرة شطه
سيف يسل على بساط أخضر

ومن محاسن الشام المتنزه المسمى بالبهنسية * وهو روض يجمع بين الاشجار، والفواكه والازهار، مع عيون الماء، وتظهر منه الى (مرجة جسر ابن شواس). به مقاصفي وبيع وشراء ويتوصل منه الى اراضي (حمص) ما بين رياض وغياض . ويعلوها محلة (النيربين) . وهي أعظم المحلات وأخضرها وأنضرها . حسنة الاثمار كثيرة الازهار وبها سويقة وحمام يقال له (حمام الزمرد) وجامع بخطبة

وهي مسكن الرؤساء والاعيان وبها دار قاضي القضاة نجم الدين يحي بن جحى وفيها قتل رحمه الله تعالى ومنها تدخل الى أرض الربوة

وأعجب من هذا ان السالك الى الربوة من حين يخرج من باب (جامع يلبغا) يمشي بين اشجار . وأثمار . ومياه . وظل ظليل . لا يمكن ان يرى الشمس . الا ان يقصد رؤيتها انتهى

وفيها يقول بدر الدين ابن لؤلؤ الذهبي يصف النيربين :

رعى الله (وادي النيربين) فانني
قطعت به يوما لذيذاً من العمر
درى انني قد جئته متنزها
فمدّ لاقدامي ثياباً من الزهر
واوحى الى الاغصان قربي فارسلت
هدايا مع الارياح طيبة النشر
وأخدمني الماء القراح وحيثما
سنحت رأيت الماء في خدمتي يجري

وأجاد الوداعي بقوله ثم أفاد :

ويوم لنا بالنيربين رقيقةٌ
حواشيه خالٍ من رقيب يشينه
وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة
فردت علينا بالرءوس غصونه

سيف الدين المشد وأبدع :

وصباً صبت من (قاسيون) فسكنت
بهبوبها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه (النيربين) عشية
وأتتك وهي بليلة الاذيال

ومن محاسن الشام محلة (الربوة) قال بعض المفسرين الربوة احدثها بنو كنعان وابتدأوها . وهي المذكورة في قوله تعالى «وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين» يعني مريم وعيسى عليهما السلام وانما قيل لها ربوة لانها مرتفعة مشرفة على غوطتها ومياهها. وكل رابٍ مرتفع على ما حوله يقال له ربوة ومنه تربية الصبي لترفعه في النفس والجسم . والمعين

الماء الذي يخرج من الارض

وقال ابن مطرف في ترتيبه : الربوة فيها ثمان لغات رُبوة . ورَبوه . ورِبوة . ورُباوة . ورَباوة . ورِباوة. ورابية ورُبْي والجمع ربىً

والربوة مغارة لطيفه بسفح الجبل الغربي وبه صفة محراب يقال انه مهد عيسى عليه السلام يزار وينذر له. وبها جامع وخطبة ومدارس وعدة مساجد وبها قاعات واطباق وفيها عين ماء يقال لها (الملثم) ومرابط للدواب وبها سويقتان قاطع بينهما نهر (بردى) وبها صيادو السمك يصطادون والقلايون على جبل النهر يقلونه ويذبح فيها كل يوم خمسة عشر رأساً من الغنم خلاف ما يجيئها من اللحم من المدينة وبها عشرة شرايحية ليس لهم شغل غير الطبخ والغرف في الزبادي والصحون وكل ما تشتهيه الانفس فيها وبها فرنان وثلاثة حوانيت برسم عمل الخبز الشوري (١) وأما الفواكه فلا قيمة لها فانى اشتريت الرطل (٢) بربع

(١) كذا (٢) وزن الرطل الدمشقي ثمانمائة درهم

درهم وكذلك الرطل الدمشقي من المشمش مثله والتفاح كذلك وبها حمام ليس على وجه الارض نظيره لكثرة مائه ونظافته وله شبابيك تطل على النهر وهو مبني ما بين الانهر من فوقه ومن تحته. وبها طارمة المسجد الديامي الذي جدده نور الدين الشهيد وله اوقاف على قرّاء ووعاظ وقراءة البخاري وغير ذلك كالمؤذن والفراش والبواب والوقاد

وفيه يقول تاج الدين الكندي :

ان (نور الدين) لما أن رأى
في البساتين قصور الاغنياء
عمر (الربوة) قصراً شاهقاً
نزهة مطلقة للفقراء

وقال الامير مجير الدين محمد بن تميم وأحسن رحمه الله :

ياحسن طارمة في الجوّ شاهقة
ما ان تملّ بها العينان من نظر
نزّه لحاظك في طاقاتها لترى
اصناف ما خلق الرحمن للبشر

ترى محاسن واد يحتوى نزها
لذاذة السمع والابصار والفِكر
وربوة قد سمت حتى تخال لها
سراً تحدّثه للانجم الزهر
ما بين روض وأنهار مسلسلة
تجري وتحمل انواعا من الثمر
كم بتُّ فيها وخدني شادن غنج
حلو التثنى كغصن البانة النضر
اشكو اليه الذي ألقى ومقلته
تشكو اليّ الذي يلقى من السهر
حتى رأيت نجوم الليل قد غربت
عنا وهبت علينا نسمة السحر
قمنا نجرّر أذيال العفاف بها
والله يعلم منها صحة الخبر
لا خير في لذة تمضي ويعقبها
خطيئة تسلك الانسان في سقر

ومن لطائفه قوله :

موضع القس[1] جنة الخلد اضحت
مهجتي كل ساعة تشتهيها
طوقتني بفضلها فلهذا
كلما زرتها اغرّد فيها

وهذه القاعة التي بناها نور الدين الشهيد هي على شعب جبل جميعها متختة بالواح من خشب سقفها (نهر يزيد) وأساسها من تحتها (نهر ثورا) ومنظرها من الغايات التي لا تدرك وقبالها في الجبل الغربي ضريح العاشق والمعشوق وعليهما صومعتان مبيضتان وبينهما سبعة مقاصف كل مقصف فيه من الثريات والمصابيح والغطاء والوطاء ما لا يحتاط به الوصف حتى ان بعض الناس يطلع اليها ليتنزه فيها يوما فيقيم بها شهراً وجبلاها متقابلان متلاقيان عليها الجبل الغربي بذيله دف الزعفران والجبل الشرقي رأسه مثل الجنك . ولهذا اطنب الشعراء في وصفهما

(١) كذا

وقال الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة في وصفها :

بالجنك من مغنى دمشق حمائم
في دف اشجار تشوق بلطفها
فاذا أشار لها الشجيّ بكاسه
غنت عليه بجنكها وبدفها

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي :

انهض الى (الربوة) مستمتعا
تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده
في الروض بين الجنك والدف

ومن محاسن الشيخ عمر بن انوردى قوله :

دمشق قل ما شئت في وصفها
واحكِ عن (الربوة) ما تحكي
فالطير قد غنى على عوده
في الروض بين الدف والجنك

ومن لطائفه قوله وقد اغار الصفدي على بيت ابن الوردي :

يا ربوة أطربتني وحسنت لي هتكي

اذ لست ابرح فيها ما بين دف وجنك

ونقلت من خط الشيخ شعبان الآثاري (١) :

كم تحت جنك الربوة الفيحاء من

دف زهت اشجاره بشنوفها

سقياً لها من ربوة من حل فيـ

ـها أطربته بجنكها ودفوفها

ونقلت من خط الشرف القواس قوله :

بربوة الشام ربتْ منيتي

وقر قلبي وهي دار القرار

وطيرها المطرب في جنكه

غنى على ناى وعود وطار

ونقلت من خط الشرف القواس قوله :

(١) في الاصل (شيبان الاماري)

اودّ بأني لو أرى الجنك ساعة
وأنفق فيه كل ما أنا أملك
فليس لنفسي في سوى الجنك مطلب
فدعهم يقولوا فيه للصب مهلك

ونقلت أيضاً من خطه :

سر بي الى الوادى وقف متنزها
فالجنك غنت فوقه الاطيار
لو لم يكن هو جنة المأوى لنا
ما كان تجري تحتها الانهار

ونقلت من تحرير الشيخ برهان الدين القيراطي قوله :

سقى الجنك منهلُّ الرّباب فشوقنا
لطيب مغاني ارضه ماله حصر
وحيا بقطر الشام انهارَها التي
على شهدها للدمع من مقلتي قطر
وجادت سماء الغيث ارضاً سماؤها
غصون رياض الزهر آفاقها زهر

فكم جاءني منها نسيم ممسك
وعرّفها للقاربين بها العطر

وطلع الشيخ شمس الدين محمد بن الخياط الشهير بضفدع مع ابن خلكان الى الربوة فوجدا غلمانا يعومون ويلعبون في نهر (ثورا) الذي تحت التخوت المعروف بالمنيقية فانشد ضفدع قوله :

لربوتنا واد حوى كل بهجة
فعيش الورى يحلو لديه ويعذب
ترق لنا الانهار من تحت جنكه
فلا عجب انا نخوض ونلعب

فانشد ابن خلكان رحمه الله :

وسرب ظباء في غدير تخالهم
بدوراً بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول خليلي والغرام مصاحبي
أما لك عن عهد الصبابة مذهب
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى

فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا

ومن محاسن الشام (المقسم) الذي تنقسم منه السبعة الأنهار وأصله من ينابيع (عيون التوت)

واليها يشير برهان الدين القيراطي بقوله :

عندي لارض دمشق فرط صبابة
فسقى حماها الرحبَ صوبُ غيوث
وعيوننا لفراق مشمشها حكى
جريانُ أدمعها (عيونَ التوث)

ويمر [بردى] على قرية الزبداني كالبحر الى ان يلتقي على قرية (الفيجة) الفيحاء [بمياه ينبوعها]

وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي في وصف الزبداني :

دمشق وافى بطيب نسيمها المتداني
وصح قول البرايا من عاشر الزبداني

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في (الملتقط) ان ماء العيون بارد رطب ، وجيده من العيون الشرقية ينفع

الكبد الحارة ، وضرره احداث الترهل ، ودفع ضرره بالحمام والرياضة . يصلح للامزجة الحارة

وقال ابقراط الماء يحفظ على البدن رطوبته ويقمع الحرارة ولا يغذو ولكن يرقق الغذاء وينفذ الى العروق ، وهو يضر اصحاب الرطوبات والبلغم ، الا انه اذا طبخ في اناء جديد كخزف أو قوارير قلت رطوبته ونفخه . وأفضل المياه مياه العيون الحارة الارض ، التي تخرج من الاودية بشدة على مقابلة الشمال ، وتجري على الطين الحر مكشوفة للشمس والرياح ، ولا تمر على بطائح ، ويكون ماؤه صافياً براقا ، وأجوده أخفه وزنا ، وأسرعه قبولا للسخونة والبرودة ، وأعذبه طعما

ويقال من ظاهر (باب السلام) الى ظاهر (باب توما) ثلاثمائة وستون عيناً تجري الى القبلة . قلت : ورأيت غالبها وارتويت من عذبها . انتهى

وتنقسم هذه الانهار السبعة منها (يزيد) و (ثورا) بذيل الجبل الشرقي . ويشق نهر (بردى) ببطن الوادي

ونهر (بانياس) ونهر (القنوات) ونهر (القناية) ونهر (الداراني) بذيل الجبل الغربي

وآخر ما يتصفى من هذه الانهار ويفضل منها هو نهر (بردى) وينزل في (المقسم) على نحو من عشرين درجة كالشادروان ؛ فرؤيته تذهب الهم وتزيل الحزن

وما ألطف قول القاضي صدر الدين ابن الآدمي رحمه الله :

قالوا فؤادك بُرِّدْ عن محبتهم
فقلت نار الهوى لا تنطفي ابدا
برّدت قلبي عن الاحباب مذ رحلوا
بما (يزيد) على (ثورا)وما(بردا)

وقال صاحب دواوين الانشاء العلاء ابن فضل الله :

انزل ببانياس ففي نهرها
سرّ به تجلى عروس السرور
واسمع حديث الماء في جريه
فانه يشفي عليل الصدور

وجمعها الشيخ شعبان الآثاري في قوله وأجاد :

شوقي (يزيد) وقلب الصب ما (بردا)
و (بان يأسي) من المعشوق حين غدا
ومدمعي (قنوات) والعذول حكى
(ثورا) يلوم الفتى في عشقه حسدا
على مغنية بالجنك جاوبها
شبابة كم بها من عاشق شهدا
فالبدر (جبهتها) والردف (ربوتها)
وخلها مات من خلخالها كمدا

ومن محاسن الامير ابن درياس قوله :

والنهر قد عشق الغصون ولم يزل
ابداً يمثل شخصها في قلبه
حتى اذا فطن النسيم لجاءها
من غيرة فامالها عن قربه
واتى عليه مهيمنا بعتابه
سراً فجعد وجهه من عتبه

ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله :

ما فتّح النَّور الا أشرف النّور
فما اشتغالك والمنثور منثور
يا حبذا ودروع الماء تنسخها
انامل الريح لو لا أنها زور

وقال ابن قرباص:

وتحدث الماء الزلال مع الحصى
فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء وشياً ظاهراً
وكان تحت الماء دراً مضمرا

وقال :

أيا حسنها من رياض غدا
جنوني فنونا بأفنانها
جثى الماء فيها على رأسه
لتقبيل اقدام اغصانها

وقال القاسم بن علي في خيال الاغصان في الماء :

انظر الى الغدران كيف ترقرقت
فبدا بها شبح الغصون الميّس
معكوسة الاشكال تحسب أنها
قامت على الأيدي له والأرؤس

وأبدع منه قول المناذري :

وقانا لفحة الرمضاء واد
وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا
حنوّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً
الذّ من المدامة للنديم
يصد الشمس انّى واجهتنا
فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى
فتلمس جانب العقد النظيم

وما أحسن قول ابن المشد :

والرَّوض بين تكبّر وتواضع
شمخ القضيب به وخرّ الماء

ويعجبني قول ابن النبيه :

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر
ودبَّ عذار الظل في وجنة النهر
فان رقَّ واعتلَّ النسيم صبابةً
اذا مرَّ في تلك الرياض فعن عذر
توسوست الاغصان عند هبوبه
فما برئت الاَّ على رقية القُمري
يخادعني الورد الجني وانني
بوجنة من اهواه قد حرت في امري
ويبسم عن ثغر الاقاح بنفسج
فألثمه شوقا الى لَعَسِ الثغر

ومن محاسن ابن تميم قوله :

والنهر مذعلق الغصونَ محبة
اضحت تطيل صدوده وجفاه

فتراه يجري لاثما اقدامها
وخريره شكوى الذي يلقاه

ومن لطائفه قوله :

ونهر حالف الاهواء حتى
غدا طوعاً لها في كل أمر
اذا سرقت حلى الاغصان القت
اليه بها فيأخذها ويجري

وقال ابن لؤلؤ رحمه الله تعالى :

وحديقة مطلولة باكرتها
والشمس ترشف ريق ازهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصى
فاذا جرى بين الرياض تشعبا

وقال أيضاً :

والنهر كالمبرد يجلو الصدى   يبرده عن قلب ظمآنه

ومن نكته البديعة قوله :

ونهر يحب الدَّوح اصبح مغرما
يروح ويغدو هائماً بوصالها
اذا بعدت عنه شكا بخريره
جفاها وامسى قانعا بخيالها

ومن اغراضه قوله :

ونهر اذا ما الشمس حان غروبها
عليه ولاحت في ملابسها الخضر
رأينا الذي أبقت به من شعاعها
كأنا أرقنا فيه كاساً من الخمر

ومن معانيه قوله :

وحديقة ينساب فيها جدول
طرْفي برائق حسنه مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه
فكأنما هو معصم منقوش

ومن ملحه قوله :

يا حبذا النهر الذي أهواهـه
تسبي العقول بحسن ما تبديه
هو في الحدائق غير ان عيوننا
ان لاحظته ترى الحدائق فيه

وقال محيي الدين بن قرناص :

فديتك انت روضتنا تجدها
تميل الى لقائك بالصدور
يعانقك القضيب بها سروراً
ويخفق فرحة قلب الغدير

ومن لطائفه قوله :

لما تبدى النهر عند عشية
والروض يخضع للصبا والشمأل
عاينته مثل الحسام ، وظله
مثل الصداء ، والريح مثل الصيقل

وقال ايضاً :

ياحسنه من جدول متدفق
يلهي برونق حسنه من ابصرا
مازلت أنذره عيونًا حوله
خوفا عليه أن يصاب فيعثرا
فابى وزاد تماديًا في جريه
حتى هوى من شاهق فتكسرا

ابن قرناص الحموي :

سرق النسيم حلى الغصون بلطفه
لما أتاها وهي في اطرابها
ورمى بها نحو الغدير فضمها
من خوفه في صدره وجرى بها

وقال جالينوس : الماء الذي يجري في الأنهار ، وتعلوه الأشجار ؛ حار غليظ يعظم الطحال والكبد ، ويقمح اللون ويفسد المعدة ، ويولد الحميات . وكذلك ماء البئر لأنه يتحرك الى البروز حركة بطيئة ويطول تردده في الأرض العفنة . وجميع الماء العفن كماء الآجام والبطائح

ردىء، واردأ منه ماء البئر والقنا لانه محتقن لا يخلو عن تعفن وأردأ من الجميع الماء الذي يجري في مسالك من رصاص. واقوى الماء المعتدل البرودة فانه يقوي الشهوة والمعدة ويحسن اللون، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات الى الدماغ، ويحفظ الصحة. ومن اعتاد شرب الماء المبرد في الهواء لم يحتج الى الثلج لأن مضرة الثلج تتبين بعد وقت فانها تتجمع قليلا قليلا واذا صار اصحابها الى سن الكهولة عرفوا شرها. على ان الماء المثلوج يمرىء، وينهض الشهوة، ويقوي المعدة، ويصلح الأمزجة الحارة، ويأمن الترهل. إلا انه يضر الصدر والحنجرة والدماغ والأسنان والعصب. واصحاب الاحشاء الورمة تدفع مضرته بالرياضة والحميص [1] انتهى

ومن محاسن الشام «الحواكير» وهي كالحدائق في سفح (جبل قاسيون) فان الفاصل بينه وبين (جبل الربوة) عقبة قرية (دمّر) التي بحد (قبة سيار) يقال ان سياراً هذا

(١) كذا

وبشاراً كانا يتعبدان على رأس هذين الجبلين اللذين للربوة وكأنهما كانا من أصحاب الخطوة فاذا أراد احدهما الاجتماع بالآخر يضع قدمه على جانب الجبل والآخر عند صاحبه فكأنهما كانا يمشيان في الهواء فبنوا لهما هاتين القبتين على هذين الجبلين

رجع * وكان حكماء اليونان ازدرعوا هذه الرياحين والازهار في سفح (جبل قاسيون) لحكمة وهو أنه يقيها البرد كونها في داره ، وان النسيم اذا مرّ بها يحمل منها [من طيب الريح] ما استطاع ويسري به الى من تحتها من أهل المدينة والسكان . ولهذا قال (ابقراط) ينبغي للمعتنى بصالح بدنه ان لايدع حظه من الاستمتاع بروائح الازهار والرياحين فانها تقوى الروح وتنعش الحرارة الغريزية التى بها قوام الحياة ، والعليل احوج اليها من الصحيح لانه قد عجز عن الاخذ من المطاعم والمشارب فهي تنوب عن فعلها في التقوية . انتهى

وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عرض بريحان

فلا يردّه ، خفيف الحمل طيب الروح » يعني عليه السلام بالريحان كل ذى رائحة ذكية من الازهار

وقال ابن سينا : ينبغي [للمرء] ان لا يستعمل من المشمومات الا ما كان موافقا لمزاجه وطبعه فان كان مزاجه حاراً يستعمل البارد وان كان بارداً يستعمل الحار ويجعلها اصنافا مختلفة من حار وبارد فيعتدل لكل مزاج

وينبغي ان لا يتناول المشموم الا غباً وعند توقان نفسه اليه فانه أشهى والذّ موقعاً وكذلك جميع المحسوسات اذا احجم نفسه عنها ثم تناولها مشتهياً لها فانه يجد لذتها على الكمال . الا ترى العطارين تمل خياشيمهم من الروائح الطيبة وتكل فلا تجد لها رائحة وكذلك مدمنو الروائح القذرة المنتنة فان خياشيمهم تألف ذلك النتن حتى لا يكاد أحدهم يتأذى به . وينبغي ان لا يدني شيئا من المشمومات الى انفه فانه أشهى وابقى لزهرة الرياحين . انتهى

ومن محاسن الشام « الورد » وهو جنس تحته ستة أنواع بدمشق خلا الاسود ، وهو بارد يابس قابض يقوى

القلب والاسنان

جيده « الجوري » يصلح للدماغ الحار والكبد ، يسكن الصداع ويضر أكله الباه وشرابه يبرد الدماغ ؛ دفع مضرته خلطه بالكافور . واذا ربي بالعسل او بالسكر جلا مافي المعدة من البلغم ؛ واذهب العفونات . وهذا يكون من الورد النصيبي ؛ وماؤه بارد لطيف ، والاكثار منه يبيض الشعر

ونقلت من (الفردوس) للامام الحافظ أبى شجاع شيرويه بسنده عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان الله عز وجل خلق الورد من بهائه ، وجعل له ريح انبيائه ؛ فمن أراد أن ينظر الى بهاء الله ، ويشم رائحة أنبيائه فلينظر الى الورد الاحمر ويشمه »

وكتب الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ورقة : « سطرها المملوك ومنظر الروض قد شاق ، ودمع الغيث قد رقا ووجه الارض قد راق ، والغصون المتعطفة قد ارسلت أهواء القلوب بالاوراق ، وحمائمها المترنمة قدجذبت

القلوب بالاطواق . والورد قد احمر خده الوسيم ، وفكت ازرارَه من أجياد القضب انامل النسيم ، وخرجت اكفه من اكمامه تأخذ البيعة على الازهار بالتقديم . انتهى

ومن محاسن الخوارزمي قوله :

أما ترى شجرات الورد مظهرة
لنا بدائع قد ركبن في قضب
كانهن يواقيت أطيف بها
زبرجد وسطها شذر من ذهب

ومن لطائف محمد بن عبد الله بن طاهر قوله فيه

اما ترى الورد يدعو للورود على
عذراء صافية في لونها صهب
ترى صداهن ياقوت مركبة
على الزمرد في أوساطها ذهب

ومن بديع ابن المعتز بالله قوله فيه :

ووردة في بنان معطار حيّ بها في خفى اسرار

كأنها وجنة الحبيب وقد نقطها عاشق بدينار

وأوضحه ابن خطيب داريّا بقوله :

انظر الى الورد ما أحلى شمائله
سبحان خالقه من يابس الحطب
كأنه وجنة المحبوب نقطها
كف المحب بدينار من الذهب

صاغه اللغوي الاندلسي في انضمامه بعد الفتح فقال:

ورد تفتح ثم انضم منطقه
كما تجمعت الافواه للقبل

وما ألطف قول القائل :

أهدى إلىّ معذبي وردا ولم يك وقته
فسألته عنه فقال من الخدود قطفته
قبّلته فكأنني في خده قبلته

أبو الوليد الشاطبي :

فوق خد الورد دمع
من عيون السحب يذرف

بر داء الشمس أضحى
بعد ما سال يجفف

ومن التشابيه البديعة ما كتب الىّ بعض اللطفاء :

ودونك يا سيدى وردة
يذكرك المسكُ انفاسَها
كعذراء ابصرها مبصر
فغطت باكمامها رأسها

وأنشدني فيه ذو الوزارتين صاحب الصناعتين أحمد الخلوف :

حكت شجرات الورد في الروض اذ غدا
يقلبها في خدها مبسم القطر
سقاة محل ابرزت في أكفها
كئوس نضار قد ترصعن بالدر

ومن مقاصد أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز بالله قوله :

وترى الغصون تميل في أوراقها
مثل الوصائف في صنوف حرير

والورد في خفر القموع كأنه

حمر الخدود بخضرة التعذير

واحسن القائل فيه :

الورد احسن منظراً تتمتع الالحاظ منه

فاذا انقضت أيامه ورد الخدود ينوب عنه

وقال ابن العفيف رحمه الله :

قامت حروب الزهر ما

بين الرياض السندسيه

وأتت باجمعها لتغـ

زو روضة الورد الجنيه

لكنها انكسرت لأَنَّ

الورد شوكته قويه

ونقلت من خط زين الدين عبد الرحمن الخراط في

الورد على الماء :

عجبت وقد رأت عيناي ورداً

يسير بجدول عذب الشروع

فلم ير ناظرى ابداً خدوداً
جرت من قبلهن مع الدموع

وما ألطف قول برهان الدين القيراطي :

ان للروح في دمشق لمأوى
ذا قرار وذا مَعين وربوه
وبروضاتها بساتين ورد
لى بأزرارها صبابة عروه (١)

وأبدع الشريف الرضى بقوله :

كم وردة تحكى بسبق الورد
طليعة تسرعت من جند
قدضمها في الغصن قرص البرد
ضم فم لقبلة من بُعد

دخل مجير الدين ابن تميم الى حديقة هـذه الوردة وجمعها :

(١) هو (عروة بن حزام) الذي تضرب الامثال ببكائه الديار .

سبقت اليك من الحدائق وردة
وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت
فمها اليك كطالب تقبيلا

ونقلت من خط ابن حجة له :

ارى الورد عند الصبح قد مدّ لي فما
يشير الى التقبيل في ساعة الامس
وبعد زوال الصبح يبدو كوجنة
وقد أثرت في وسطها قبلة الشمس

ومن نكته البديعة قوله :

قالوا لزهر الخلاف عرف
يضوع في ساعة القطاف
فضيع الورد قلت كلا
الورد أذكى بلا خلاف

وتلطف القائل :

كتب الورد الينا في قراطيس الخدود

يابني اللهو صلوني   قد دنا وقت ورودي

ونقل النواجي في كتابه (تأهيل الغريب) عن المتوكل أنه كان يقول « انا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين فكل منا أحق وأولى بصاحبه » حتى حرمه على الناس واستبد به وقال « لا يصلح للعامة » فكان لا يرى الورد الا في مجلسه . ولهذا قال علي بن الجهم في رثائه (١) :

وبات اللهو وهو سخين عين

وصار الورد بعدك في انتها (٢)

وكان لا يلبس في أيام الورد الا الثياب الموردة ويجلس على الفرش والاسانيد الموردة ويورد جميع الآلات وينشد قول جحظة :

عزيز عليّ بان يمسك ساقط   أو ان تراك نواظر البخلاء

ويقال أن كسرى مرّ بوردة ساقطة على الارض فقال « أضاع الله من اضاعك » ونزل وهو في موكبه ووضعها على رأسه

(١) كانت في الاصل في « انشاه » (٢) لعله في « انتهاب »

قلت : وكل من تعرّض الى وصف الورد وتشبيهه شغل عن علو رتبته وبديع حسنه ، ولو سكتوا عن ذلك كان اليق بهم لانهم لم يتأدبوا معه مع علمهم بانه سلطان الرياحين . ومن هذا قول بعضهم :

للورد عندي محلٌّ ورتبة لا تملُّ
كل الرياحين جند وهو الامير الاجل

ولعمري ان مثل هذا النظم السافل يمشي على كثير من الناس ، وما احمرت وجنات الورد الا خجلاً من نسبة هذا الشعر اليها بين الندماء والجلاس . انتهى كلامه

ومن النكت اللطيفة ما يحكى عن الفضل قال : دخلت على الرشيد يوماً وبين يديه طبق ورد عند جاريته ماردة ـ وكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال ـ فقال يا فضل قل في هذا الورد شيئاً ، فانشدته بديهة :

كأنه خد محبوب يقبله
فم الحبيب وقد ابدى به خجلا

فقال الرشيد قم يا فضل فاخرج عنا فقد هيجتني

هذه الماجنة ، فقمت وقد ارخيت الستور عليهما

ونقلت من خط المرحوم مجد الدين عبد الوهاب ابن سحنون خطيب النيربين وطبيب بيمرستان الصالحية انشد في ضعف موته سنة اربع وتسعين وستمائة ، وقد عاده بعض أصحابه ، ومعه وردة بيضاء فقال :

ووردا أبيضا قد زاد حسنا
فعند الضد للخجل احمرار
يمثله النديم اذا رآه
مداهن فضة فيها نضار

ونقلت من خط التقي ابن حجة قوله فيه :

كم وردة بيضاء قد حكت لنا مذ ازهرت
طلعة بدر كامل والشمس فيها كورت

وقد ولده من قول السري الرفاء فيه :

بدا أبيض الورد الجني كأنما
تنسمه الناشي بمسك وكافور

كان اصفراراً منه وسط ابيضاضه
براده تبر في مداهن بلّور

وقال سعيد بن حميد في الورد الاحمر والابيض معاً :

يا حسنها من وردة بيضاء جاءت بالعجبْ
كجام بلور به قراضة من الذهب

وقال سعيد بن حميد فيه وما تقدمه ليس لسعيد بل للوأواء الدمشقي :

أتاك الورد محجوباً مصوناً كمعشوق تكنفه صدودُ
كأَن عيونه لما توافت نجوم في مطالعها سعود
بياض في جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الخدود

ومن لطائف بلدينا ابن المعتز بالله قوله فيهما معاً :

أهدت الي يدٌ نفسي الفداء لها
الورد نوعين مجموعين في طبقِ
كأن أبيضه في وسط أحمره
كواكب أشرقت في حمرة الشفق

الشريف الرضي في وصف الورد الثالث وهو الأسود :

وورد أسود خلناه لما تضوع نشره ملك الزّمان
مداهن عنبر غض وفيها بقايا من سجيق الزعفران

وقال ابن عين بصل يصف الورد الأصفر :

شجرات ورد أصفر بعثت في قلب كل متيم طربا
يا من رأى من قبلها شجراً سُقي اللجين فأنبت الذهبا

ومن محاسن الطغرائي قوله فيه :

ألم تر أن جيش الورد وافى بخضر من مطارفه وصفر
أتى متلثما بالشوك أو في نصال زبرجد وتروس تبر

الرابع قال المطوعي في الورد القحابي الذي باطنه أحمر وظاهره أصفر :

ووردة جمعت لونين رائقة
خدي حبيب وخدي هائم عشقا
تعانقا فبدا واش فراعهما
فاحمرّ ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وله :

قحابى الورد في البستان يدعو
تبرجها الرجال الى الرحيق
لها نوعان ظاهرها كتبر
ولكن البواطن كالعقيق
تخال الجلَّنار على بهار
وتبرّي الرياض على شقيق

ابن المعتز :

وذي لونين نشر المسك فيه يروق بحمرة فوق اصفرار
كمعشوقين ضمهما عناق على حدثان عهد بالمزار

ومن لطائف أبي بكر الخالدي قوله فيه :

وردة بستان قحابيـة زينت من الحسن بنوعين
باطنها من قشر ياقوتة وظهرها من ذهب عين
قبلتها حبًا لها اذ بها حياني البدر على عين
كأنها خدي على خده يوم اجتمعنا غدوة البين

والخامس الورد الجوري وفيه قال الشيخ عمر بن الوردي :

قالت اذا كنت ترجو أنسي وتخشى نفوري
صف ورد خدي وإلا أجور ، ناديت جوري

والنوع السادس من الورد هو الأصفر المطبق

وقرية الزبداني هي قلعة الورد يستخرجون بها ماورد القاهرة المحروسة ومكة المشرفة وغيرهما من البلاد . وكذلك فاكهتها هي المنقولة الى القاهرة المحروسة وغيرها

وفيه يقول نجم الدين صاحب ديوان الانشاء بحماه :

وورد أتينا النار تقبض روحه
ونبعثها نحو الحبيب تكرما
فلما رآها احمرّ واصفر قائلا
خذي نفسي ياريح من جانب الحمى

وفيه يقول شهاب الدين بن الشبلي :

يا سيدي والذي خلائقه كالروض أيدي الصبا تدمثها
بعثت ورداً اليك عسى تقبض لي روحه وتبعثها

وقال آخر :

لم أنس قول الورد حين جنيته
والنار لاستقطاره تتسعر
ناشدتكم نفسي خذوه وإنما
لا تعجلن بقبض روحي واصبروا

ومن رقيق شعر بلدينا محمد بن المزين الدمشقي قوله :

شاب ورد الرياض من ورد خديك وانفرك
فله الناس أثبتوا وانتفى الورد للكرك[1]

ومن محاسن الشام الورد النسريني وهو نوّار أبيض وأصله بريّ يمتد ويعرّش كالكرم وله أغصان برءوسها الورد كل غصن فيه مائة وردة وأكثر . قال ابن البيطار في مفرداته : وبعض الناس يسميه بالورد الصيني وأكثر مايوجد بالشام بعد انفراك الورد المتقدم

(١) الكرك بلدة في منطقة (شرقي الاردن) الآن ؛ وكان الحكام في القرون الوسطى قد اتخذوها منفى لمن يريدون ابعاده عن الشام أو مصر . وفى تلك المنطقة (الحميمة) التي كانت منفى آل العباس رضي الله عنه قبل قيام دولتهم

وقال ابن سينا : الورد حار يابس في الثانية يقوي القلب اذا اديم اشتمامه ، ويحلل الرياح الكائنة في الرأس والصدر ويخرجها بالعطاس ، واذا تدلك به في الحمام مسحوقا بعد تنشيفه طيّب رائحة البشرة والعرق . انتهى

وقال السامري : هو من خصوصيات الشام ، وبالديار المصرية نسرين ليس هو هذا ، انما هو ورد سياج بساتين الشام . وهو نوار ابيض شديد العرق يجمعونه بمصر ويبيعونه ولا يجمع في الشام ولا يباع لكثرته . وهو يطلع في الغالب من عند الله تعالى بدمشق وخروجه بالشام مع النسرين . انتهى

ونقلت من خط الشيخ شمس الدين الدماميني :

أقول لصاحبي والروض زاهٍ
وقد ابدى الربيع بساط زهرِ
تعال نباكر الروض المفدّى
وقم نسعى الى ورد ونسرى

ومن رقيق شعر ذي الوزارتين :

ابان لك النسرين أو خلت أنه
أكف سقاة حملت اكؤساً صفرا
مداهن عاج حشوها التبر اذ علت
رءوس زنوج ألبست حللا خضرا

ومن محاسن الشام النرجس وهو جنس تحته أنواع : الاول اليعفوري ، الثاني البرى ، الثالث المضعف . قال ابن البيطار : في الرابعة ، وهو نبات له ورق مجوف وليس عليه ورق . طولها اكثر من شبر وعليها زهر ابيض مستدير ، في وسطه شيء لونه اصفر ومنه ما لونه اسود وثمرته سوداء كانها في غشاء مستطيل . وهو طيب الرائحة واذا اكل أصل النرجس مسلوقا أو شرب هيج القيء فاذا شم زهره نفع من وجع الرأس ويفتح سدد الدماغ . وشمه ينفع الزكام الباردة ، وفيه تحليل قوى الرطوبات ويخفف ويلطف ويحلو

وقال جالنيوس : ان النرجس راعي الدماغ والدماغ راعي القلب

وقال بقراط : كل شيء يغذو الجسم والنرجس يغذو العقل

والنرجس المحدق وهو البري اذا شق بصله وغرس صار مضعفا . ومن أدمن شم النرجس في الشتاء أمن البرسام في الصيف . وهو معتدل في الحرارة واليبس

وفي (اسنى المطالب في مناقب على بن ابي طالب رضي الله عنه) للحافظ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن الجزري الشافعي رحمه الله تعالى حديث مسلسل بالقضاة الى القاضي شريح قال **حدثنا** اقضى قضاة اللامة امير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « شموا النرجس ولو في اليوم مرة ولو في الجمعة مرة ولو في الشهر مرة ولو في السنة مرة ولو في الدهر مرة فان في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الا شم النرجس » ورواه أيضا صاحب (الفردوس) مسلسلا بالقضاة الى اقضى الامة امير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه ولفظه « شموا النرجس فانه ما منكم احد الا

وله شعبة بين الصدر والفؤاد من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الا شم النرجس »

وقال ابن سينا : من كان له رغيفان فليجعل احدهما في ثمن النرجس ، لان الخبز غذاء الابدان والنرجس غذاء الارواح »

وكان كسرى يقول : اني لاستحي ان اغازل من احب بمجلس فيه النرجس . أخذه بعضهم وقال :

غضي لحاظك ياعيون النرجس
فعسى افوز بنظرة من مؤنسي
فلقد يحير اذا رآك شواخصاً
ترمينه بلواحظ المتفرّس

ومن لطائف أمير المؤمنين ابن المعتز قوله في النرجس

عيون اذا عاينتها فكأنما
دموع الندا من فوق اجفانها در
محاجرها بيض واحداقها صفر
واجسادها خضر وانفاسها عطر

مجير الدين بن تميم :

ولما أتى النرجس المجتنى بقرب الربيع وإيناسه
نثرنا على رأسه فضة وتبرا فراق لجلاسه
وأصبح يخطر ما بيننا وذاك النثار على رأسه

ومن تشابيه ابن قلاقس قوله :

وشادن اهيف حيا بنرجسة
كأنها اذ بدت في غاية العجب
كف من الفضة البيضاء ساعدها
زبرجد حملت كأساً من الذهب

ومن مقاصد ابن وكيع قوله :

مانظرت عيناي في روضة احسن من نرجسة غضه
كزعفران وسط كافورة أو ذهب افرغ في فضه

ومن مقاصد عبدالله بن المعتز قوله :

نرجسة لاحظني طرفها تلوح في بحر دجى مظلم
كأنما صفرته في الدجى صفرة دينار على درهم

ومن اغراضه قوله :

كأنما جفنه بالغنج منفتحا
كأس من التبر في منديل كافور

ومن مداعبات أمين الدين جوبان قوله :

نفش غصن البان اذنابه
وماس عند الصبح زهواً وفاحْ
وقال هل في الروض مثلي وقد
تعزى الى مثلي قدود الرماح
فحدّق النرجس يزهو به
وقال حقاً قلتَ ذا او مزاح
بل أنت بالطول تحامقت يا
مقصوف عمر بالدعاوي القباح
فقال غصن البان من تيهه
ما هذه الا عيون وقاح

ومن مداعبات ابن تميم قوله :

ولما اتى النرجس المجتنى
بشيرَ الربيع بقرب المزار

نثرنا على رأسه فضة
ولم يخل في بعضها من نضار
فاصبح يخطر ما بيننا
وفى رأسه بعض ذاك النثار

ومن تضامينه قوله :

غدير دار نرجسه عليه
ورق نسيمه فصفا وراقا
تراه اذا حللت به لورد
« كأن عليه من حدق نطاقا »

ومن تضمين ابن حجة قوله :

الى الحمى نسمات الصبح مذ بعثت
ندى به ذيل ثوب الزهر مبلول
قالت نراجسه مذ حدقت ورنت
« مهما بعثتم على العينين محمول »

ابن الرومى واستحي من هجوه للنرجس (١)

انظر الى نرجس تبدَّت
صبحاً لعينيك منه طاقه
واكتب اسامى مشبهيه
بالعين في دفتر الحماقه
واي حسن لطرف شاك
من يرقان يحمل ماقه
كراثة ركبت عليها
صفرة بيض على رقاقه

و في تصحيفه قول الميكالي :

اهلا بنرجس روض يزهو بحسن وطيب
يرنو بعينى غزال على قضيب رطيب
وفيه معنى خفي يزينه في القلوب

(١) هذه الا بيات ليست لابن الرومي الذى اشتهر بمدح النرجس وذم الورد ، بل هي لأبي العلاء السروري ، وقد أوردها النواجي في (حلبة الكميت) ص ٢٠٣

تصحيفه ان نسقت ال حروف بوء حبيب

وقال ايد مر المحبوي وابدع :

وكأن نرجسه المضاعف خائض
في المـاء لف ثيـابه في رأسه

ومن غرائب ابي عبدالله الحداد الاندلسى قوله :

انظر الى النرجس الوضاح حـين بدا
كأنه ناظر عن جفن مبهوت
كاذرع الغيد في خضر البرود حكت
على أناملها أصفى اليواقيت

ومن دقائق ابن وكيـع قوله رحمه الله :

اشرب فلست على صحو بمعذور
واطرب على صوت نايات وطنبور
اما ترى النرجس الريان يلحظنا
كأن اجفانه اجفـان مخمور
كأن اصفره في وسط ابيضه
قراضة أُودعت احشاءَ بلور

اما تراه ومرّ الريح يعطفه
كأنه زعفران وسط كافور
اذا بدا في اختلاف من تلونه
اراك كيف امتزاج النار بالنور

ومن تشابيه أمير المؤمنين للمأمون قوله :

ويا قوتة صفراء في رأس درة
مركبة في قائم من زبرجد
كأن جمان الطلّ في حنباتها
بقيـــة دمع فوق خـــد مورَّد

ومن جيد السبك قول ظافر الحداد الاسكندري :

كأنما النرجس لما بدا
لناظر في ساحة (المأزمين)
زبرجـد قـد جعلوا فوقه
اقداح تبر في صواني لجين

وقال أيضاً رحمه الله :

كأنما النرجس الطافي حين بدا
قعاب تبر على جامات بلور
كان أوراقه والشمس تقصرها
أوراق شمع فمن خام ومقصور (١)

ومن بديع ابن تميم قوله فيه :

شبهت نرجسة أهدى اليَّ بها
خلي وقد جئت في التشبيه بالعجب
كفاً من الفضة البيضاء ساعدها
زمرّد وسطه كأس من الذهب

ومن محاسنه قوله فيه :

كيف السبيل لأن أقبل خدّ من
أهوى اذا نامت عيون الحرس
واصابع المنثور تومىء نحونا
حسداً وتغمزها عيون النرجس

ومن لطائفه قوله فيه :

(١) الخام قماش أبيض ويكون مقصوراً اذا غسله القصار ودقه

لا تمش في أرض وفيها نرجس
او أقحوان غب كل مقام
ان اللواحظ والثغور أجلها
عن وطئها في الروض بالاقدام

ومن نكتته البديعة قوله :

اني لاشهد للحمى بفضيلة
من أجلها قد صرت من عشاقه
مازاره أيام نرجسه فتى
الا واجلسه على أحداقه

ومن أغراض الشبلي قوله :

ونرجس قابل في مجلس
ورداً غلا في نعته الناعت
فخدُّ ذا يخجل من لحظ ذا
وطَرْف ذا في خد ذا باهت

ومن تضامين ابن حجةَ قوله :

حدائق الروضة الغناء نرجسها
عيونه بدموع الطلّ مذ رمقت
همنا الى رشف ثغر الكاس من فرح
« فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت »

وألطف ما سمعت قول القائل :

يغض من فرط الحيا طرفه
ما أحسن الغض من النرجس

ومن عقود ابن لؤلؤ قوله :

باكر الى الروضة تستجلها فثغرها الاشنب بسام
وبلبل الدوح فصيحاً غدا في الأيك والشحرور تمتام
والغصن فيه الف قد بدا والنهر في أرجائها لام
والنرجس الغض اعتراه الحيا فغض طرفاً فيه أسقام

ويعجبني قول ابن مكانس :

وجدول الماء يجري بين نرجسه
لدى البصائر جري الطيف في المقل

ومن المعاني التي اقتنصها ابن قرناص قوله :

من لى بروضة نرجس فاقت على
انواع أزهار الربيع المبهج
كقواعد من فضة قد ذهبت
تعلو على عمد من الفيروزج

وقال علي بن سعيد صاحب (المرقص) في تفضيل الورد عليه :

من فضل النرجس وهو الذي
يرضى بحكم الورد اذ يرأس
اما ترى الورد غدا قاعداً
وقام في خدمته النرجس

ومن محاسن الشام البنفسج وهو العراقي وقلبجى وابيض . وهذا النبات له ورق قابل التدوير له ساق يخرج من اصله عليه زغب أصفر وعلى طرف ساقه زهر طيب الرائحة جداً ولونه لون الفيروز ينبت في المواضع الظليلة الحسنة

وهو بارد رطب ينفع الدماغ الحار ويسكن صداعه

واذا ربي مع السكر ينفع من السعال الكائن من حرارة

وقال جالينوس: في السادسة ورق هذا النبات جوهره جوهر ماء بارد قليلا ولذلك صار متى صنع ورقه كالضماد إما مفرداً وإما مع دقيق الشعير سكن الاورام الحارة وقد يوضع على العين اذا كان فيها لهيب وينفع من التهاب المعدة والاورام الحارة ونتق المعدة ويقال ان زهره اذا تشرب بالماء نفع من الخناق العارض للصبيان وهو المسمى « ام الصبيان » وينوم نوماً معتدلا ويسكن الصداع العارض من المرة الصفراء والدم. والبنفسج الناشف يسهل المرة الصفراء المحتبسة في المعدة والامعاء أيضا. والشربة منه ثلاثة دراهم الى سبعة دراهم مدقوقا منخولا مع مثله بالسكر ويشرب بالماء الحار والله اعلم. انتهى

ومن لطائف ابن تميم :

عاينت ورد الروض يلطم خده

ويقول وهو على البنفسج محنق

لا تقربوه وان تضوّع نشره
ما بينكم فهو العدو الازرق
ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله :
ان البنفسج ترتاح النفوس له
ويعجز الوصف عن تحديد معجبه
اوراقه شعل الكبريت منظرها
وريحه عنبر تحيي النفوس به
والاصل فيه قول عبد الله بن المعتز :
بنفسج جمعت اوراقه فحكت
كحلا تشرب دمعاً يوم تشتيت
كانه فوق قامات يلوح بها
اوائل النار في اطراف كبريت[1]
قال النواجي في كتابه (تأهيل الغريب) رأيت لبعض

(١) في هامش الاصل : وقد رأيت في نسخة اخرى :
ولازوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها اوائل النار في اطراف كبريت

صيارفة الادب على هـذا التشبيه نقداً حسناً فانه قال « ان كانت النار في اوائل الـكبريت قد وافقته في اللون فقد خالفته في الرائحة ، وشرط المشبه ان يكون اعلى رتبه فى التشبيه ، والبنفسج يجل علو قدره عن ذلك ، فانه من اهل الجنة والـكبريت من اهل النار

وقد زاحمه عليه ابو العلاء عطاء بن يعقوب في رسالته فقال « وحديقة سماوية اللباس ، مسكية الانفاس . كبقايا النقش في بنان الـكاعب ، أو النقس في اصابع الـكاتب . لازوردية فاقت بزرقتها اليواقيت ، كأوائل النار في اطراف الـكبريت »

قال وقد قل من وفاه حقه من المتأدبين حسنا ، واتى في تشبيهه بما يلائمه صورة ومعنى . وقلت :

وياسمين قد بدت ازهاره لمن يصف
كمثل ثوب اخضر عليه قطن قد ندف

شعر:

*

خليليَّ هبا ينقضي عنكما الهوى
وقوما الى روض وكأس رحيق
فقد لاح زهر الياسمين منورا
كاقراط در قمعت بعقيق

بلدينا العلاء بن ايبك الدمشقي في الياسمين الاصفر قوله :

كأنما الياسمين حين بدا اصفره في جوانب الكثب
عساكر الروم نازلت بلداً وكل صلبانها من الذهب

وقال الزحاري :

ولفاء خلناها سماء زبرجد
لها انجم زهر من الزهر الغض
تناولها الجاني من الارض قاعداً
ولم ار من يجني السماء من الارض

ونقلت من خط ابن حجة قوله فيه :

الياسمين يقول مذ ولّى الشتا
ومضى الربيع بأعين ومباسم

دَين المصيف عليّ آن أوانُهُ

وقد استحق اليوم قبض دراهمي

ومن محاسن الشام المنثور . وهو أصفر وأبيض وبنفسجي وازرق . والازرق فيه حراقة ، وطعمه يشبه طعم الفجل يدشىء ويهضم . انتهى

ومن لطائف الامير مجير الدين محمد بن تميم قوله :

ومذ قلت للمنثور اني مفضل

على حسنك الورد الجليل عن الشبه

تلون من قولي وزاد اصفراره

وفتح كفيه ومال الى وجهي

ومن محاسنه قوله فيه :

انعم على المنثور منك بزورة فلقد أراه والسقام حليفه

ما اصفرّ الاحين غبت ولم يزل

يدعو بان يأتي اليك كفوفه

ومن مقاصده قوله :

من قال ان الورد كالمنثور في عظم المكانة جد فيه تعنيفه

ما احمرّ وجه الورد الا اذ غدا   المنثور يلطم خده بكفوفه

ومن اغراضه قوله فيه :

يشير بتوبة الندماء جهلاً   والمنثور عنـدهم نصيب
وكيف وقد عقدنا كل كف   بكف منه انا لا نتوب

ومن محاسنه قوله فيه :

مولاي للمنثور حق وهو أن
تلقاه اذ يلقى بكأس رحيقه
اكرمه أو فاعلم بان كفوفه
تدعو على من لم يقم بحقوقه

ونقلت من خط الشيخ بدر الدين الدماميني فيه :

لله منثور بروضك نشره
يطوي عبير المسك والكافور
قطر الندى فيه جواهر نظمت
يا حبذا المنظوم في المنثور

ونقلت من خط القاضي زين الدين عبد الرحمن بن الخراط فيه :

دع المنثور شمسُ الورد غشت نوره نورا
ألم تره اذا يبدو هباء فيه منثورا

وقال عرقلة في المنثور الاحمر واجاد :

انظر الى المنثور ما بيننا
وقد كساه الطل قمصانا
كأنما صاغته أيدي الحيا
من أحمر الياقوت صلبانا

ومن نكته البديعة قوله فيه :

حاذر أصابع من ظلمت فانها
تدعو بقاب في الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه في حجر القضا
الا دعاء اصابع المنثور

ومن لطائفه قوله فيه :

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس الا
مزوَرّ قال وقوله لا يدفع

فتح عيونك في سواي فانما
عندي قبالة كل عين اصبع

ومن محاسنه قوله فيه :

لما ادّعى المنثور ان الورد لا
يأتى وان يصلىٰ بنار سعير
ودّت ثغور الاقحوان لو انها
كانت تعض اصابع المنثور

ونقلت من خط التقوى ابن حجة قوله فيه رحمه الله :

رأيت مع المنثور بعض وقاحة
ولم ادر ما بين الغدير وبينه
تلون منه ثم مدّ أصابعا
الى وجهه عمدا وخضر عينه

ومن بدائعه قوله فيه :

صافح منثور الربا وردة
فلامه القمريُّ في الأَيكه

قالت ورود الروض في غيضة
هل جاز في اصبعه شوكه

ويعجبني قول الحاجبي وابدع :

ولقد نثرت مدامعي ودمي معاً
يوم الوداع وخاطري مكسور
لاتعجبوا لتلون من ادمعي
لا بدع ان يتلون المنثور

صاعد اللغوى قوله فيه وابدع :

قد اقبل المنثور ياسيدى كالدر والياقوت فى نظمه
ثناك لازال كانفاسه ورأس من عاداك مثل اسمه

ومن محاسن الشام السوسن ، وهو ابيض واصفر وازرق

قال العلامة ابن الجوزى في كتابه (لقط المنافع) هو ضرب من الرياحين وجيده الاسمانجونى الطري ، حار يابس ، يانين قصبة الرئة وينقيها ، وينفع الحلق ووجع الطحال ؛ ويصفى الصوت وينفع التهاب المدة وحرقة البول

وقروح الكلى والمثانة ، ويزيد في المنى ، ويقوي الذكر ، وينفع جميع علل السودا والبلغم . والشربة منه ثلاثة دراهم

وقال ابن سينا : فى الرابعة ومن الناس من سماه اسيرس ومنهم من سماه ايرس [1] اخربا وأهل رومية يسمونه غلاديون وهو نبات له ورق شبيه بالخناجر فى عرضها محدد الطرف، وله ساق خارج من وسط الورق وطوله ذراع . غليظ جداً عليه غلاف ذات ثلاث زوايا وعلى الغلف زهر لونه الى الفرقين ولون وسط الزهر احمر قان وله ثمر في غلف شبيه فى شكاه بالقثاء والثمر مستدير اسود وحريف وله أصل كثير العقد طويل احمر . يصلح للخراجات العارضة فى الرأس والكسر العارض بقحف الرأس . واذا تضمد به مع الخل ابرأ الاورام البلغمية والاورام الحارة وقد شرب بالشراب الحلو المعمول بماء البحر للشدخ وعرق النساء وتقطير البول والاسهال واذا شرب بالخل حلل ورم الطحال

ومنه البري وفيه يقول ابن المعتز بالله فى الابيض :

---

(١) يسمى زهر السوسن Iris بالافرنسية والانكليزية

والسوسن الابيض منشور الحلل
كقطن قد مسه بعض البلل

وقال ابن تميم وابدع :

وكأن سوسنة بدت في روضها
بيضاء ضاعف نشرها وقع الندا
نوّارة برد النسيم وهب في
وقت الصباح بثوبها فتجردا

ومن التشبيه المقلوب قوله فيه :

ياحسن نوفرة بدت في بركة
ابداً يفيض الماء فيها ديدنا
ما ان بدت الا وظلتُ مفكراً
في نوفر وراح ينبت سوسنا

ومن محاسن القاضي الفاضل قوله فيه :

وأبيض السوسن في رياضه ... يسبي قلوب الزهر بالتجرد
يظل مسروراً به كانه ... اقداح بلور على زبرجد

وقال ابن تميم فيه وكأنه تلميح الى معنى ابن المعتز :

ياحسنها من روضة ازهارها ابدت لعيني لؤلؤاً وزبرجدا
والسوسن المبيض في ارجائها كالقطن بلله الندى فتلبدا

وقال ابن المطرزي في السوسن الاصفر :

يارب سوسنة قبلتها كلفاً
ومالها غير نشر المسك في السوق
مصفرة الوسط مبيض جوانبها
كأنها عاشق في حجر معشوق

وقال ابن المعتز في السوسن المشرب بالحمرة :

سقياً لارض اذا ما نبهت بنهى
على الهدوّ بها قرع النواقيس
كأن سوسنها في كل شارفة
على الميادين اذناب الطواويس

وقال ابن حجة فيه مضمناً :

بداسوسن الروض المدبج ازرقا
وأصفر يعلو طوله فوق مبيض

كأن الربا ارخت ذيول غلائل

مصبغة والبعض اقصر من بعض

ومن محاسن الشام الزنبق وهو من خصوصياتها .

وهو قضبان خضر دون الذراعين عليها ورق عرض ورق الطرخون واطول منه وفي رأسه زهر ابيض شبيه قبل تفتحه بالمكاحل فاذا انفتح تلفيه مسدساً وبوسطه شيء كالابر في رفعها واطول منها وعلى رءوسها نقط صفر تصبغ كالزعفران ؛ عطر الرائحة شديد العرف واه دهن حار

شعر :

قد نشر الزنبق اعلامه وقال كل الزهر في خدمتي

لولم اكن في الزهر سلطانها ما رفعت من دونها رايتي

فقهقه الورد به هازئاً وقال ما تحرز من سطوتي

وقال للازهار ماذا الذي يقول ذا الاشيب في حضرتي

فانفتح الزنبق من قوله وقال للازهار ياعصبتي

يكون هذا الجيش بي محدقاً ويضحك الورد على شيبتي

معين الدين عصرون قوله فيه :

وزهراء هيفاء القوام رشيقة منعمة شقت عليها الغلائل
كأن اعاليها قناديل فضة وقد اوقدت منهن تلك الفتائل

المنقول من خط ابن حجة الحموي قوله فيه رحمه الله :

اصابع المنثور لما مدها لقرص خد الورد من بعد القبل
هزّ له الزنبق رمحاً عالياً فالراية البيضا عليه لم تزل

ومن محاسن الشام البهار . قال ابن البيطار وهو الاقحوان الاصفر عند بعض الناس في الثالثة وهو نبات له ساق رخصة وورق شبيه بورق الرازيانج وزهره أكبر من زهر البابونج أصفر اللون اسود الوسط شبيه بالعيون ولهذا يسميه بعض المغاربة بعين البقرة وينبت في الدمن وله حدة وحراقة وتحليل ويشفي من الاورام الصلبة اذا خلط بشمع مذاب ودهن

وقال التيمي في كتابه (المرشد) ومنه نوع صغير الشكل جداً يسمى في الشام « عين الخجل » اذ اجمع نوّاره وجفف وسحق وجعل في بعض أكحال العين جلا ظلمة البصر العارضة له وجلا البياض الكائن من الماء المنصب

اليها المفسد لحسن البصر وأحدّ نورها

وفيه يقول ابن اسرافيل

حكاني بهار الروض حين ألفته
وكل مشوق للمشوق يصاحب
فقلت له ما بال لونك أصفر
فقال لاني حين أعكس راهب

ويضارعه الاقاح :

ولو كنتَ حيث الروض قد مده الثرى
بسلطان امواه الجداول معلما
ومن فوقه زهر الاقاح منورا
رأيت السما كالارض والارض كالسما

ومنه الاقحوان :

وقد لاح زهر الاقحوان كأنه
يميس به خصر ارق من العضب
رءوس مسامير من التبر رَصعت
دوائرها الصواغ باللؤلؤ الرطب

ظافر الحداد قوله فيه :

والاقحوانة تحكي ثغر غانية
تبسمت فيه من عجب ومن عجب
في القد والبرد والريق الشهي وطيـ
ـب الريح واللون والتغنيج والشنب
كشمسة من لجين في زبرجدة
قد أشرقت تحت مسمار من الذهب

ومن مرقص ابن حمديس الصقلي قوله فيه :

من قبل أن ترشف شمس الضحى
ريق الغوادي من ثغور الاقاح
باكر الى اللذات واركب لها
سوابق اللهو ذوات المراح

ومن لطائف الخالدي قوله فيه :

يا رب ربع مقفر موحش
خال نزلناه قبيل العشي

كأنما نَور الاقاحي به
ثغر فم عض على مشمش

ومن محاسن ابن عباد الاسكندري :

والاقحوانة تجلو وهي ضاحكة
عن واضح غير ذي ظلم ولا شنب
كانها شمسة من فضة حرست
خوف الوقوع بمسمار من الذهب

ومن محاسن الشام الاذريون . هو صنف من الاقحوان ومنه ما نوّاره اصفر ومنه مانواره احمر فالاصفر ذهبي وفي وسطه رأس صغير اسود

وقال الغافقي هو نبات يدور مع الشمس ، وينضم نواره بالليل . وزعم قوم ان المرأة الحامل اذا امسكته بيديها مطبقة احداها على الاخرى نال الجنين ضرر عظيم شديد وان أدامت امساكه واشتمامه اسقطت

وقال صاحب (الفلاحة) ان دخانه يهرب منه الفأر والوزغ وهو نبات حار رديء الكيفية ، اذا شرب من مائه

اربعة دراهم قيأ بقوة وان جعل زهره في موضع هرب منه الذباب وان دق وضمد به أسفل الظهر أنعظ انعاظاً موسطا

وقال هرمس : الأذريون حار في الثالثة يابس فيها ويقال المرأة العاقر اذا احتملته حبلت . انتهى

وما ابلغ قول ابن المعتز فيه :

واذريون شبهه والشمس فيه كاليه
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

وما احسن قول الصنوبري فيه :

كأن اذريونها من فوق تلك القصب
خيام مسك فوقها سرادق من ذهب

وقال ابن حجة فيه :

كان اذريونها ونوره قد ابهجا
وميض برق لامع في جنح ليل قد دجا

وقال ابن تميم :

وكأن اذريونها في روضة
سرج تضيء على صفا انهارها
والسرج تخفيها الشموس وهذه
سرج تزيد الشمس في انوارها

ويلحق به البابونج .قال ابن الجوزى في (لقط المنافع)؛ افضله ما كان أصفر طريا طيب الرائحة ، وهو حار يابس يحلل الاخلاط الرديئة ويقوى الاعصاب وينفع الصداع والوسواس واليرقان . واذا جلست المرأة في مائة المطبوخ ادر الطمث واخرج الاجنـة ويدر البول ويفتت الحصى الذي في الكلى والشربة منه ثمانية دراهم

وكذلك زهر الكركيش قال الشاعر :

انظر الى الكركيش وهو محدق
كالتبر محتـاط عليـه يدار
فكأنه فم شادن متبسم
من فوق رأس لسانه دينار

ومن محـاسن الشام الآس . قال ابو حنيفة خواصه

عظيمة وخضرته دائمة وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرته سوداء ومنها ماهو أبيض كاللؤلؤ بين ورق كالزبرجد يباع مجموعا بالرطل وباغصانه من غير ميزان ويحلو اذا اينع وعصارة ثمره رطبة تفعل فعل الثمرة وهي جيدة للمعدة مدرة للبول موافقة اذا خلطت بشراب لمن عضته الرتيلاء وللسع العقرب وطبخ الثمر يصبغ الشعر

وقال (ديسقوروس) : الآس اذا دق ورقه وسحق وصب عليه ماء وخلط به شيء يسير من دهن ورد وتضمد به وافق القروح الرطبة والمواضع التي يسيل اليها الفضول والاسهال المزمن والنملة والجمرة والاورام الحارة العارضة للانثيين والثدى والبواسير واذا دق يابسا ودر على الداحس نفع منه وقد يجعل في الآباط وهو بارد يابس

وقال جالينوس : في السابعة هذا النبات من قوى متضادة والأكثر فيها الجوهر الارضي وفيه مع هذا شيء حار لطيف فهو لهذا يجفف تجفيفاً قويا وورقه وقضبانه وثمرته وعصارته ليس بينها في القبض كثير خلاف

لكنه يولد السهر ، ورفع مضرته بالبنفسج الطرى ويصلح الامزجة الباردة والله اعلم

وما احسن قول ابن طباطبا فيه :

الآس فرد بديع في محاسنه ما مثله في معانيه بموجود
يبدو باغصانه خضراء تلبسه كألسن الطير تشوى بالسفافيد

وانشدني فيه شيخنا المرحوم العلامة برهان الدين الباعوني الشافعي :

وروضة بانها يهتز من طرب
شبيه مرتشف من خمرة الكاس
يثني النسيم على الآس النضير بها
فهو العليل الذي يثنى على الآسي

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى « روح وريحان » انه الآس . وهو باليونانية المرسين

عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهبط آدم من الجنة بثلاثة اشياء الآسة وهي سيدة الرياحين الجنية

وتلطف سليمان بن محمد الطرابلسي بقوله :

احبب بقضبان آس في سائر الدهر توجد[1]
كانها حين تبدو سلاسل من زبرجد

وقال ابن حجة: تتبعت ما قيل في وصف الآس فلم اقف على ما أرضاني الا قول القائل رحمه الله واجاد:

خليلي ما للآس يعبق نشره
اذا شم أنفاس الرياح الهوا
حكى لونه اصداغ ريم معذر
وصورته الآذان قبل النوا

وقال:

عوارض الآس ابدت في موشحها
نظما باغصانه للنبت خرجات
وقد حلا لي باوراق ملوزة
وللملوز في الدنيا حلاوات

ونقل الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بسنده عن الحسن رضي الله عنه قال حياني رسول الله ﷺ بكلتا

(١) في النسخة المصرية « في سائر الزهر »

يديه بورد فلما أدنيته من أنفي قال ﷺ « انه سيد رياحين الجنة بعد الآس » انتهى

ويلحق به الريحان وهو جنس تحته انواع ترنجي وحماحمي وطترى وطراطر وحمام . ونقل الشيخ جمال الدين محمد بن نباته في كتابه (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) عند ذكر كسرى انو شروان انه كان جالساً واذا بحية قد دنت من عش حمامة في بعض شرف الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم قتلها وقال « هكذا نفعل بعدوّ من استجار بنا » فلما كان بعد ايام جاءت الحمامة بحب في منقادها فالقته اليه فأخذه وقال « ازرعوه »فنبت ريحاناً لم يكن رآه ولا عرفه فقال « نعم ما كافأتنا الحمامة . نسأل الله تعالى الذي الهمها ان يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمته » انتهى

قال ابن وكيع في الريحان الترنجي :

لم ادر من قبل ريحان مررت به
ان الزمرد اغصان واوراق

من طيبه سرق الاترج نكهته
يا قوم حتى من الاشجار سراق

ومن محاسن ابي القاسم بن العطار في الحماحمي قوله :

اما ترى الريحان أهدى لنا حماحماً منه فأحيانا
نحسبه في طله والندى زمرداً يحمل مرجانا

وأنشدني ذو الوزارتين الشهابي أحمد بن الخلوف في الريحان الطراطري :

وريحان نضير غض جفناً
وأسبل فوق قامات ذوائب
حكت قضب الزمرد في اخضرار
وآثار الخضاب بكف كاعب

ومن غزل السري الرفا قوله في الريحان الحمام :

قضيب من الريحان شاكل لونه
اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
تشبهته لما بدا متجعداً
عذاراً تبدى في سوالف أغيد

ومن مطرب أبي القاسم ابن العطار قوله :

أعددت محتفلا ليوم فراغي
روضاً غدا انسان عين الباغي
روض يروض هموم قلبي حسنه
فيه لكأس اللهو أي مساغ
واذا انثنت قضبان ريحان به
جاءت بمثل سلاسل الاصداغ

وقال ابن عبد ربه :

وريحان تميس على غصون
يطيب بشمه شرب الكئوس
كسودان لبسن ثياب خز
وقد شطحوا بها شيب الرءوس.

ونقلت فيه من خط ابن حجة قوله :

يقول ريحان روضي للنسيم وقد
تعطر الكون منه حين وافاني

سرقت نشري وهاديت الأنام به
وليس تحمل مني عود ريحان

وريحان هذا الذي استعمله ابن حجة أخذه ابن المعمار وهو :

لما تبدى عذار الحب قلت له
رفقاً ومهلا عليه أيها الجاني
لا تخش شيئاً فما في الخد محتمل
بأن يحط عليه عرق ريحان

ويضارعه النمام . قال ابن الجوزي انه حار يابس قوي التحليل لما في الدماغ من الفضول البلغمية والصداع البارد ونقلت من خط البدر البشتكي قوله فيه :

اني أرى البستان فيه ثلاثة
عندي بها حسناته آثام
العين صافية به ونسيمه
واش وزهر رياضه نمام

ومن لطائف الصفي الحلي قوله فيه :

ومجلس راق من واش يكدره
ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقي وليس به
بين الندامى سوى الريحان نمام

ويعجبني قول ابن تميم :

ولم أنس اذ زار الحبيب بروضة
وقد غفلت عنا وشاة ولوام
أقول وطرف النرجس الغض شاخص
الينا وللنمام حولي إلمام
أيا رب حتى في الحدائق أعين
علينا وحتى في الرياحين نمام

ومن محاسن الشام شقائق النعمان . قال صاحب المفردات : في الثانية وهو صنفان : برى وبستانى . ومن البستانى ما زهره أحمر ومنه ما زهره الى البياض وله ورق شبيه بورق الكزبرة الا انه أدق تشريفاً وساقه أخضر رقيق وورقه منبسط على الأرض وأغصانه شبيهة بشظايا

القصب رقاق على أطرافها الزهر مثل زهر الخشخاش وفي وسط الزهر رءوس لونها أسود وكحلي الى السواد وأصله في عظم زيتونة أو أعظم . وأما البري منه فانه أعظم من البستاني وأعرض ورقاً وأصلب ورءوسه أطول وله زهر أحمر قانٍ وفيه ما بعضه أحمر وبعضه أصفر وله أصول دقاق كثيرة وهو أشد حرافة من غيره

ومن النـاس من لم يفرق بين شقائق النعمان البرى وبين النبات الذى يقال له «ارغمامونى» وزهر الصنف من الخشخاش الذي يقال له رواس . وهو رمان السمال لتشابه لون زهرها في الحمرة . وهـذا غلط فان زهر الارغماموني وزهر الصنف من الخشخاش المسمى بالرواس اقل اصباغاً في الحمرة من شقائق النعمان . غـير ان ظهورها في الزهر كظهور الشقيق . وقوى الشقيق حارة جاذبة فتاحة . وكذلك الشقيق اذا مضغ اجتذب البلغم . وعصارته تجلو الآثار الحادثة في العين عن القرحة ، والاكتحال بها يسود الحدقة ويمنع الماء النازل ويحدر الطمث اذا احتملت

به المرأة ويدر اللبن . واذا خلط زهره مع قشور الجوز الرطب صبغ الشعر وقلع القوباء والله اعلم . انتهى

وفيه يقول الشريف الرضى :

جام تكوّن من عقيق أحمر
ملئت دوائره بمسك أذفر
خط الربيع قوامه فأقامه
بين الرياض على قضيب اخضر

بلدينا العلاء بن ايبك الدمشقي قوله فيه :

وشقيقة حمراء ذات توقد
مطوية في اليوم تنشر في غد
فكأن حمرتها وحسن سوادها
خد الحبيب زها بخال أسود

وانشدني فيه ذو الوزارتين صاحب الصناعتين الشهاب الخلوف :

خلت الشقيق وقد يرى في زرعه
شققاً تقطع في سماء زمرد

وكان اسوده اذا لاحظته
آثار كحل في لواحظ أرمد

ونقلت من خطه وانشدنيه :

ما للشقائق اذ ابدى الربا زهراً
يفترّ عن مبسم كالدر منتضد
اسودّ باطنها من نوره حسداً
حتى الشقائق لا تخلو من الحسد

وانشدنى ونقلت من خطه :

وروضة أُنُف ابدى الغمام بها
شقائقاً شكلها يبدى لمن رمقا
غيرى بكت وأبانت شعرها وذوت
فضل النقاب وأدمت خدها حنقا

ونقلت من كتاب (خمائل العطار) للدنيسري احمد العطار قوله :

كفى الروض حسنا ان بين زهوره
شقيقة نعمان تلوح وتبتدي

كجام عقيق وسطه قرص عنبر
وخد به خال ومقلة أرمد

ونقلت من خط ابن حجة قوله :

سألت الشقيق الغض عن نقطة بدت
على خده والروض منها تعطرا
فقال سواد المسك هام بوجنتي
وقد اكثر التقبيل فيها فأثرا

وقال أيضا التقوى ابن حجة :

انهض الى جنة روض زاهر
لا يعتريك في مقالي شك
وانظر الى كأس شقيق ملئت
رحيق طل والختام مسك

ونقلت من خط القاضى بدر الدين الدماميني المالكي الاسكندري :

سوادك يازهر الشقائق قد زها
بحمرة أوراق يروق سناؤها

يحاكي قلوباً بالصدود تسودت
وجرّحها لحظ فسالت دماؤها

ومن بديع اكتفائه قوله :

شقائق النعمان ألهو بها
ان غاب من أهوى وعز اللقا
والخد في القرب نعيمي وان
خاب فاني أكتفى بالشقا ئق

ومن غزل ابن منقذ قوله :

الا عجب صاغ الربيع من الزهر
مداهن تبر لم يصغن من التبر
شقائق في اغصان تبر كأنها
خدود بدت فيها عوارض من شعر

ومن غزل ابن وكيع :

شقيقة جاءتك من روضة
يقصر عنها كل مشموم

سوادها في صبغ محمرّها
كشامة في خد ملطوم

وقال بعضهم :

وبين الرياض الجون زهر شقائق
مطاردها حمر أسافلها سحم
كما طرحت في الفحم نار ضعيفة
فمن جانب جمر ومن جانب فحم

اخذه ظافر الحداد الاسكندري :

وللشقائق جمر في جوانبه
بقية الفحم لم يستره باللهب

وما ارشق قول ابن رشيق :

رأيت شقيقة حمراء باد
على اطرافها لطخ السواد
يلوح بها كأحسن ماتراه
على شفة الصبي من المداد

وقال آخر :

شامتك السوداء يا قاتلي
في خدك الاحمر تحكي الشقيق
شقت قلبي مع سويدائه
فصار قلبي في هواها شقيق

وقال الميكالي وابدع :

تصوغ لنا كف الربيع حدائقا
كعقد عقيق بين سمط لآلي
وفيهن نوّار الشقيق وقد حكى
خدود عذارى نقطت بغوالي

ومن محاسن ابن حمديس الصقلي قوله :

ولم تر عيني بينها كشقائق
تبلبلها الارواح في الورق الخضر
كما مشطت غيد القيان شعورها
وقامت لرقص في غلائلها الحمر

قوله :

وترى شقائقه خلال رياضها
اوفت مطاردها على أزهارها
فكانها والريح يصقل خدها
والسحب تملأها بماء نضارها
أقداح يا قوت لطاف اترعت
راحاً فبات المسك حشو قرارها
وكأنها وجنات غيد أحدقت
بخدودها حمرا خطوط عذارها

ونقلت من خط الجمالي علي بن الكمالي ظافر الخزرجي، من كتابه (التشبيهات) :

انظر الى حسن شقيق الربا
تنظر الى ما يحمل الزهرا
من كل حمراء بها نقطة
سوداء طابت بيننا نشرا
كمثل خد فوقه شامة
مسودة قد انبتت شعرا

او قطعة المسك اذا القيت
في وسط كأس ملئت خمرا

ومن مخترعاته قوله :

ولاح لنا زهر الشقائق تابعاً
كمثل زنوج ضرجتها دماؤها

ومن دقائق ابن وكيع قوله :

قم فاسقني يا رفيق من السلاف الرحيق
اما ترى الطل يحكي على احمرار الشقيق
لآلئـا ضمنتهـا مداهن من عقيق

واحسن منه :

والشمس لا تشرب خمر الندى
في الروض الا بكئوس الشقيق

ومن أهاجي جمال الدين الخزرجي قوله :

اني لابغض في الشقائق منظراً
سمجاً لان اديمه لون الدم

فكأنما هي جرح طعنة اسمر
قد شد اوسطها بقطعة مرهم

وقال أبو النصر سالم بن سعاد الحمصى في الشقيق والنرجس :

وروض اريض من شقيق ونرجس
لنوريهما من تحت قضب الزبرجد
خدود عقيق تحت خيلان عنبر
واجفان در تحت أحداق عسجد

ومن بليغ الارجاني قوله :

لما تباشر اصباحاً شقائقها
بانت وكانت قمصها حمرا
ردت على رأسها الاذيال من طرب
لجعلهن على من بلغ الخبرا

وقال الصنوبري في الورد والشقيق :

قد أحدق الورد بالشقيق فاشرب عقيقاً على عقيق
كأنه حوله وجوه مستشرفات على حريق

وقال ابو نصر في الشقيق والسوسن:

وروضة زهرها عند الصباح غدا

يدعو الندامى الى شرب بتغليس

شقائق مثل أعراف الديوك بها

وسوسن مثل اعراف الطواويس

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى:

انظر الى الزرع وجماته

تحكي وقد هبت عليها الرياح

كتيبة خضراء مهزومة

شقائق النعمان فيها جراح

ومن محاسنه قوله فيه:

شقيقة شق على الورد ما

قد كسيت من خالص الصبغ

كأنها لما بدت وجنة

قد بان فيها طرف الصدغ

ومن محاسن الشام الينلوفر. وهو أصفر وازرق

و بنفسجي واحمر . قال ابن الاثير في عجائبه يسمى « حب العروس » . وهو نبات هندي وا كثر ما ينبت بنفسه في مستنقعات الماء وراكدها ولا ينبت الا في الماء العذب الواقف من أرض طيبة ومن شأنه أنه يحوّل وجهه الى الشمس اذا طلعت ، ويزيد انفتاحه بزيادة علو الشمس ، فاذا اخذت الشمس في الهبوط اخذ في الانضمام حتى يكمل انضمامه عند غيبوبة الشمس ويغطس في الماء . ويقال ان طائراً لطيفا يدخل في الزهر وينضم عليه ويغيب في الماء ليله فاذا أصبح طلع وتفتح فيخرج الطير

وهو بارد رطب مسكن للصداع الحار ويكسر شهوة الجماع وينفع من الاحتلام اذا شرب منه درهم بشراب الخشخاش ويجمد المني . قال ابن البيطار : في الرابعة هو نبات له ورق شبيه بورق القلقاس الا أنها أرق واسمه فارسي معناه النيل له اجنحة تنبت في المياه الراكدة والآجام وورقه من أصل واحد . وقال ابن الجوزي : شبه البنفسج في قوته ومنفعته إلا انه ابرد وأرطب يذهب وجع

الاسنان اذا استعمل مضغة وينقى السوداء والبلغم وانفعه الاصفر وهو من خواص الشام . انتهى

وفيه يقول المطوعي وابدع :

وبركة حفت بنيلوفر
قد جمعت من كل لون عجيب
كأن نيلوفرها عاشق
نهاره يرقب وجه الحبيب
حتى إذا الليل دنا وقته
وانصرف المحبوب خوف الرقيب
اطبق جفنيه عسى في الكرى
ينظر من فارقه عن قريب

وقال فيه :

خناجر من حناجر ترعت
وهي على الماء من دم حمر

ومن لطائف الباخرزي قوله فيه :

اشرب على بركة نيلوفر
مخضرة الاوراق حمراء
كأنما ازهارها اخرجت
السنة النار من الماء

ومن تشابيه ابن حمديس الصقلي قوله :

ونيلوفر أوراقه مستديرة
تفتح فيما بينهن له زهر
كما اعترضت خضر الفراش وبينها
عوامل ارماح أسنتها حمر

ومن مقاصده قوله فيه :

لا تغفلن عن الصبوح وقم بنا
ننعم بطيب لذاذة للأنفس
في بركة تبدى لنا نيلوفرا
خضلا تضاحكه عيون النرجس
كأسنة من فضة قد خضبت
بدم ولفت في عصائب سندس

ومن محاسن ابن سحنون خطيب النير بين قوله :

يا حسنه نيلوفراً في مائه
طافٍ وفي احشاه نار تسعَّر
يحكى أنامل غادةً مضمومة
جمعت وزينها خضاب أخضر

ومن غراميات عبد الجليل بن دهبول قوله :

وبركة تزهو بنيلوفر نسيمه أشبه ريح الحبيب
حتى اذا الليل دنا وقته ومالت الشمس لحين المغيب
اطبق جفنيه على إلفه وغاص في الماء حذار الرقيب

ومن تشابيه ابن تميم قوله :

ونيلوفر كالزهر شكلا ومنظرا
محاسنه فيها اللواحظ ترتع
وكل نجوم لكنِ الفرق انها
تغيب صباحاً وهي في الصبح تطلع

وقال فيه :

وناظر نحو عين الشمس يرقبها
حتى اذا غربت اغضى بتنكيس
كأنه ودروع المـــاء تشمله
تحت الشعاع اكاليل الطواويس

ومن بدائعه قوله (١) :

نيلوفر النيـل قد ابدى تلونه
واحمر وارزق من شامينا وشكا
قلنا له ذاك لون واحـد وبه
يسمو وانت بليد وهو فيه ذكا

وقال فيه :

ونيـلوفر حاكى النجوم جهـالة
ولم يدر أن الزُّهر يعنو لها الزَّهر
فلما بدا في الليل نكس رأسه
حياً واختفى في الماء حتى بدا الفجر

(١) وفي نسخة : ونقلت من خط التقوي بن حجة وأجاد ثم أفاد بقوله

ومن بدائعه قوله :

ونيلوفر يحكي النجوم وماؤه
يحاكي سماء لايغايرها وصفا
يغيب كما غابت ويبدو كما بدت
ويشبهها شكلا ويفضلها عرفا

ومن مقاصده قوله فيه :

ياحسن نوفرة [1] صفراء حين بدت
ابدت محاسنها عن منظر عجب
كانها حية في الماء سابحة
يبدو على رأسها تاج من الذهب

احمد بن الخلوف رحمه الله تعالى :

ونيلوفر شبهته في غديره
بقايا سلاف في كئوس زجاج

(١) قال الزبيدي في التاج ان العوام يسمون النيلوفر « نوفر » كجوهر

مثل أذناب الطواويس اذ غدا
يموّه بالياقوت صفحة عاج

بالمدينا العلاء بن ايبك الدمشقي قوله :

ياحسنه في بركة قد أصبحت
محشوّة مسكا يشاب بندّه
وكأنه اذ غاب عند مسائه
في الماء واحتجبت نضارة قدّه
صب تهدده الحبيب بهجره
ظلماً فغرّق نفسه من وجده

وقال الامير مجير الدين محمد بن تميم فيه :

لما حكى زهرَ الكواكب نوفر
واقام وهو على المطال حريص
خاف الحريق وقد رمته بشهبها
فلذاك امسى في المياه يغوص

وقال فيه :

نيلوفر [غض] تلبس ماءه يوماً وتاه على النجوم بذويه

لحظته أعينها فنكس رأسه   خجلا وغاص من الحيا في ثوبه

ومن محاسن الشام البان . قال ابن البيطار : شجره يسمو ويطول في استواء ، وخشبه خوّار خفيف وقضبانه سمجة خضر وهدبه ينبت في القصب وهو طويل أخضر شديد الخضرة وثمرته تشبه قرون اللوبيا الا ان خضرتها شديدة وفيها حب فاذا انتهى انفتق وانتثر حبه ، وهو ابيض أغبر نحو الفستق ومنه يستخرج دهن ويقال لثمره السوع (١) وهو مربع ويكثر على الجدب واذا أرادوا طبخه رض على الصلاية وغربل حتى ينعزل قشره ثم يطحن ويعتصر وهو كثير الدهن ودهنه ينفع من الكلف والنمش ومن الجرب والحكة والعلة التي يتقشر معها الجلد ، ويلطف صلابة الكبد والطحال وماؤه يستخرج في شهر كانون الثاني ، يشد القلب . وخشبه يعمل منه الخلالات وهو عطر الرائحة

الشاب الظريف محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله :

(١) في مفردات ابن البيطار « الشوع » وفي كتب اللغة « السياع » كسحاب

تبسم زهر البان عن طيب نشره
وأقبل في حسن يجل عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة
فان غصون البان تصلح للقصف

ومن لطائف ابن قرناص قوله :

مذاقبل الصيف وولى الشتا اذهب عنى البرد والقرّا
أما ترى البان على غصنه قد قلب الفرو الى برا

ومن اغراض ابن تميم قوله :

ياهاجراً روضاً لاجل البان اذ ولى به والورد فيه مصان
أرأيت روضاً شب فيه ورده ينسى اذا ماشاخ فيه البان

ومن محاسن الشام « قف وانظر » قال ابن البيطار : هذا من خواص (دمشق) وما والاها من أرض الشام، ويعرف بالآس البري . وهو نبات له ورق شبيه بورق الآس البستانى الا انه اعرض منه وفي طرفه حد شبيه بطرف سنان الرمح وله ثمرة مستديرة في وسط الورقة بعرق اخضر يشبه الشريط واذا انضجت كان لونها احمر

كالمرجان وفي جوفه حب صاب وله قضبان شبيهة بقضبان النبات الذى يقال له لوقس كثيرة مخرجها من اصل واحد طولها نحو من ذراع بواحد مملوءة ورقا [وأصله شبيه بأصل النبات الذى يقال له اعرسطس اذا ذيق كان (١)] عفصا مائلا الى المرارة وورق هذا النبات وثمره اذا شربا بالشراب ادرا البول وفتتا الحصاة وادرا الطمث وقد يبرىء اليرقان وتقطير [البول] والصداع وينبت في مواضع خشنة واجراف قائمة . انتهى

وأما تمر الحنا فانه يطلع خارج البلد فى الغور وفى الارض الحارة من قرى الشام ويعمل منه دهن . وفيه يقول السراج الوراق :

ودوحة تامر لما تبدت كاذناب الثعالب فى المثال
عليه دق كافور سحيق تضمخ بالمسوك وبالغوالي

ومن تشابيه تاج الدين الكندى فيه :

(١) هذه الزيادة من مفردات ابن البيطار في مادة (آس بري)

ودوح رياض كلما استقطر الندى
اعار بسيط الارض ثوب ظلال
ترى تمر الحناء فيه كأنه
اكف عذارى فى شباك لآلى

وانشدني فيه الشيخ علاء الدين على البلاطنسى الشافعى :

سابق الى رشف الطلا بحديقة
فيها خدود قد زهت وثغور
قد خلت فيها تمر حناء غدا
شبه الكفوف الى المدام يشير

ومن محاسن الشام الحيلانى وهو شجر يشبه الصفصاف غير انه فى اوائل الربيع تصبغ جميع أغصانه بالاحمر كقضبان المرجان وله رؤية بديعة

وفيه يقول الشيخ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي :

لنا حيلانة قد حالفتنا
تسر بها الخواطر والعيون

فقلت لصاحبي لما تبدت
متى نبتت من الشفق الغصون

ويلحق به شجر الزنزلخت وله زهر طيب الرائحة يخرج في أيام الورد . وفيه يقول مؤلفه البدري :

وزنزلخت أبيض مع أحمر في غصن
كالدر والياقوت أو ثياب خام يمني

وكذلك شجر السرو فان رؤيته حسنة وأكثر ما يوجد بدمشق

وفيه يقول احمد بن وضاح :

ايا سرو لا يجتزّ منابتك الحيا
ولا بزّ عن اغصانك الورق النضر
وقد كسيت اعطافك الملد مثاما
تلف على الخطيّ راياته الخضر

وانشدني ذو الوزارتين احمد الخلوف التونسي المالكي :

وسروة شق النسيم رداءها
فابدت فصوص التبر في الحلل الخضر

كزنجية ماست بغنج وشمرت
عن الساق ذيلا واكتست حلة الشعر
اذا سقيت كأس الهنا قضب سوقها
امالت رءوسا لا تمل من السكر

ونقلت من خطه وانشدنيه :

وسرو كزنج شمروا الذيل اذ غدوا
يهزهم خفق الربابة للطرب
اذا مشطت ايدي النسيم فروعها
ترى حللا خضرا تزرَّر بالذهب

وفيه من رسالة القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قوله « والاغصان قد اخضر نبت عارضها ، ودنانير الازهار ودراهمها تهيأت لتسليم قابضها . والحور قد حاور السهى بالتباشير ، والسرو قد كشفت عن سوقها وقالت لها الغدران بهديرها انه صرح ممرد من قوارير »

وانشدني شيخنا العلامة بقية السلف ابراهيم الملاح :

ولما رأيت السرو في الروض مائساً
وايدى الهوا فيه تزيد وتنقص
حسبت رفاعيا اتى قاعة الهنا
واسبل فيها شعره وهو يرقص

قلت : وجميع هذه المحاسن بالحواكير ، غير ان الماء لا يصل اليها الا بجهد كبير . لعلوها عن (نهر يزيد) ، فاصطنعوا لها الدولاب ودورانه بكل بهيم شديد . وفيه يقول ابن لؤلؤ الذهبي :

حا كورة دولابها الى الغصون قد شكا
من حين ضاع زهرها دار عليه وبكى

ودار في دولابه الصلاح الصفدي حيث قال :

ابدى لنا الدولاب قولا معجبا
لما رآنا قادمين اليه
اني من العجب العجيب كما ترى
قلبي معي وانا ادور عليه

والاصل فيه قول ابن تميم فيه :

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى
ودمعهما بين الرياض غزير
وضاع النسيم الرطب والروض منهما
فاصبح ذا يجري وذاك يدور

ومن معاني ابن دمرداش قوله فيه :

ورب دولاب سقى دوح الحمى
فاعادها سكرى على الاطلاق
وجدتْ كوجدي بالهوى لخمارها
مثلي وحقك من عيون الساقي

ومنه قول الشهاب الخفاجي :

حالة الدولاب دلت انه في فرط حزن
كان يسقى ويغنى صار يسقي ويغني

ونقلت من خط احمد بن صالح قوله :

دولابنا صب طليق دمعه
مأسور حب قلبه وضلوعه

يبكي على فقد الاحبة ناثراً
من بعدهم جهد المقل دموعه
ومن لطائف ابن تميم قوله :
ودولاب روض كان من قبل اغصنا
تميس . فلما فرقتها يد الدهر
تذكر عهداً بالرياض فكاه
عيون على أيام عهد الصبا تجري
ومن معاني الأسعدي قوله :
شاهدت دولاباً له ادمع
تكفلت للروض بالرى
فاعجب له من فلك دائر
ما فيه برج غير مائي

ومن محاسن الشام ارض (المزّة واللوان) . فان حكماء اليونان لما رأوا الجانب الشمالي يصلح لزراعة الازهار ورأوا طيبة ارض الجانب القبلي اختاروها لغرس الاشجار فمنه المشمش وهو أحدٌ وعشرون صنفاً بدمشق :

حموى ، سندياني ، اويسي ، عربيلي ، خراساني ، كافوري ، بعلبكي ، لقّيس ، لوزي ، دغمشى ، وزيري ، كلابى ، سلطاني ، حازمي ، ايدمري ، سنيني ، بردى ، ملوح ، فراط النجاتي ، جلاجل القلوع

قال جالينوس في السابعة وهي ثمرة باردة أحسن من الخوخ وأجود منه لكونه لا يفسد كما يفسد الخوخ في المعدة ولا يحمض . واذا اكل المشمش بعد الطعام فسد وطفا فى رأس المعدة وان كان فيها فضل رديء استحال الى طبيعة ذلك الفضل فلا يؤكل الا قبل الطعام ويشرب فوقه السكنجبين

وقال ديسقوريدوس : في الاولى له طعم أحسن من طعم الخوخ وأجود للمعدة ويسهل الصفراء ويولد خلطاً عظيما غليظا

وقال الرازى فى (الحاوي) اتاني رجل أبخر فحدست أن المشمش يذهب بخره ، فاطعمته من رطبه فذهب البخر . ثم كان يستعمل نقيعه دائما فلا أحسب أنه يوجد شيء

أشد لاتبريد منه . وقال أيضا في كتابه (دفع المضار) انه يبرد المعدة جدا ويورث الجشأ الحامض ويقمع الصفراء والدم ـ ولا سيما ان كانت معه ادنى مرارة ـ وينبغي أن يجتنبه من تكاثر به الرياح ومن يسرع اليه الجشأ الحامض واذا اخذ عليه الشراب الصرف والجوارشن الكموني والكندري نفعه . فاما اصحاب المعدة الحارة والجشأ الدخاني والعطش الدائم فكثيراً ماينتفعون به ولا سيما في يوم بعد يوم ويوم يمسهم فيه حر وعطش ولا ينبغي ان يشرب عليه ماء الثلج . ويؤخذ لمن يكثر من أكله الاهليلج ثم بزر الرازيانج والسكر ليؤمن بذلك من المائية التي تتولد عنه في الدم فانها تتعفن على الايام وتهيج الحميات ان لم تتدارك بما قلناه الا أن يكثر من التعب حتى يجري منه العرق الكثير وتصيبه هيضة قوية أو يُدمن شرابا قويا يغزر عليه بوله وعرقه . وأقل ضرراً من جميع اصناف المشمش الحموى لرقة حاشيته وحسن طعمه وحلاوته وعطر رائحة نواره

وفيه يقول جحظة :

ومشمش زهره كالزُّهر مشرقة
بحسن ما فيه من نَور ومن نُور
كأن محمره في وسط أبيضه
حكى عقيقا على جامات بلور

وقال ابن سينا المشمش له نوار ابيض مسدس مخضب بالحمرة عطر الرائحة ، ثم يعقد مع اخراج الورق كاللوز الاخضر بقاب ابيض ويخشب ويطبخ منه الطعام المعروف بالمشمشية ثم يصفر ويأخذ في الانضاج حتى ينتهي فينشف ويحمل منه الى البلاد

وفيه يقول محمد بن عطية بن حنان الكاتب القيرواني :

ومشمش ما بدا يوما لذي بصر
الا وأصبح بين العجب والعجب
كأن مخبره وصفا ومنظره
شهد تكنفه قشر من الذهب

ومن تشابيه ابن وكيع قوله :

بدا مشمش الاشجار فيها كأنه
يلوح على تلك الغصون الموائل
قباب بعمر الذبائح ضرجت
وقد زينت من عسجد بجلاجل

ونقلت من خط الشرف القواس الدمشقي :

خلت في الروض مشمشاً جاء في الحمل بالعجب
كسماً من زبرجد بنجوم من الذهب

ومن محاسن بلدينا العلائى بن ايبك :

ومشمش جاءني من أعجب العجب
اشهى إلىّ من اللذات والطرب
كأنه في هبوب الريح تنثره
بنائق خرطت من خالص الذهب

ومن تشابيه الصلاح الصفدي قوله :

بدا مشمش الاشجار يذكى شهابه
على حسن أغصان من الدوح ميّدِ

حكى وحكت اشجاره في اخضرارها
جلاجل تبر في قباب زبرجد

ومن لطائف ابن تميم قوله وقد اهداه لبعض أصحابه :

امولاي عز الدين يا من جميله
الى قاصديه ما عليه عيار
جسرت وقد اهديت نحوك مشمشاً
وذلك شيء ما عليه غبار
وما كان هذا لونه غير أنه
علاه لخوف الردّ منك صفار

ومن محاسن الشام القراصيا : وهي سبعة اصناف رشيدية ، بعلبكية ، افرنجية رومية ، طعامية ، بزرة ، وفيجية ـ نسبة لقرية عين الفيجة ، وهي تحمل منها الى السلطان بالديار المصرية ـ وأحسنها البلدية المنسوبة لواد مكرم وهو بين الربوة الى تحت صحن المزة

قال ضياء الدين بن البيطار : القراصيا أنواع ، فمنها الحلو والمر والعفص والحامض . فالحلو منه حار رطب في

الدرجة الثانية ينحدر عن المعدة سريعاً ويثير التخم ويرخي المعدة ويستحيل مع كل طبع واذا اكل اسهل البطن ولين الطبيعة ولا سيما إذا ابتلع بنواه وهو مع ذلك يزيد في الانعاظ .

وقال اسحاق بن عمران : خلط القراصيا غليظ مزلق فاسد الغذاء يولد السوداء ، وحامضه الذي لم يطب قاطع للعطش عاقل للبطن .

وقال ديسقوريدوس : في الاندلس حب الملوك وفي بلاد الروم الكراز . وهي شجرة معروفة أغصانها سبطة مشوبة بحمرة ولها ورق أطول من ورق المشمش ولها ثمرة شبيهة بحبة العنب في التدوير ، تتدلى في شيء شبه الخيوط الخضر اثنان اثنان في الغالب وازيد من ذلك ، ولونها أحمر ومنها ما يكون اسود وأشقر ، وفيها ما هو منصبغ ببعض حمرة .

وهو في الاولى ، وان استعمل رطبا لين البطن ، وان استعمل يابسا أمسك البطن ، وصمغه ـ اذا خلط

بشراب ممزوج بماء - يبرىء السعال ويحسن اللون ويحد البصر وينهض الشهوة وينفع من به حصاة

وقال جالينوس : في السابعة وفيه قبض ولكن ليس هو سواء والحامض اكثر قبضا وينفع المعدة البلغمية المملوءة فضولا لان الحامض يجفف اكثر من تجفيف العفص والحلو . وصبغ هذه الشجرة فيه من القوة العامة الموجودة في جميع الادوية اللزجة التي لا تلذع معها فهي كذلك نافعة من الخشونة الكائنة في قصبة الرئة . واذا شربت بشراب نفعت صاحب الحصاة لان فيها قوة لطيفة

وطعام القراصية نافع ولذيذ ومسهل والله أعلم . اهـ

وفيه يقول مؤلفه رحمه الله :

كأنما القراصيا لما بدت للنظر
حبة مرجان ترى في رأس خيط أخضر

وله أيضاً :

تحكي القراصيا وقد لاحت بعرق نضر

كنجمة في شفق بدت بذيل أخضر

وله أيضاً :

ان القراصية التى زهت بلون مورد
كعقيقة حمرا بدت بعلاقة تحكي الزبرجد

ومن محاسن الشام الكمثرى . وهو باليونانية الانجاص وهو أصناف : عثمانى . عيلانى . خلاني . سمر قندي . صيني . ملكي . صقلانى . مغاربى . يبرودي . رحبي . درسى . قناديلى . خنافسي . معنق . دهروري . عريب . بعلبكي . ماوردى . عقربانى . شتوي . صيفي . سكري قهلي

قال ابن سينا : وفي بلادنا نوع من الكمثرى يقال له شاه امرود كبير الحجم شديد الاستدارة رقيق القشرة حسن اللون وكأنه ماءسكر منعقد جامد يميل الى الصفرة يتكسر للجمود لا لغلظ الجوهر طيب الرائحة جداً اذا سقط عن شجره اضمحل وهذا مما لا مضرة فيه ولا يحمل من بلده وهو معتدل رطب

وقال جالينوس : ورق الكمثرى واطرافها قابضة فاما ثمرتها ففيها مع قبضها حلاوة ومائية . واجزاء هذه الثمرة ليست متساوية المزاج وان منها ما هو أرضي ومنها ماهو مائي . وان شئت قلت من وجه آخر بعضها بارد وبعضها معتدل المزاج . من اجل ذلك متى اكل الكمثرى قوى المعدة وسكن العطش ، ومتى وضع كالضماد جفف وجلا جلاء يسيرا ، وبهذا السبب أعلم اني قد ادملت به جراحات عند ما كنت لا أقدر على دواء آخر

والكمثرى البري اكثر قبضاً وتجفيفا من سائر الكمثرى فهولذلك يدمل ماهو من الجراحات ويمنع المواد من التحلب

وقال (ديسقوريدوس) : في الاولى الكمثرى وهي اصناف كثيرة وكلها قابض ، ولذلك يستعمل في الضمادات المانعة من مصير المواد الى الاعضاء . واذا أخذ أو شرب طبيخه بعد أن يجفف عقل البطن ، واذا اكل الكمثرى والمعدة خالية اضر بآكله . وورقه ايضاً قابض ، ورماد

خشبه قوي المنفعة للذين يعرض لهم خنق من اكل الفطر وهو مايظهر بارض الشام على ضرب الكمأة . وقد قال قوم انه اذا طبخ الكمثرى البري مع الفطر يعرض آكله

واعترض اسحق بن عمران على قوله في ان الكمثرى اذا اكلت على الريق تضر بآكلها ولم يخبر بالسبب في ذلك ولا أى الكمثرى يفعل ذلك. فأقول انه ذم الكمثرى على الريق اذا اخذ على سبيل اللذة والغذاء لا على سبيل الحاجة والدواء، وخاصة اذا كان عفصا او قابضا ،وان كان العفص أخص بذلك لان من خاصيته ان الاكثار منه يولد النفخ فاذا اخذ على خلاء المعدة تمكن من جرمها وقام فعله فيها ولم يؤمن على صاحبه مع الادمان عليه أن يورثه قولنجا يعسر انحلاله . فأما على سبيل الحاجة للدواء فان استعماله على الريق لا محالة أفضل لان استعماله بعد الطعام مطلق وزائد في ضعف المعدة لانه بافراط قبضه يجمع أعلى المعدة وتقهر القوة الممسكة التي في أسفلها . وأما العفص من الكمثرى فهو أقل غذاء واقطعها للاسهال والقيء المراري

وأشدها مئونة للمعدة والامعاء، لانه لافراط خشونته وغلظ جسمه وبعد انقياده مضر بعصب المعدة جداً. ولذلك وجب أن يتلطف له بما يرخي جسمه ويزيل غلظه ويلين خشونته مثل سلقه في الماء أو تعليقه على بخار الماء حتى ينضج أو يلبس عجينا ويشوى ويربى بسكر الطبرزد أوعسل على حسب مزاج المستعمل له

وقال البصري: الكمثرى الحلو بارد في الاولى يابس في الثانية والصيني منه بارد في الدرجة الثانية رطب في الدرجة الاولى وفيه عطرية وقبض وتقوية القلب والتفاح خير منه

وقال اسحق بن عمران : الحامض منه دابغ للمعدة مدر للبول مشهٍ للأكل

وقال بقراط : ما كان من الكمثرى صلبا فهو يبرد ويجفف ويعقل البطن وما كان لينا نضيجاً حلواً فهو يسخن ويرطب ويطلق البطن

قلت وخالف البصري في قوله « والكمثرى ألذّ من

التفاح ومايتولد منه في البدن احمد مما يتولد من التفاح وهو أسرع انهضاما »

وقال الرازي في (الحاوي) : الخالصُ من الحلاوة من الكمثرى لا يبرد ، وأكله يعقل البطن الا أن يؤكل بعد الطعام فيسرع باحدار الثقل ثم تكون عاقبته عقل البطن . والصيني أقل ماء وأقوى فعلا وأشدها عقلا واكثرها في تسكين العطش.

وقال في كتابه المسمى بدفع مضار الاغذية : الكمثرى كثير النفخ بطيء الانهضام . وينبغي أن يحذره من يعتريه القولنج ولا يشرب عليه ماء بارداً ولا يأكل بعده طعاما غليظا ، واذا أكل منه فليكن على جوع صادق ، وليطل النوم بعده ويشرب عقيبه شرابا عقيقا صرفا أو ياخذ عليه زنجبيلا مربى ثم يجعل ادامه في ذلك اليوم مرقة اسفيدباجة أومرق مطجنة ويدع لحمها ولا يتعرض للمشوى وان اكل مع السمين المهري بالطبخ لم يضره ذلك. والكمثرى مقو للمعدة ضار للمبرودين ومن يعتريه القولنج وشره

أُخِذهُ واقله حلاوة ونوار الكمثرى ابيض مستدير مشرق
اكبر من نوار الخوخ واعظم رائحة . انتهى والله اعلم

وفيه يقول عبد الله بن برغش :

وكمثرى تراه حين يبدو
على الاغصان مخضر الثياب
كثدى خريدة ابدته تيها
له طعم الذ من الشراب

وما ارشق قول ابن رشيق فيه :

نظرت الى البستان احسن منظر
وقد حجب الاغصان شمس المشارق
به زوج رمان يلوح كأَنه
قناديل تبر محكمات العلايق

ومن تشابيه صرَّ درّ قوله فيه :

حيي بكمثراية لونها
لون محب زائد الصفره

تشبه نهد البكر ان اقعدت
وهي لها ان قلبت سره

ومن محاسن الشام التفاح . وهو بدمشق اصناف كثيرة فلنذكر بعضها : سكري . مسكى . فتحي . صيني . شتوي . بلدي . صيفي . قاسمي . فاطمي . تحابي . فضي . حديثي . جناني . حرستاني . لبناني . حلوانى . دهشاوي . اخلاطي . بريري . نبطي . ماوردي . بطيخى . مجهول

قال البصري : نواره اشبه شيء بازرار الورد عند ظهوره ثم يفتح مع اخراج ورقه برائحة طيبة الشذا

وفيه يقول ابن عمار :

وزهر تفاح اضحى الغصن منتظما
كأنه لؤلؤ يبدو وياقوت
وللرياض على ارجائها ارج
كان فيه ذكي المسك مفتوت

قالت الحكماء : جسم التفاح صديق الجسم ، وريحه صديق الروح

وقال جالينوس : في السابعة ومنه ماهو حلو ومنه مافيه عفوصة ومنه مافيه قبض ومنه حامض ومنه مابين الحموضة والحلاوة مسيخ الطعم وما كان منه على هذه الاوصاف فالاغلب عليه طبيعة الماء يكون مزاجه ابرد وارطب معاً، وأما الذي فيه عفوصة فالاغلب عليه المزاج الارضي البارد وأما القابض منه ففيه هذا الجوهر المائي البارد كما أن في الحلو منه جوهراً مائيا معتدل المزاج . وكذلك يمكنك أن تستعمل منه ماهو أشد قبضا واكثر حموضة فى ادمال الجراحات وفي موضع مايتحلب في ابتداء حدوث الاورام الحارة الى موضع الورم وفي تقوية فم المعدة عند استرخائها ويستعمل منه ماهو مسيخ الطعم ولا طعم له ـ كالماء ـ في مداواة الاورام التى هي في ابتدائها أو التي في تزايدها وفى جميع التفاح رطوبة كثيرة باردة ، ومما يدلك على ذلك انه ليس منه ولا واحد تبقى عصارته ، بل جميعه اذا عصر فسد عصيره خلا السفرجل فان عصارته تبقى . واليونانيون يدخلونه فى عداد التفاح المسمى نيطروما فان هذين النوعين لشدة

قبضهما ليس فيهما من الرطوبه الا اليسير ، وأما تلك الأنواع من التفاح فكلها ان طبخت عصارتها مع العسل صار منها رب يبقى وان تركت وحدها لم يبق

وقال الرازى : التفاح مقو لفم المعدة موافق للمحرورين الا انه بطىء الهضم وينفخ ولا سيما الفج الحامض وكذلك ينبغى ان لا يشرب عليه من يجد منه ثقلا فى معدته ماء باردا ولا يأكل عليه طعاماً حامضاً بل يشرب عليه الشراب ويأكل امراق المطجنات

وقال الحكماء ان من خاصيته توليد النسيان ويكسل. واذا اخذ اليسير منه نفع من الوسواس السوداوي . وأكل التفاح يحدث الخلط فى البراز وشمه يقوي الدماغ والنفس : والله أعلم بالصواب

وفيه يقول الزين الخراط في جارية أهدى اليها تفاحة:

وعذراء أهديتُ تفاحة ... اليها فقالت تفكه بشاني

حديثى تفاحهُ سكريّ ... كفتحى وتفاح خدى جنانى

واحسن منه قول صلاح الدين بن شاكر الكتبي :

وغادة تيمني حبها تقول صف خدّيَ بالاحمر
فقلت فضى غدا مخضبا قالت حديثي قلت ذا سكري

ومنه قول جلال الدين ابن خطيب داريا :

قالت العذراء لما شاءت المنع بمنحي
هاك تفاح حديثي حلو لا تطمع بفتحي

ومن محاسن صاعد اللغوي قوله :

تفاحة اذكرني نصفها خد حبيبي يوم عانقته
ونصفه الآخر شبهته بلون وجهي حين فارقته

ومن نفثات ابن حبيب قوله :

وتفاحة فيها احمرار وخضرة
مضمخة بالطيب من كل جانب
تكامل فيها الحسن حتى كأنها
تورد خد فوق خضرة شارب

ومن مقاصد ابن نباتة قوله :

كرات عقيق في غصون زبرجد
بكف نسيم الريح منها صوالج

نقلبها طوراً وطوراً نشمها

فهن خدود بيننا ونوافج

وما أرشق قول ابن رشيق القيرواني :

تفاحة شامية من كف ظبي اكحل

ماخلقت مذخلقت تلك لغير القبل

كأنما حمرتها حمرة خد خجل

ومن لطائفه قوله :

وتفاحة من كف ظبي أخذتها

جناها من الغصن الذى شبه قده

لها لمس ردفيه وطيب نسيمه

وطعم لما فيه وحمرة خده

ومن لطائف بشار بن برد :

وتفاحة من خالص التبر نصفها

ومن جلنار نصفها وشقائق

كأن الهوى قد ردّ بعد تفرق

لها خد معشوق الى خد عاشق

ومن أغراض الصاحب بن عباد قوله :

ولما بدا التفاح أحمر مشرقا
دعوت بكأس وهي ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فانها
خدود عذارى قد جمعن على طبق

ونقلت من خط جمال الدين ابى حسن على الخزرجي قوله :

تفاحة محمرة قد بدت
يميلها الريح على غصن
كأنها خدان قد جمعا
يلوح فيها طابع الحسن

ومن محاسن الشام الدراقن وهو أصناف بدمشق ويسمى في القاهرة الخوخ ولم يكن بها سوى الزهري والمشعر فنذكر من أصنافه ما يحضرنا الآن بدمشق : خواجكي ، رصاصي ، حمصي ، نيرباني ، لوزي ، لزيق ،

اقيس ، كلابي ، صالحى ، ختمى ، مظفري ، مسافري ، صوري ، زهرى ، لحم الجمل ، مجهول

قال أبو حنيفة : شجره سريع الأخذ في الارض ، قصير المدة ، أنهى مكثه عشر سنين ، ويضمحل ثمره ، وتنشف شجره ، وله نوّار احمر ينور من أصله الى آخر فرعه ، زهي المنظر

وفي زهره يقول محيي الدين بن قرناص الحموى :

مررت باشجار الدراقن سحرة
وقد رنحت اعطافه نسمة الفجر
فشبهته لما رأيت احمراره
عيون مخامير أفاقوا من السكر

قال جالينوس: في السابعة وفي نفس شجرة الخوخ المسمى بالدراقن بدمشق وقضبانها وورقها مرارة ولذلك متى سحق وضمد به السرة قتل الديدان التي بالجوف. وهو مع هذا يحلل . واما ثمرتها فمزاجها رطب يبرد

وقال في كتاب اغذيته : ان الرطوبة المستكنة في

هـذه الثمرة وجرمها نفسه سريعا الفساد رديئان فى جميع الخصال ، ولذلك لا ينبغي أن يؤكل الخوخ بعد الطعام كما جرت عادة بعض الناس لانه اذا طفا في المعـدة فسد

وقال ابن ماسويه : يولد بلغماً غليظاً سريع الفساد والعفونة في المعدة

وقال الرازي في (الحاوي) : الخوخ يشهي الطعام جيد للمعـدة الحارة والعطش واللهب منها ويزيد فى الباه ويطفي الحرارة

وقال ابن سينا يشبه ان يكون زيادته في الباه للابدان الحارة اليابسة

وقال ابن الجوزي في (لقط المنافع) : الخوخ بارد رطب نضيجه ينفع المعدة ويشهي الطعام ، غير أنه رديء الخلط سريع السلوك في فساد المعدة يصلح للشباب في البلاد الجنوبية ويؤكل بعده الزنجبيل المربى

وقال الرازي في (دفع مضار الاغذية) : الخوخ ينفع المحموم وقت صعود الحمى الحادة اذا كانت غباً خالصة

ويولد في الدم مائية يكمل استحالتها الى الدم بعفن ويهيج الحميات بعد شهر أو شهرين كما يفعل المشمش الا ان الحميات المتولدة من الخوخ اقوى نافضاً واطول مدة والله سبحانه وتعالى أعلم

وفي الخوخ الزهري يقول القيراطي :

حللنا ببستان به الدوح واقف
وجدول صافي الماء من تحته يجري
كان النجوم الزهر زهري خوخه
ولم أر مثلي شبه الزُّهر بالزَّهر

ومن محاسن العلائى الوداعي :

وخوخة قد حكت لونين خلتهما
خدي محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما
فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

ومن لطائف النصر الحمامى قوله :

وخوخة يحكي لنا نصفها
وجنة معشوق رآها الكئيب
ونصفه الآخر شبهته
بلون صب غاب عنه الحبيب

ومن محاسن الشام الآجاص ويسميه اهلها بالخوخ وهو أصناف : صيفي ، زجاجي ، قبرصي ، اسود ، عين البقر ، خوخ الدب ، خوخ الطعام ، اغبر ، شقير ، حايكي ، برقوق ، مجهول ، بزرة . وله نوار ابيض صغير دون نوار الكمثرى

قال ابن ماسويه الآجاص يغذي غذاء يسيراً ويرطب المعدة بلزوجة ويبردها ويلين الطبيعة ويسهل المرة الصفراء ويسكن العطش . وهو صنفان ابيض واسود فالاسود هو الآجاص على الحقيقة ، والأبيض هو المعروف بالشاهلوج وهو بطيء الانهضام وليس بمسهل كغيره وكلاهما بالشام

وقال ابن زهر : الآجاص رديء للمعدة ملين للبطن

واحسنه ما كان بدمشق فانه اذا خف كان جيداً للمعدة ممسكا للبطن ويختار منه ما كان لحميا رقيق البشرة والكبير الرخو القليل القبوضة وأرداه الصغير الصلب الشديد العفوصة الابيض وغالب عليه الزرقة المعروف عند أهل مصر بشقير

والبرقوق نوع منه صغير لكنه اذا نضج حلا

وقال ابن الجوزي : الآجاص بارد رطب المختار منه الاسود الحلو الكبير يلين الطبيعة لكن خلطه غليظ بطيء الانهضام يطلق الصفراء والحامض أشد اطلاقا وينفع الصداع والشقيقة وينقص اليرقان وينفع الشباب في الصيف بالبلاد الحارة . دفع مضرته معجون الورد أو العسل . انتهى والله أعلم

وفيه يقول مصنفه البدري :

يا حسن آجاص اتى ... يحكى لعين البصر
اكراً بدت من فضة ... قد ضمخت بعنبر

وقال ابن المعتز فيه :

لقد شاقني الآجاص لما رأيته
يميل مع الاغصان مع كل مائل
تطلعن من بين الغصون كأنها
فقاح زنوج تحت خضر الغلائل

وكل هذه الاصناف والالوان بالمزة وارض اللوان . وبها الدور الوسيعة الفناء ، المليحة الاساس والبناء . وفيها أعيان الناس ، وهي الجامعة بين حسن الانواع والاجناس. مع الهواء الصحيح ، والاعتدال بالترجيح . وبها سويقتان، فيهما سائر ما يشتهى من الالوان . ومصلى بخطبة وخطبة بجامع جديد ، وفيها ضريح الولي المعتقد الشيخ سعيد. أعاد الله علينا من بركاته ، وأمدنا بصالح دعواته

ويتوصل منها الى قرية (كفر سوسة) وبها معصرة زيت وأشجار زيتون من زمن عيسى عليه السلام ، مع الفواكه الكبيرة بطريق الانضمام

قال ابن البيطار : الزيتون في السادسة وورق هذه الشجرة وعيدانها الطرية فيهما من البرودة بمقدار ما فيهما

من القبض . واما ثمرتها فما كان منها مدركا نضيجا فهو حار حرارة معتدلة وما كان منها غير نضيج فهو أشد قبضاً وبرداً

وقال اسحق بن عمران : الزيتون الاخضر دابغ للمعدة مقو للشهوة بطيء الانهضام رديء الغذاء . واذا رمي في الخل كان أسرع انهضاما . وأكثر عقلا للبطن . واذا عمل بالملح اكتسب منه حرارة وكان ألطف من المنقع في الماء . والزيتون اذا تمضمض به شدّ اللثة والاسنان المتحركة . أما الزيتون الاسود النضيج فانه سريع الفساد رديء للمعدة غير موافق للعين واذا تضمد به منع القروح الخبيثة من أن تسعى في البدن والاسود ينقلب الى المرة الصفراء وهو أسرع انهضاما من الاخضر وورقه قابض اذا دق وسحق وتضمد به نفع من النار الفارسية ومنع الحمرة ان تسعى فى البدن ومنع النملة والقروح الخبيثة وينفع من الداحس والله أعلم . انتهى

وفيه يقول محمد بن دانيال :

كانما الزيتون حول النهر
بين رياض زخرفت بالزهر
عقد زمرد هوى من نحر
أو خرز خرطن من بازهر

ومنها الى أرض المزاز والشويكة وهي من محاسن الشام واليها ينسب الرمان الشويكى

والرمان أصناف : شويكى ، بردي ، ماوردى ، مليسي ، كوفى ، برجنيقي ، سحاقي ، شويخي ، مصري ، سلطانى ، محجر ، مطوق ، تدمري ، لقيط ، حصوي ، طقاطقي ، قطى ، مشبه ، حامض للطعام ، لفان ، رأس البغل ، مجهول

قال أبو حنيفة الدينَوري : شجر الرمان معروف وله نوار أحمر كالازرار ثم يكبر ويفتح كقوالب السكر مشرقة الرءوس بعضها ما هو مثمن والبعض مسدس وداخل هذا القمع نوار اصفر يعلوها ورق أحمر أرقّ بشرة من الحرير . وعند السامرة وعباد النار وغيرهم يسمى

بالمليح المهجور لكون الناس لم يعتنوا بزهره ولا يحتفلون به كغيره

وفيه يقول الامير ابو فراس :

وجلنار مشرق على اعالى شجرَه
كان في رءوسه احمره واصفره
قراضة من ذهب في خرق معصفره

وقال ابن وكيع :

وجلنار بهي ضرامه يتوقد
بدا لنا في غصون خضر من الرى ميّد
يحكي فصوص عقيق في قبة من زبرجد

اخذه الصفدي :

وجلنار تبدى في غصنه يتوقد
كأنجم من عقيق سماؤها من زبرجد

ومن محاسن ابن دمرداش قوله :

لما بدا الجلنار في القضب
والطل يبدو عليه كالحبب

كأنما أكؤس العقيق به قد ملئت من برادة الذهب

قال ابن البيطار : الرمان في الثامنة وكله قابض الا اليسير ، لان الرمان منه حامض ومنه حلو ومنه قابض فيجب ضرورة ان تكون منفعة كل نوع بحسب الطعم الغالب عليه . وحب الرمان اشد قبضا من عصارته واشد تجفيفا وقشره اكثر في الامرين جميعا وحينئذ الرمان الذي تساقط عن الشجر اذا عقد كان اجود

وقال ابن زهر الرمان في الاولى كله جيد الكيموس جيد للمعدة قليل الغذاء والحلو منه اطيب طعما من غيره غير أنه يولد حرارة ليست بكثيرة في المعدة و نفخا ، ولذلك لا ينفع المحمومين ، والحامض انفع للمعدة الملتهبة ، وهو اكثر ادراراً للبول من غيره

وقال ابن الجوزي الحلو حار رطب وقيل بارد معتدل جيده الكبار منفعته يلين الصدر والحلق ويصلح للسعال والباه ويوافق للمعدة ويحدث نفخاً . دفع مضرته بالرمان الحامض يتولد منه غذاء صالح يصلح للامزاج المعتدلة

وللكهول في الخريف

والرمان الحامض بارد يابس لطيف قابض جيده الكثير الماء ينفع للكبد ويقمع الصفراء ويمنع سيلان الفضول الي الحشا ، خصوصاً شرابه . ويدر البول اكثر من الحلو لكنه يضر الصدر والصوت والمعدة ودفع مضرته بالحلواءالعسلية يصلح للامزاج الملتهبة وللشباب في الصيف ومن أكل ثلاثة اقماع من الرمان بشحمه فانه دباغ للمعدة وفيه فائدتان : الاولى انك اذا اردت معرفة الرمانة هل حبها فرد ام ازواج تنظر الى تشريح قمعها ان كان فردا فهى بالفرد وان كان الزوج فهى بالزوج . الثانية انك تطعم انسانا يبغض انسانا مائتى حبة واربعاً وثمانين حبة رمان حلو وتطعم المبغوض في ذلك الوقت بعينه مائتين وعشرين حبة فانهما يتحابان الى الممات • نقلته ممن جربه فصح والله اعلم

ومن لطائف جمال الدين الشواء قوله :

من رام للرمان وصفا يقل ... مثل الذي قد قلت اعلانا
حق نضار لم يزل مودعا ... فيه يواقيتا ومرجانا

وما أبدع كلام أمير المؤمنين المأمون فيه :

رمانة ما زلت مستخرجاً في الجام من حقتها جوهرا
فالجام أرض وبناني حيا يمطر ياقوتا بها أحمرا

ومن تشابيه ابي الحسن الجوهري فيه :

وحبات رمان لطاف كأنها
شوارد ياقوت اطقن عن الثقب
اشبهها في لونها وصفائها
بقطرات دمع وردت من دم القلب

ومن محاسن كشاجم قوله :

ومحمرة من بنات الغصون ويمنعها ثقلها أن تميدا
منكسة التاج في رأسها تفوق الخدود وتحكي النهودا
تغض فتفترّ من مَبْسم كأن به من عقيق عقودا

ومن محاسن ابن الرومي قوله :

ولما فضضت الختم عنهن لاح لي
فصوص عقيق في بيوت من التبر

فدرّ ولكن ليس يدنيه غائص
وماء ولكن في مخازن من جمر

ومن معاني ابن حمديس قوله :

قد لاح رماننا بروضته بين صحيح وبين مفتوت
من كل مصفرة مزعفرة تفوق في الحسن كل منعوت
كأنها حقة فان فتحت فصرّة من فصوص ياقوت

ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله :

ورمان رقيق القشر يحكى نهود الغيد في اثواب لاد
اذا قشرته طلعت لدينا فصوص من عقيق اونجاد

ومن مخترعات على بن سعيد الخيرى الانصاري في رمان معشوقه :

وساكنة في ظلال الغصو ن بخدر تروقك افنانه
تضاحك أترابها عندما غدا الجوّ تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقد تضرج بالدم أسنانه

ومن محاسن الشام قرية (داريّا) وهي قبلى (الشويكة) وبها السيدان الجليلان (ابو سليمان الداراني) و (ابو مسلم

الخولانى) اعاد الله تعالى علينا من بركاتهما المتواترة وافاض علينا من بحار علومهما الزاخرة

واليها يتشوق خطيب محاسنها الشيخ جلال الدين ابو المعالى محمد بن احمد سليمان المعروف بابن خطيب داريّا من القاهرة المحروسة بقوله :

سقى الله من شرقيّ جامع جلّق
منازل لايهوى سواها غريبها
منازل لولا الساكنون بها لما
تذكرتها يوما ولو فاح طيبها
وما قل منها اذ رضيت ببعدها
نصيبى ولكن قل مني نصيبها
وما لى الى الاوطان شوق وانما
هوى كل نفس اين حل حبيبها

واليها ينسب البطيخ الدارانى

قال (الرازي) البطيخ الهندي وهو الاخضر يقوى الترطيب مستعد لان يصير بلغما حلوا ولذلك صار نافعا

لاصحاب حميات الغب والمحرقه

وقال (ديسقور يدوس) الخلط المتولد من البطيخ خلط رديء وكثيراً ما تعرض منه الهيضة ويعين على القيء وقشر البطيخ اذا استعمل عوضاً عن الاشنان كفا الزهومة وذهب برائحة الزفر واذا جفف قشره والقي في القدر مع اللحم الغليظ أسرع نضجه وهراه

وقال (ابن الجوزى) : البطيخ الهندي بارد رطب جيده المائي الحلو ينفع الامراض الحارة ويسكن العطش ويسيء الهضم دفع مضرته بالسكر يصلح للامزاج الحارة الصفراوية والشباب فى الصيف واذا اخذ من مائه فى سكر اوسكنجبين ادرّ البول وغسل المثانة والكلى وكان اكثر في التبريد وينفع اصحاب اليرقان الحادث عن حرارة الكبد اذا شرب مع الطباشير والسكر وهو مصحح للاخلاط يضر المشايخ والكبد والطحال اذا كانت وارمة والاكثار منه يولد الهيضة وسوء الهضم وينبغى ان يتوقاه اصحاب المزاج البارد فان تناولوه أتبعوه بالعسل . انتهى والله سبحانه

وتعالى أعلم

وفيه يقول تاج الدين الكندي وأجاد:

انظر الى البطيخ في تشقيقه
يحكى لدى التشبيه كل أنيق
صفائح بلور بدت في زمرد
مركبة فيها فصوص عقيق

ومن ألغاز الصلاح الصفدي قوله:

ما رباعيّ حروف وهي خمس في البناء
كله نبت ولكن نصفه طائر ماء

ومن لطائف بلدينا الوأواء الدمشقي قوله:

وذات ريق ان ترشفته وجدته احلى من المن
اذا بدت في كف جلابها رأيتها في غاية الحسن
كسلة خضراء مختومه على الفصوص الحمر في القطن

وقال صاحب (مطالع البدور) البطيخ يغسل الطعام غسلا، ويذهب بالاذى اصلا. وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الحلوى ايام الرطب وبرفع الاشنان ايام البطيخ

والبطيخ الاخضر بدمشق اصناف . وهو داراني . ومرجى نسبة الى المرج ، ودومى نسبة لقرية دوما ، وحبشي ، وقبلى ، وعواميدى وهو المسمى بالنموس . انتهى

ومن محاسن الشام قرية (يَلْدا) وهى من القبلة الى شرقي قرية (عربيل) وما بينهما من القرى الجميع برسم زراعة كروم العنب وعرائشه

وقال صاحب (معاياة العقل في معاناة النقل) التعريش الرفعة لقوله تعالى « وهو الذى أنشأ جنات معروشات » والعرش ارفع من السماء . انتهى

والعنب صنوف بدمشق . فمنها البلدى ، خناصري ، عاصمى ، زينى ، بيتموني ، قناديلي ، افرنجى ، مكاحلى ، بيض الحمام ، حلوانى ، بوارشي ، جبلى ، قصيف ، ابزاز الكلبة ، قشلميش ، كوتاني ، عبيدي ، شحمانى ، جوزانى ، دراقي ، مخ العصفور ، عرايشي ، رومى ، شبيهي ، نيطاني ، عصيرى ، رناطى ، ورق الطير ، سماقى ، حرصى ، مجزع ، شعراوي ، دربلى ، قارى ، علوى ، عينوني ، مورق ،

مشعر ، مسمط ، مرصص ، محضر ، مقوس ، حمادى ، تفاحي ، رهبانى ، زردي ، مبرد ، مخصل ، مغاربى ، شحمة القرط

وقال (ديسقوريدوس) : الكرم في الخامسة وهو الذى يعتصر منه الشراب وورقه وخيوطه اذا سحقا وتضمد بهما سكنا الصداع . والورق اذا كان بارداً قابضاً فانه اذا تضمد به وحده او مع سويق الشعير سكن الورم الحار العارض للمعدة والالتهاب العارض لها . وعصارة الورق تنفع الذين بهم قرحة الامعاء والذين يتقيأون الدم والذين يشكون معدهم والحوامل من النساء . وخيوط الكرم اذا انتقعت بالماء وشربت فعلت ذلك . ودمعة الكرم وهى شبيهة بالصمغ تجمد على القضبان اذا شربت مع الشراب اخرجت الحصى واذا تلطخ بها ابرأت القوابي والجرب المتقرح والذى ليس بمتقرح . وينبغي اذا احتيج الى التلطيخ بها ان يتقدم بغسل العضو بالنطرون واذا تمسح بها مع الزيت دائما حلقت الشعر ، وخاصة الدمعة المجموعة

من قضبـان الـكرم الطرية واذا احرقت ورشحت منها الدمعة كما يرشح العرق وهى التى اذا لطخت على الثآليل المسماة مرميقيا [١] ذهبت بها . ورماد قضبـان الـكرم ورماد شجير العنب اذا تضمد به مع الخل ابرأ المقعدة التى قد قلع منها البواسير وابرأ من التواء العصب وقد ينفع من نهشة الافعى واذا تضمد به مع دهن ورد وسذاب وخل خمر نفع من الورم الحار العارض في الطحال

وقال ابن الجوزي في لفظة « العنب » : حار رطب والابيض احمد من الاسود والاكثار منه يصدع الرأس ومنفعته يسهل البطن ويسمن ، وهو قريب من التين في فضـله على سائر الفواكه . مضرته يعطش ويرخي المثانة . دفع مضرته بالرمان الحامض يتولد منه دم جيـد يصلح للمشايخ والامزاج الباردة في الخـريف وفي البلاد الشمالية والحصرم ينفع المحرورين ويطبخ منه طعام لذيذ

وفي اللغة قال الحصرم ثمر الـكرم قبل الحلاوة والميم

(١) كذا فى الاصل . وفى مفردات ابن البيطار « مرمعا»

فيه زائدة مأخوذ من الحصر وهو العجز عن النطق ، أو من الحصر الذي هو احتباس الباطن وبه سمي الرجل البخيل لمنعه ما في يده وتشديده . والحصير الملك سمي بذلك لامتناعه عن الاعين أو عن الضيم . قال الشاعر :

وقماقم غلب الرقاب كأنهم
جند لدى باب الحصير قيام

وسميت جهنم « للكافرين حصيرا » لمنعها من فيها أو لتمنعها هي في نفسها قال تعالى « وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »

فالحصرم طبعه البرد واليبس ولذلك قبض الاجسام ومنع المسام من اخراج ما فيها من الفضل . انتهى كلام (معاياة العقل)

وفيه يقول الطغرائي وابدع :

ترى الثريا من عناقيدها تلوح في أخضر كالغيهب
كم درة فيها وكم لؤلؤ[1] صحيحة التدوير لم تثقب

(١) في ديوان الطغرائي « كم سبج فيه وكم جزعة »

واستعار هذه الثريا لعرشة ابن تميم فقال :

نفى عني الهجيرَ ظلالُ كرم
وأمتعني ونزه ناظريا
ولاحت عرشة فرأيت منها
سماء كل أنجمها ثريا

ومن لطائف الصاحب ابن عباد :

وحبة من عنب قطفتها
تحسدها العقود في الترائب
كأنها من بعد تمييزي لها
لؤلؤة مثقوبة من جانب

ومن تشابيه ابن المعتز قوله :

وحبة من عنب من جنةٍ متخذه
كأنها لؤلؤة في وسطها زمرذه

ومن محاسنه قوله في العنب الابيض :

شربت حميا الكرم تحت ظلاله
على حسن محبوب الشمائل أغيد

كأن عناقيد الكروم وظلها
كواكب در فى سماء زبرجد

ومن أغراضه قوله في العنب الاسود :

حتى اذا حرمرى جاء مرحلة[1]
بفاتر من هجير الجو مستعر
طلت عناقيدها يخرجن من ورق
كما اختفى الزنج في خضر من الازر

وقال ابن الصائغ فى العنب العاصمي :

وعاصمى قد غـدا طعمه
أروى من الماء لدى الحائم
أورث خلي أكله هيضة
فاعجب له من مسهل عاصمى

وقال ابن الرومي في العنب الرازقي :

كأن الرازقي وقد تناهى وباهت بالعناقيد الكرومُ
قوارير بماء الورد ملأى تشف ولؤلؤ فيها يعوم

(١) كذا

وتحسبه من الشهد المصفى اذ اختلفت عليك به الطعوم
فكل مجمع منه ثريا وكل مفرق منه نجوم

وقال محمد بن عبد الله المحسن الكفرطابي في الاسود:

جاءنا منك تحفة نحن منها أبداً في تضاعف السراء
عنب اسود كأن عليه حللاً من حنادس الظلماء
خلته في خلال أوراقه الخضـ ـر ولون اسوداده للصفاء
كدموع على أنامل خود لحنَ من كم غادة خضراء

ونقلت من خط التقوى ابن حجة ملغزاً في الكرمة:

عناقيد على قضب تدلت
حكي منظومها عقد اللآلى
اذا عصرت ترى فى الكأس منها
دواء قد تركب من دوالى

البرهان البهنسي قوله :
اخبروني عن فاضل بأصول
وفروع يسمو على كل فاضل

اسبغ الله ظله فهو ظل
سابغ وافر مديد وكامل
وأبو محجن يقول ادفنوني
تحته ان أتانيَ الموت عاجل
كم الينا قد مد كفاً نديا
صير العيش أخضراً في المنازل
نقطة الطل فوقه أوضحته
عند توقيعها به وهو عاطل
ما تبدى لنا بعين ولكن
حرّفته وصحفته الافاضل
فرأينا للترك فيه اسم عين
بفتور الاجفان جاء يغازل
ان تذكره حرف الكال يبدي
كرما والندى من الكف هاطل
أوتؤنثه يقبل الهاء في الحا
ل ومن بعد ذايرى هو حامل

ويقل شطره لمن عاب منه
الكُ هم بالعكس عندي حاصل
فيه حلو وفيه مرٌّ ويبدو
عند تحريف عكسه المتماثل
وبلا أول يرى فعل أمر
واقلب الفعل منه فالامر حاصل
هو خشب مسندات ولكن
حال يجلى يبدو رقيق الغلائل
ومن الغمر جسمه الغضّ يدمى
وتراه من بعد ذا وهو ذابل
واذا ما فرطت فيه تراه
لم يحل عنك وهى نعم الخصائل
ذو بياض وحمرة وكذا لى
فرحاً من راحٍ سرت في المفاصل
فتراه يوماً عقود عقيق
نظمت سلكها بغير أنامل

وتراه يبدو عقود جمان
ما لها غير ثغر حبي مماثل
وتراه طوراً سلافة راح
ولدر الحباب فيها حواصل
وعلى عوده يغني علينا
اعجمي به تهيج البلابل
لك منه فواكه وشراب
كل عصر اليك تلقاه واصل
وحلاواته بها كل قلب
كسروه والقلب للكسر حامل
وصله في مصر قليل ولكن
هو بالشام لا يزال مواصل
وتراه بذات عرق مقيما
في نعيم وظله غير زائل
واذا قلت فى المخيم بالغو
ر رأيناك فيه أصدق قائل

ولقد جاءنا بعتب لطـيف
عند تصحيفه لمن هو هازل
كيف لا والكتاب عن حبتيه
قد أتى مخبراً بتلك الفضائل
فتفكه من حبه في قطوف
دانيات لكل آت وراحل
واقم تحت ظله فهو لغز
ظله ظاهر على كل قائل
ثم دم في الالغاز بالحل والعقد
غنيا اذا اتى اللغز سائل

وزبيبه حار والحامض منه بارد. قال أبو حنيفة الدينوَري الزبيب جفيف العنب خاصة، ثم قيل لما جفف من سائر الثمر قد زبب الا التمر فانه يقال تمر الرطب ولا يقال زبب والزبيب هو العنجر

وقال جالينوس تنطج وتحلل تحليلا معتدلا وهو في السادسة. وعجم الزبيب يجفف في الدرجة الثانية ويبرد في

الدرجة الاولى وجوهره جوهر غليظ ارضى كما قد تعلم ذلك من طعمه اذ كان يوجد عيانا وهو يسكن ما يكون في فم المعدة من التلذيع اليسير

وأفضل أنواع الزبيب اكثره لحما وارقه قشراً وبعض الناس يميل الى الزبيب الكبار الحلو فيخرج عنه عجمه قبل أن يأكله والفاعل لذلك محسن في فعله والكشمش هو الزبيب الصغير الذي لاعجم له وهو اجود

وقال صاحب (لقط المنافع) الزبيب صديق المعدة والكبد ينفع الكلى والمثانة ووجع الامعاء ويحد الذهن وينفع من قد اجتمعت في بدنه اخلاط بلغمية فاسدة الا أن مضرته احراق الدم ، ودفعها بالخيار الاخضر ، ينفع الامزاج الباردة والقابض منه قليل اللحم يقوى المعدة ومن أراد حبسه اكل الزبيب القابض بعجمه

وبالاسناد الى النبي صلى الله عليه وسلم قال « نعم الطعام الزبيب يطيب النكهة ويذهب البلغم » . وقال امير المؤمنين المنصور « كلوا الزبيب واطرحوا عجمه فان في عجمه داء

وفي شحمه دواء » هكذا حدثني ابي عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أمره بذلك . فتنبه والله أعلم

ويعمل من ماء العنب الدبس والملبن. قال الرازى في (دفع مضار الاغذية) الملبن غليظ مولد للسدد والقولنج بطيء الحركة والنزول ردىء في أكثر أحواله واجتنابه اصلح ، اللهم الا ان يكون الانسان جائعاً . واصلاحه بالفانيذ ، ويسرع نزوله . وينبغي ان يحذره من به غلظ في كبده وطحاله ويعتريه الحصا في كلاه ، وليس بضار للصدر والرئة . انتهى

قلت وبين هذه الكروم المذكورة قطع اراض جميعها أصول (لوز) ليس لها نظير فى أيام تنويرها وهى من محاسن الشام .

قال ابن زهر : اللوز له نوار ابيض وأحمر يقال ان الاحمر ثمرته مرة . وفيه يقول الامير مجير الدين محمد بن تميم :

خرجنا للتنزه في بقاع
يعود الطرف عنها وهو راض

ولاح الزهر من بعد نخلنا
ضبابا قد تقطع في اراض

ومن محاسنه قوله :

يا حسنها دوحة باللوز حالية
يبدو لعينيك منها منظر عجب
كأنها قبة بيضاء قائمة
على عمود ولكن مالها طنب

ومن لطائفه قوله :

بروحيَ من ابصرته متنزهاً
بروض نضير وشّعته الغمائم
وقد نثرت من فوقه الدوح زهرها
كما نثرت فوق العروس الدراهم

ومن مقاصده قوله :

روض تحلى بالنبات فما له ولحسنه الاّ السماء نظير
والزهر مثل الزهر تحسب أنها فيه إذا هب النسيم تنير

ومن بدائعه قوله في الزهر على النهر :

ولما نثرنا الزهر في النهر وانبرت
تجعده أيدي الصبا والجنائب
حسبنا سماء قد تجعد غيمها
ولاحت خلال الغيم زهر الكواكب

وقال :

ابدت غصون اللوز من زهرها
ما كان في الاكمام مستورا
ظللت يومي كله مفكراً
في عنبر أعشب كافورا

ومن مخترعاته :

يا حسن منعطف الحديقة اذ بدت
تجلو لزائرها سنى نوارها
وكأنما حسد النسيم رياضها
فاذاع ما كتمته من أسرارها

ومن أغراضه البديعة قوله :

لما أتينا اللوز لم يبعث لنا
نشراً وطال مخافة ان يجتنى
فشكوته للريح فاستلبته من
اعلى الغصون وفرقته بيننا

ومن مجونه قوله :

فديتك زهر اللوز جاء مبشراً
بفضل على شرب المدام معين
فقم نجتلي بنت الكروم ونجتني
كواكب زهر من سماء غصون

وقال ابن فضل الله فيه مع ورقه :

ويا رب زهر أبيض بين أخضر
تتيه على كل الرياض رياضه
كاثقاب نقش اخضر فوق معصم
صقيل تجلى بينهن بياضه

ومن النكت البديعة قول ابن نباتة :

أهلا بسائرة الصبا من نحوكم
وبما عهدنا من تعاهد طولها
أملت على الزهر المقطب ذكركم
حتى تبسم ضاحكا من قولها

ونقلت من خط الزيني ابن الخراط قوله :

وروض به ثغر الازاهر باسم
وطرف الحيا من ضحك نواره باكي
فلا تحسبوا برق الغمامة باسما
هو المبسم الحالي ولكنه الحاكي

ومن لطائفه قوله :

مررت على دوح ينوح حمامه
ودولابه يبكي على شاطيء النهر
فقلت على ما أنت باك ودائر
فقال على ما ضاع من نشر الزهر

ومن ملحه قوله :

وروضة قال لنا نهرها معاتباً إذ رقَّ للشارب

أكون في خدمتكم جاريا ويضحك الزهر على شارب

وأنشدني شيخ الادب العلائى المليك :

باكر الى زهر الرياض واسقنى

كاس الطلا والراح روح الانفسِ

أو ما ترى نصب الربيع خيامه

في الروض فوق مطارف من سندس

وأنشدني أيضاً :

بادر الى الزهر في عرس الرياض ضحى

فالورق غنت على العيدان فى الورق

والريح شبب والاغصان راقصة

والزهر تنثر اوراقا من الورِق

ويعجبني في الزهر على النهر :

لم لا أهيم الى الرياض وطيبها

وأظل منها تحت ظل صافي

والزهر يلحظني بثغر باسم

والماء يلقاني بقلب صافي

ومن تحرير القيراطي قوله :

سقياً لاقطار الشآم فكم   من أنجم في روضها نجمت
واذا السماء بارضها نزلت   طلعت زهور نجومها وسمت

وقال محيي الدين بن قرناص :

قد أتينا الرياض لما تجلت   وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما   سقطت من أنامل الاغصان

وقال أيضاً :

مال القضيب بروضة من سكره
لما سقاه عقارَه آذارُ
حتى اذا سرق النسيم دراهماً
من كفه صاحت به الاطيار

وقال أيضاً :

هلم يا صاح الى روضة   قد نمقت ازهارها السحب
الزهر فيها شيق مغرم   وجدول الماء بها صب

وقال بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي :

هلم يأصاح الى روضة   يجلو بها العانى صدا همه

نسيمها يعثر في ذيله وزهرها يضحك في كمه

ومنه قول أحمد بن أبي صالح فيه :

بادر اليها يانديمي روضة قد وشحتها انمل الغمام
غنت على العود مطوقاتها فزهرها يرقص بالاكمام

وما أبدع قول يحيى بن هذيل :

نام طفل الزهر في حجر النعاما لاهتزار الظل في زهر الخزامى
وسقى الوسمي اغصان النقا فهوت تلثم افواه الندامى

وقال ابن قرناص :

لقد عقد الربيع نطاق زهر يضم لغصنه خصراً نحيلا
ودب مع العشي عذار طل على نهر حكى خداً اسيلا

وقال ابن مليك الحموي :

كأن زهر الربى والطل بلله
ثغر بدا باسما يفتر عن شنب
أولا فكأس لجين ملؤه ذهب
مكلل من عقود الدر بالحبب

وقال المعوج الشامي في ازراره قبل تفتيحه :

حقاق من النوار مزرورة العرى
على قطع الياقوت واللؤلؤ الغض
فتحن على الاغصان اجفان فضـة
وبالآس كانت مطبقات على الغمض

وقال الشيخ ادريس وقد طلع باخوانه الى الزهر :

واخوان صدق قد أناخوا بروضة
وليس لهم الا النبات فراش
نخالهم والنور يسـقط فوقهم
مصابيح تسرى نحوهن فراش

وقال العلائى بن أسد في غلام يتفرج في النزهة :

سلطان حسن أفتديه بناظري وأعيذه من نزغة الشيطان
يوما بزهر اللوز لما زارني قضيت ذاك اليوم بالسلطاني

وقال عفيف الدين بن محبوب المغربي في غلام بات تحت شجرة :

وليلة بات بدري [تحت] انجمها
من العشاء نديما لي الى السحر

يحبو بوَرد ووِرد طول ليلته
من خده ولماه العاطر الخضر
حتى اذا اسكرتني خمر ريقتــه
غنى فاغنى عن المزمار والوتر
ما العيش الا ارتشاف الراح من شنب
يغني عن الراح من سلسال ذي أثر
فأنشأت بنجوم الليل ترجمنا
سماؤها غيرة منها على القمر
فظلت من وجه من أهوى ودارتها
وثغره والذي يهوى من الزهر
ما بين بدرين مكتوم ومشتهر
وبين درين منظوم ومنتثر

ومن المعانى البديعة قول السلامى :

نسبُ الرياض الى الغمام شريفُ
ومحلها عنـد النسيم لطيف

والارض طرس والرياض سطوره
والزهر شكل بينها وحروف
وكأنما الدولاب ضل طريقه
فتراه ليس يزول وهو يطوف

وقال ابن لؤلؤ الذهبي في مشيب الزهر :

ما نظرت مقلتي عجيباً كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الرأس منه شيبا واخضرّ من بعد ذا عذاره

وقال الشاب الظريف محمد بن العفيف :

لئن شاب زهر اللوز طفلا وقلتمُ
بان مشيب الطفل ليس يجوز
فلا تعجبوا أن شاب في غير وقته
فكم نفخت يوما عليه عجوز

واللوز بدمشق أصناف : منه الجبلي ، قسطاسى ، عربيلي ، عقابى ، بندقي ، شحمى

قال مسيح [بن الحكم] : اذا أكل اللوز العاقد بقشره الاخضر الطرى دبغ اللثة والفم وسكن ما فيهما من الحرارة

بالبرودة والعفاصة والحموضة التي في قشره الخارج قبل أن يصلب ويشتد . واذا اكل الوز القلب الاخضر من غير قشر وهو طري اصلح المعدة وجلا الاعضاء الباطنة ونقاها واعان على قذف الرطوبات

وقال جالينوس : في السادسة والمر في الدرجة الثالثة . فالحلو قوته قوة ملطفة يفتح السدد الحادثة في الكبد عن الاخلاط الغليظة ، ويجلو النمش ، ويعين على نفث الدم والاخلاط الغليظة اللزجة في الصدر والرئة ، ويشفي الاوجاع الحادثة في الاضلاع وفي الطحال وفي الكليتين والقولنج ، ويؤخذ من أصل شجرة اللوز فيطبخ ويوضع من خارج على الكلف فيدهنه

وقال ابن الجوزي : اللوز الحلو حار رطب يسمن ويقوي البصر ويفتح السدد خصوصاً المر . واذا اكل بالعسل أو السكر أسرع الانحدار ، وخلطه لطيف ، وينفع أصحاب السعال ، وسويقه ثقيل . واللوز المر حار يابس يزيل الكلف والآثار والنمش

وفي اللوز الاخضر يقول ظافر الحداد :

جاء بلوز أخضر أصغره ملء اليد
كأنما زبيره نبت عذار الامرد
جواهر لكنما ال أصداف من زبرجد

وقال القاضي السعيد هبة الله بن سنا الملك في اللوز الذي بقلبين :

ومُهدٍ الينا لوزة قد تضمنت
لناظرها قلبين فيها تلاصقا
كأنهما حِبان فازا بخلوة
على غفلة من حاسد فتعانقا

ونقلت من خط الرضى المرتضى محب الدين الزرعي قوله :

قم زوّج الصهباء يا ابن السما ولو لحاك العاذل الفاسد
أما ترى الورد أتى شاهداً واللوز في أغصانه عاقد

ونقلت من خط ابن حبيب الحلبي قوله وهو المقدم :

تزويج بنت الكرم بابن المزن قد
نظمت قلائده فقم يا راقد

فالطير يخطب والزهور شهوده

واللوز ما بين الكمائم عاقد

ومن محاسن الشام (مرج الشيخ رسلان) أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته، واجرى علينا من صالح كراماته. وفيه أقول:

يا من غدا قلبه قاسيا قم لولي صادق البرهان

وقف بذل وانكسار وقل بمدمع يا سيدي رسلان

وهو يشتمل على أنهار واشجار ونواعير لها مع النسيم رشاش، وغالب تلك الاراضي تزرع الخشخاش

وفيه يقول الموصلي:

وزهر خشخاش بدا احمرا كانه في رونق وابتهاج

اقداح بلور وقد اترعت من خمرة لم تختلط بالمزاج

ومن تشابيه ابن دمرداش قوله:

ولما بدا الخشخاش في الروض مزهرا

وقد نظرت شرزاً اليه الحدائق

حكى قلعة ابراجها مستديرة

مشرفة دارت عليها الصناحق

وقال منشئه البدري :

خشخاشنا الناشف في قشر له لما حضر
حكى دبابيساً أتت حملا بايد للتتر

والخشخاش بارد يابس ابيضه اصلح من اسوده يجلب النوم ويمنع النزلة وينفع السعال الحار والنوازل الى الصدر ومن نفث الدم ورطوبات المعدة خلطه غليظ وانفع ما اكل بالسكر أو العسل والاسود رديء مخدر يورث السبات الا ان اجود الاسود المصري وهو ينقي الصدر . والله سبحانه وتعالى أعلم

ومن محاسن الشام (الوادي التحتانى) وهو شرقى (مرج الشيخ) وهو يشتمل على غياض ورياض ، فالرياض هى رياض السفرجل وفيه يقول القيراطي :

فؤادي الى بانات جلق مائل ودمعي على انهارها يتحدر
فوافى الى زهر السفرجل شيقاً اذا ما بدا مثل الدراهم ينثر
غياض يفيض الماء في عرصاتها فتزهو جمالا عند ذاك وتزهر

ترى بردى فيها يجول كأنه وحصباؤه سيف صقيل مجوهر

ومن رقيق شعر يحيي الخباز قوله :

زهر السفرجل بالجميل رأيته

قد فاق زهر اللوز في الاوصاف

هذاك ينثر للنديم دراهما

ونثار ذا بخفايف الانصاف

وهنا نكتته لطيفة وهو ان الشيخ جمال الدين محمد ابن نباتة قدم الى دمشق في ايام السفرجل فاضافه الشيخ جمال الدين يوسف بن غانم في (الوادي التحتاني) لاجل رؤية زهر السفرجل فصادف نهار حر وقيظ شديد فانشد الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة المصرى :

قد اشبه الحمام منزل لهونا فالماء يسخن والازاهر تحلق

فلذاك جسمي منشد ومصحف عرق على عرق ومثلي يعرق

فاجابه الشيخ جمال الدين يوسف بن غانم يقول :

ما اشبه الحمام منزلُ لهونا الا لمعنى راق فيه المنطق

فالدوح مثل قبابه والزهر كا جامات فيه وماؤه يتدفق

ومن الفوائد ان ازهار الفواكه لم يؤكل منها سوى زهر السفرجل لحلاوته وعطريته . وهو اصناف بدمشق : برزى . قصبي . سالمى . صينى . رقي . عباسى . تفاحى . ابو فروة . مجهول

قال ابن الجوزي : السفرجل بارد يابس ويقال رطب جيده البالغ الكبار ، يسر النفس ويدبغ المعدة ويقبض ويقوى ويمنع سيلان الفضول الى الاحشاء ويدر البول غير انه يحرك القولنج ان اكل قبل الطعام وان اكل بعده لين . ودفع مضرته بالرطب المعسل . والسفرجل المشوي اخف وانفع وطريقته ان يقور ويخرج حبه ويجعل فيه العسل ويطين خرمه ويودع الرماد . يتولد عنه خلط بارد وتوافقه الامزاج الصفراوية . وأما السفرجل فأشد تقوية للمعدة وأقل حبسا للطبيعة وكثرة اكله تولد وجع العصب وحبه ينفع من خشونة الحلق ويلين قصبة الرئة ولعابه يرطب يبسها

وبالاسناد عن طلحة بن عبيدالله قال : اتيت النبي

ﷺ وهو في جماعة من أصحابه و بيده سفرجلة يقبلها أو قال يقبلها(١) فلما جلست اليه وجاء بها نحوي قال «دونكها ابامحمد فانه يشد القلب ويطيب النفس ويذهب بطخاء الصدر» وقال ابو عبيد الطخاء أي سحاب وظلمة

وفي حديث آخر انه قال عليه الصلاة والسلام «اذا وجد احدكم طخاء على قلبه فليأكل السفرجل»

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «كلوا السفرجل على الريق» انتهى

وفيه يقول ابن تميم وأحسن :

حاز السفرجل أوصاف الورى فغدا
على الفواكه بالتفضيل مشكورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة
والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

ومن أوصاف الطغرائى قوله فيه :

(١) لعله «يقلبها»

وسفرجل عني المصيف بحفظه
فكساه قبل البرد خزاً أصفرا
يحكي نهود الغانيات وتحتها
سرر لهن حشين مسكا أذفرا

ومن تشابيه الصنوبري قوله :

لك في السفرجل منظر تحظى به
وتفوز منه بشمه ومذاقه
يحكي لنا الذهب المصفى لونه
وتزيد بهجته على اشراقه
والشكل من أعلاه يحكي سفله
ثدي الكعاب الى مدار نطاقه
والشكل من سفلاه يحكي سرة
من شادن يزهو على عشاقه

وقال بعضهم :

حكى سفرجل دوح حوى جميع المعاني
كأنه حين يبدو على ذرى الاغصان

رءوس أطفال روم لطخن بالزعفران

وأما الغياض فهى غياض الحور ، وهو في علو السوارى خالص الاعتدال ورقه بوجهين أخضر وأبيض له مع النسيم حفيف لطيف بساق أبيض صقيل ترتاح الانفس اليه

وفيه يقول شهاب الدين المنصوري :

كأن الغصون المائلات عرائس
تثنين عجبا في ملابس اطلس
كأن قدود الحور حور وقد غدت
تشمر عن ساق لدى الحوض املس

وبه (غيضة السلطان) وحورها لا يستطيع الانسان أن يدخل فيما بينه لانضمامه ولئلا يضل عن الطريق كأنه سكب بقوالب من الشمع

وبهذا الوادي متنزه يقال له (ست الشام) وهو مرجة خضراء ما بين هذه الغياض وبها عين تجرى بماء بارد عذب

ابن حجة :

نقول (ست الشام) للغازات بعينها فأنعشت حياتي
وانشقت بمرجها وأبرزت نثراً حلا لانه نباتي
خذني بغير ضرة فانني بديعة في الحسن والصفات
واستجلني عروسة يتيمة شامية وعش بلا حماة

ومن محاسن الشام ... وأوله منتهى (الوادي التحتاني) وآخره (البحرة) يقال انه يشتمل على ثلاثمائة وستين قرية تزرع الغلة والحبوبات وفي الغالب الشعير

وفيه يقول ابن ظافر الحداد :

كأن سنابل حب الحصيد وقد شارفت حين إبانها
كنابيس مظفورة ربعت وارخيَ فاضل خيطانها

ومن محاسن السلامى قوله :

يا حبذا سنبلة تبدو لعين المبصر
كانها سلسلة مظفورة من عنبر

و(البحرة) اليها ينصبّ مايفضل من مياه أنهار دمشق ومنها صيدها من السماء والماء من الطيور والاسماك صيفا وشتاء

ومن محاسن الشام (ضمير) وهي من القرى القديمة اتخذها اليونان

واليها ينسب البطيخ الضميري الاصفر ومن اصنافه السمرقندى ، والسلطاني ، والشمام

والبطيخ مشتق من التبطخ واسترخاء الجلد ولين الجسم تحت يد الغامز. ويقال فيه طبيخ وهي لغة فصيحة لانه من الطبخ وهو النضج الذي لا يتهيأ له التماسك وقد يكون لافراط الرطوبة المفسدة لجوهر الجسم ، قاله صاحب (معاياة العقل فى معاناة النقل) انتهى

وقال (جالينوس) البطيخ الاصفر في الثانية النضيج وجوهره جوهر لطيف وغير النضيج جوهره جوهر غليظ وفيهما جميعا قوة تقطع وتجلو ويدران البول و يصفيان ظاهر البدن وخاصة ان عمد الانسان الى بزرها فجففه ودقه ونخله واستعمله في الحمام ومعك به بدنه

وقال (ديسقوريدوس) قشره اذا وضع على العين سكن ورمها وان وضع على نوافيخ الصبيان نفعهم من

الورم العارض في ادمغتهم . وبزر البطيخ اجلى من لحمه حتى انه ينفع الكلى التي يتولد فيها الحصى . والخلط المتولد من البطيخ خلط رديء

وقال (ابن الجوزي) في لفظة «رطب» يفتت الحصى وهل هو حار ام بارد فيه قولان ، جيده السمرقندي ، منفعته يجلو البشرة ويقطع الكلف والبهق الرقيق عن الجلد . وبزره اقوى جلاء من جلده . مضرته يرخي الجسد ويولد الريح ، رفعها بالسكنجبين الصرف. يصلح للامزاج المعتدلة والكهول في الخريف . وأضر ما اكل على الجوع لا سيما اذا انام الانسان عقبه على الجنب الايمن والمشي بعده صالح ، واذا اكثر منه ولد هيضة لانه سريع الفساد في المعدة سريع الاستحالة الى ما يصادفها

وقال (أرسطو) : اذا فسد في المعدة البطيخ كان شبيه السم فليتقاياه ، وبزره الشربة منه ثلاثة دراهم ، فانه يزيد في الباه

وبالاسناد عن امية بن زيد العبسي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان

يحب من الفواكه العنب والبطيخ

(فائدة) عن ابي مسهر قال : كان ابي اذا بعثني أشترى البطيخ قال يابني اعدد الخطوط التي فيها فان تك فردا نخليق بها أن تكون حلوة

وفيه يقول المشد :

يا حسن اصفر بطيخ مذاقته كالشهد ضيف بما ورد وكافور
مثل الدنانير في لون وفي زنة وفي خشونة حبات وتدوير

ومن بديع الابيوردى قوله فيه :

من رأى اشباح تبر مائت من ريق نحله
فاجتليناها بدورا وقطعناها اهله

ومن تفنن ابي طالب بن عبد السلام بن أكبر المأموني :

مخططة مثل الاكف كأنها
من الجزع كبرى لم ترض بنظام
لها حلة من جلنار وسوسن
مغمدة بالآس غب غمام

تمازج فيها لون حب وعاشق
كساه الهوى والبين ثوب سقام
وابدى لها التحزين تخضيب كاعب
غلامية ذات اعتدال قوام
رياضية مسكية عسلية
لها لون ديباج وعرف مدام
اذا فصلت للاكل كانت أهلة
وان لم تفصل فهي بدر تمام

والبطيخ المخطط الاصفر وهو المسمى في الشام بالشمام وفي مصر يسمونه اللفاح وهو نوع صغير مستدير مخطط بحمرة وصفرة على شكل الثياب العتابي وهو في طبعه ومزاجه متوسط بين البطيخين الا أنه أقل رطوبة من البطيخ الهندي وأغلظ من البطيخ الخفيق ورائحته باردة طيبة مسكنة للحرارة جالبة للنوم ، ولأجل ذلك ظنت عامة المصريين انه نوع من اللفاح الذي هو ثمر اليبروح . والله تعالى أعلم

وفيه يقول كشاجم :

للأنف والعينين في ريحه لون المحب وعطرة المعشوق
صفراء طيبة النسيم كأنها بلورة محشوة بخلوق

ولأبي طالب فيه :

ومصفرة فيها طرائق خضرة
كما اخضر مجرى السيل من صيب المزن
كحقة عاج زينت بزبرجد
حكت قطع الياقوت في غلف القطن

وقال ابن المعتز في اللفاح :

انظر الى اللفاح في شكله وحسنه المبدع النقش
مثل عروس خضبت كفها لم تعلق الحناء بالغش

وقال فيه ظافر الحداد :

اهدى اليَّ الظبي لفاحة قد ضمخت بالمسك والعنبر
كأنما اللفاح في كفه سبيكة من ذهب أحمر

ومن محاسن الشام (بَرَزَة) وهي من متنزهات دمشق التي يرحل اليها وهي شمال ضمير وبها مقام نبي الله

ابراهيم الخليل عليه السلام وقد تقدم سبب تسميتها برزة [1]

وما أحسن قول الشيخ محمد بن نباتة :

طاب مقام المرء مع شادن   برّزتِ العيش به برزه
وساعدتنى الراح لما انثنى   ولان بعد المنع والعزه
فيالهـا من ربوة خلفه   قد أطاعتنى فوقها المزه

واليها ينسب التين البرزي . والتين أصناف : وهو مزي ، برزي ، ماسوني ، رومى ، بعلبكى ، كعب الغزال ، غريب ، طيفور ، شتوي ، جبلي ، حفيرانى ، ملكي ، عسيلي ، مكتّب ، مجهول ، ورق الطير

قال (ديسقوريدوس) : التين يجلب العرق ويقطع العطش ويسكن الحرارة . واليابس منه مغذ مسخن ومعطش ملين للبطن ، ليس بموافق لسيلان المواد الى المعدة والامعاء وموافق للحلق وقصبة الرئة والمثانة والكلى ومن به ربو والذين تغيرت ألوانهم من أمراض مزمنة والذين يصرعون والمجانين

(١) انظر ص ٣٢

وقال (جالينوس) في الثامنة وأما التين اليابس فقوته حارة في الدرجة الاولى عندانقضائها وفي الثانية عند مبدإها وله لطافة وبهاتين الخصلتين صار يفي بانضاج الاورام الصلبة ويحللها وقد ينبغي اذا قصدت في استعمالك اياه أن تخلط معه الحنطة في الانضاج ودقيق الشعير للتحليل. والتين اللحيم أكثر انضاجا والماء الذي يطبخ فيه التين طبخاً كثيراً فانه يصير شبيهاً بالعسل في قوامه وقوته معاً والتين الطري قوته ضعيفة بسبب ما يخالطه من الرطوبات والنوعان جميعاً من اليابس والطري يطلقان البطن. وأما التين البري فقوته حارّة محلله ، وكذلك التين البستانى اذا لم ينضج ، ومزاج شجرة التين حار كما يدل عليه عصارة ورقه فان كل واحد من هذين يسخن اسخانا شديداً وكل واحد منهما يلذع ويجلو جلاء قوياً ويحدث في البدن قروحا ويفتح أفواه العروق التى في المقعده ويقلع الثآليل وينثرها نثراً وهو مع هذا يسهل البطن. وقضيب شجر التين له حراقة ولطافة مزاج بحيث انك اذا وضعته على

اللحم اليابس في القدر يهريه

وقال صاحب (اللقط) : التين حار رطب منفعته انه يجلو دمل الكلى والمثانة ويؤمن من السموم وهو أغذى من جميع الفواكه . ومضرته أن يحدث نفخاً وغلظاً. دفع مضرته بشراب السكنجبين واستعماله على الريق منفعته عجيبة في تفتيحه مجارى الغذاء خصوصاً مع الجوز واللوز . والتين اليابس ينفع الصدر ويجلو . وشراب التين يدر البول وينفع السعال المزمن وأوجاع الصدر وأورام القصبة والرئة ويفتح السدد والكبد والطحال . وورق التين الاسود بماء المطر يسود الشعر

وبالاسناد الى النبي صلى الله عليه وسلم انه اهدي اليه طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه : كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس . انتهى

وما أحسن قول ابن خفاجة :

وسود الوجوه كلون الصدود تبسمن تحت عبوس الغبش

اذا ما تجلى بياض الضحى تطلعن في وجهة كالنمش
كأني أقطف منها ضحى ثدى صغار بنات الحبش

ومن تشابيه ابن المعتز قوله فيه :

أهلا بتين جاءنا مبتسما على طبق
يحكي الصباح بعضه وبعضه يحكى الشفق
كسفرة مضمومة قد جمعت بلا حلق

وقال مؤلفه البدرى رحمه الله تعالى :

نوافج المسك حكى تيناً تراه في الغلس
أو فم ظبي سال منه الريق لما ان نعس

ومن الغاز الصلاح الصفدى قوله :

أي شيء طاب أكلا ناعم في الحلق لين
كيف يخفى عنك يوما وهو في التصحيف بين

ومن محاسن الشام (القابون) وهي حسنة الماء والهواء وهما قابونان فوقاني وتحتانى و بهما ارض (مصطبة السلطان) وهى مصطبة في قدر فدان يصعد اليها في نيف وعشرين درجة من جهاتها الاربع وفيها قصر حسن البناء ينزل به

الملوك والسلاطين عند توجههم الى الاسفار

والى هذا القانون ينسب الخيار

قال اسحق بن سليمان : الخيار ابرد وأثقل واغلظ من القثاء لانه في آخر الدرجة الثانية وبرودة القثاء في وسطها ولذلك صار الخيار أشد تبريداً وتطفئة ومن قبل ذلك صار فعله في توليد البلغم الغليظ والاضرار بعصب المعدة ويفججها أكثر من فعل القثاء لانه أثقل وأبعد انهضاما وأكثر اتعابا للمعدة ، فاذا عسر انهضامه ، وبعدت استحالته ، تولد عنه الخلط البارد الغليظ ، لان سائر الفواكه اذا عسر انهضامها وبعدت استحالتها تعفنت وولدت خلطاً رديئاً مذموما شبيها بكيفية الأدوية المسمومة ، واسبقها الى ذلك وأخصها به الخيار لانه اعسر انهضاما بالطبع . والمختار منه ما كان جسمه صغيراً وحبه رقيقا غزيراً متكاثفا . وأفضل ما يؤكل منه لبه فقط لانه أسرع انهضاما وأسهل انحداراً

وقال الغافقي : يوافق الكبد والمعدة الملتهبتين . ولبه

ألطف من لب القثاء واذا أكل اليسير منه طيب النفس

وقال أمين الدولة بزر الخيار بارد في الثالثة نافع من احتراق الصفراء ومن الورم الحار في الكبد والطحال ومن أوجاع الرئة الحارة وقروحها

وقال ابن الجوزى : أبرد مزاجا من القثاء وهو رديء للمعدة يهيج القيء ويحدث وجع الخاصرة وينبغي لآكله أن يتبعه بالعسل .

وقال الرازي : الخيار المخلل مبرد مطف جداً بمقدار حموضته وعتقه الا انه طويل الوقوف في المعدة وينبغي أن لا يؤكل مع الالوان الغليظة ويؤكل مع الاسفيذ باجات وان سقيت امرأة من قشر الخيار اليابس وزن أربعة دراهم نفع من عسر الولادة . والله أعلم .

وما أحسن قول عسى العاليه (١) فيه :

خيارة أهديت الينا ... من كف من يجلب السرورا
كأنها اذ قطعتُ منها ... كافورة ألبست حريرا

(١) كذا الاصل

القثاء بارد رطب ينفع الحميات المحرقة و يسكن الحرارة والصفراء والعطش ويدر البول ويحدث وجع الخواصر رديء الكيموس يهيج لمن داوم عليه الحميات

وقال الرازى في كتابه (دفع مضار الاغذية) : القثاء اخف من الخيار واسرع نزولا وهو أيضا يبرد ويرطب وليس يسخن البدن بل كثيرا مايبرد اصحاب الامزجة الحارة ولا يحتاج المحرورون الى اصلاحه الا ان يكثروا منه . وقد يصلح ماتولد منه في البطن من الثقل والنفخ الجوارش الكمونى والسفرجلى ونحوهما . والقثاء والخيار والقرع من طعام المحرورين ويضر المبرودين وينبغى ان لا يكثروا منه ويتلاحقوا ضرره بالشراب القوي

وفيه يقول ابن المعتز بالله :

انظر اليه انابيبا منضدة   من الزبرجد خضراً ماالها ورق
اذا قلبت اسمه بانت محاسنه   وصار مقلوبه انى بكم أثق

ومن لطائف السلامي قوله :

وقثاءة مثل هلال السماء   ولكنها البست سندسا

عراقية لم يذب جسمها ... هزالاً ولم تحسُ فيمن حسا
زبرجدة حسنت منظراً ... وكافورة بردت ملمسا
على رأسها زهرة غضة ... كنجم الظلام اذا عسعسا
جاء بها مغرس طيب ... من الارض اكرم به مغرسا
لها اخوات لطاف القدود ... اذا ماتبرجن خضر الكسا
محجبة عن شموس النهار ... بأردية كنسيم المسا
تقوس في حين ميلادها ... ولم ار ذا صغر قوسا
يطول اللسان باطرائها ... ويصبح من ذمها اخرسا

ومن محاسن ابن خطيب داريا قوله في الفقوس :

شبهت حين بدا الفقوس مبتهجاً
على الرياض وحب فيه ماسورِ
مخازن من لجين لف ظاهرها
بسندس حشوها حبات كافور

ومن محاسن الشام (بيت لهيا والعنابة) ومن الناس من يقول (بيت الآلهة) وهو مكان مبارك يزار ويقال ان حواء عليها السلام كانت مقيمة بهذا المكان . ونقل بعض

المؤرخين قال : كانت حواء عليها السلام في (بيت لهيا) وآدم عليه السلام في (بيت أبيات) وهابيل في (سطرا) وقابيل في (قينية)

فائدة عن عبد الرحمن بن يحيى بن سماعيل بن عبدالله بن ابى المهاجر قال كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القربان فما تقبل منه جاءت نار فاحرقته وما لم يتقبل بقي على حاله وكان هابيل صاحب غنم وكان منزله فى (سطرا) وكان قابيل صاحب زرع وكان منزله في (قينية) وكان آدم في (بيت ابيات) وكانت حواء في (بيت لهيا) فجاء هابيل بكبش سمين من غنمه فجعله على الصخرة فاخذته النار وجاء قابيل بقمح غلته فوضعه على الصخرة فبقي على حاله فحسد قابيل وتبعه في هذا الجبل يريد قتله حتى صار من أمره ما صار

قال بعض المؤرخين وهذه الصخرة هي الآن في الجامع عند باب جيرون بالقرب من (حاصل الزيت) وهي

صخرة سوداء [١] مقزورة انتهى

واما (العنابة) فهي محلة الآن تشتمل على دور وقصور والسبب في تسميتها ان كاهنا في زمن الروم كان يتعبد في صومعة بتلك الارض فحصل له علة اشرف منها على الهلاك فنزل عنده تاجر من تجار الروم ومن جملة متجره خمسة احمال عناب ، فحلها ونشرها ، وكانت دمشق ممحلة من العناب وليس يوجد بها حبة عناب ، فصار هذا الكاهن يتناول منه وقد طاب له . فلما أصبح جاء اليه الطبيب فوجده قد نصل من تلك العلة ووجد الكاهن في نفسه نشاطا فقال له ماالذى استعملت البارحة قال الشيء الفلانى ونسي ان يذكر له العناب فقال الطبيب ولعلك استعملت عنابا قال نعم ومن اخبرك بذلك قال لعلمي ان علتك هذه لايبرئها سواه وهو معدوم واختشيت ان

(١) لاتزال هذه الصخرة موجودة فى مسجد دمشق على هذه الصفة الى اليوم ، والناس يذكرون انها صخرة القربان — المطبعة السلفية

اعلق خاطرك به. فزرع الكاهن الارض التي حول صومعته جميعها عناباً وتقرب بها في كل من احتاج منها الى شي ياخذه حتى يقال ان في الاسلام وجد من ذلك العناب فرد شجرة و بنى ماحولها فسميت تلك المحلة بها والله تعالى أعلم

العناب حار رطب في وسط الدرجة الاولى والحرارة فيه اغلب من الرطوبة ويولد خلطا محموداً اذا اكل او شرب ماؤه ويسكن حدة الدم وحراقته وهو نافع من السعال ومن الربو ووجع الكليتين والمثانة ووجع الصدر . والمختار منه ماعظم حبه وان اكل قبل الطعام فهو اجود

وقال الاسرائيلي رطبه يتولدعنه دم بلغمى وهو أفضل من يابسه واذا كان نضيجا لين الطبيعة ولا سيما اليابس منه واذا كان غضاً عفصاً حبس الطبيعة وسكن هيجان الدم وحدته وليس بمسكن للدم الغالب عليه الرطوبة

وقال الشريف : العناب اذا جفف ورقه وسحق ونثر على الاكلة نفع من ذلك نفعا لايبلغه غيره من الدواء . و شرابه بارد رطب يصلح مزاج الدم ويلطفه من احتراق

وينفع من احتراق الكبد وخشونة الصدر ووجعه والسعال اليابس والحصبة والجدري . وصفته يؤخذ مائة حبة يترك عليها خمسة ارطال ماء يغلى حتى ينضج العناب ويصفى من الماء ثلاثة أرطال ويضاف اليه ثلاثة اسنان سكر وبياض بيضتين مضروبة بالماء ويرفع على النار ويحرك حتى ينحل السكر فاذا صار له قوام حط . انتهى

وفيه ألغز الامير سيف الدين المشد :

وأحمر اللون قان ... يعزى اليه الخضاب
ما فيه عين وناب ... وفيه عين وناب

ومن معاني ديك الجن قوله بقافيتين :

كأنما العناب في دوحه ... لما تناهى حسنه وابتسم
اقراط ياقوت تبدت لنا ... أو أنمل قد قرطت بالعنم

ابن سهل الاشبيلي قبل اسلامه فى العناب الاخضر :

هات اسقنى القهوة في سبتنا

فان يوم السبت يوم السرور

أما ترى العناب في دوحه كأنه رطب قلوب الطيور (١)

ومن محاسن الشام ارض (سطرا ومقرى) وهما من الاراضي الطيبة الفيحاء . وفيها يقول جلال الدين ابن خطيب داريا :

خليليَّ ان وافيتما الشام بكرة
وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرءا عني كتاباً كتبته
بدمعي لكم مقرى ولا تنسيا سطرا

وفيهما يقول ابن عنين :

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة
وظلك يا (مقرى) عليَّ ظليل
(دمشق) فلي شوق اليها مبرح
وان لج واش أو الح عذول

(١) يشير الى البيت المشهور :
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي

بلاد بها الحصباء در وتربها
عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق
وصح نسيم الروض وهو عليل

وتلطف شيخ الشيوخ بقوله :

قالوا اما في جلق نزهة تنسيك من أنت به مغرى
يا عاذلي دونك من لحظه سهما ومن عارضه سطرا

وبينهما متنزه يسمى بالبلكي : يجتمع فيه الناس ايام زهر السفرجل ويسيبون الماء تحت اشجاره ويوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ويعلقون قشور النارنج موقدة في الاشجار ويضربون الخيام في بستان الحاجب ويقطعون فيه أوقاتا من اللذة والانشراح يعجز الوصف عنها

وفيها يقول الشيخ علاء الدين بن المشرف المارديني :

انظر الى يلبك زهت ازهاره وزره فالزورة قد تعينت
اشرقت الارض بنور ربها وأخذت زخرفها وازينت

وأنشدني بدر الدين محمد الازهري الناسخ المعروف بفليفل فيه :

لله من يلك بديع حسنه قد ضم شملي بالذي اهواه
مازال يفرش لي بساطاً أخضرا فرعى الاله رياضه وكلاه

وفيه يقول ابن قرناص :

ويلك قد بدت فيه معان تطيب بها الندامى والمدام
يسامرك النسيم اذا تغنت حمائمه ويسقيك الغمام

ومنه قوله فيه :

قد أتينا نبغى زيارة يلك قد حبانا بالجود والاكرام
ناولتنا ايدي الغصون ثمارا أخرجتها لنا من الاكمام

ومن محاسن الشام أراضي المزارع وهي خضرة مع الفلاة وكثرة المياه . ومن خصوصياتها الهليون

قال ابن البيطار في مفرداته الهليون ورقه كورق الشبث ولا شوك له البتة وله بزرمدور اخضر ثم يسود ويحمر وفي جوفه ثلاث حبات كأنها حب النيل صلبة ، منه برّى كثير الشوك وهو الذي يسمى بعجمية الاندلس

أسر عين

وقال جالينوس في السادسة وقوته قوة تجلو وليس لها اسخان ولا تبريد ظاهر ، ولذلك صار يفتح السدد من الكبد والكليتين

قال [ديسقوريدس] : واذا سلق سلقة خفيفة واكل لين البطن وادرّ البول . واذا طبخت اصوله وشرب طبيخها نفع من به عسر البول [أو يرقان] ومن به عرق النساء ووجع الامعاء

[قال ابن ماسويه] : ويزيد في الباه ويفتح السدد التى تعرض في الكبد والكلى ، وينفع من به وجع الظهر العارض من الريح والبلغم وينفع من وجع القولنج

[قال الرازى] : وربما غثى ولا سيما اذا لم يسلق . وليس يحتاج المبرودون الى اصلاحه وأما المحرورون فليأكلوه بعد سلقه وتصفيته بالخل والمري

وقال ابن الجوزي في (لقط المنافع) : الهليون حار رطب معتدل يولد المني ويحرك شهوة الجماع ويدر البول

وفيه الجلاء وكذلك يفتح السدد ويؤكل مطبوخا باللحم ومصلوقا بالزيت والمري والتوابل وغذاؤه متوسط

ونقلت من (عجائب المخلوقات) لابن الاثير قال : الهليون قضبان برية ينبت بنفسه في المواضع الندية التي تجمع فيها مياه الامطار ، وقد نقل الى البساتين فافلح . وأجوده الغض البستاني المنعطف وهو حار رطب يفتح سدد الاحشاء وينفع عرق النساء مطبوخا وينفع من القولنج البلغمي والريحي وينفع من عسر البول ومن عسر الحبل وينفع لوجع الظهر ويزيد في الباه وبزره جيد لوجع الضرس

وذكر القزويني قال : حكى لي صديق أربلي قال : بجبال اربل هليون كثير ، وكان عامل الناحية يتخذ منه شرابا في كل سنة يبعث به الى صاحب اربل فعمله سنة وبعث به فوقعت الاكراد الحرامية على القفل فنهبوه ورأوا ذلك الشراب في البراني فحسبوه عسلا فأمعنوا في أكله فغلب عليهم الاسهال حتى ضعفوا عن الحركة فمر

المسافرون فرفعوا أمرهم لصاحب اربل فارسل اليهم فقبضوا عليهم وأدخلوهم محملين على الدواب ، والناس يضحكون منهم ويقولون هؤلاء سكارى الهليون . فتبصر في تأثيره ومنافعه . انتهى

وفيه يقول كشاجم :

وباقة هليون أتت وهي غضة
فشبهتها تشبيه ذي اللب والفضل
برشق نبال جمعت من زبرجد
مشنفة الاعلى مفضضة الاصل

ومن خصوصياتها الطرخون . قال ابن البيطار : في مفرداته هو نبات طويل الورق دقيق الساق يعلو على وجه الارض نحواً من شبر الى ذارع ونصف وهو من بقول المائدة ينهض الشهوة ويطيب النكهة واذا شرب الماء عليه طيبه

وقال صاحب (الفلاحة) : الطرخون صنفان بابلي طويل الورق ورومي مدور الورق وهو من بقول الصيف

وطعمه حريف لذاع في وسط الدرجة الثانية بطيء في المعدة عسر الانهضام يجفف الرطوبات وينبغي أن لا يكثر منه المبرودون وهو يطفيء حدة الدم ويقطع شهوة الباه وعسر انهضامه لكثرة دهنيته فلهذا صار بطيء الغذاء ويختار منه ما كان طريا غضاً قريباً من ابتداء النبات لان ذلك اقل لدهنيته ويؤ كل معه الكرفس لانه يمنع ضرره ويجيد انحداره وانهضامه

وقال التميمي الطرخون يخدر اللهاة واللسان بما في طبعه من الحرافة الكافورية اللطيفة وفي طعمه شيء من طعم العاقر قرحا وقد ينفع مضغه من يكره شرب الادوية المطبوخة فلايلبث في معدته ويدخل ماؤه مع ماء الرازيانج الاخضر في الشراب الهندي المسمى شراب الكدر النافع من فساد الهواء المانع لكون الجدري والحصبة وهو من أنفس اشربة الملوك الهندية وملوك خراسان ، وهذا من خاصة ماء الطرحون ويمنع من حدوث الوباء فافهم ذلك

وقال ابن الاثير : الطرخون متى جعل في اصوله

الملح جوّده وألقحه

وعاقر قرحا هي أصل الطرخون الجبلي ، وهو حار يابس وفيه قوة مخدرة مجففة الرطوبات اذا مضغ نفع من القلاع ويطيب البوارد اذا ألقي فيها ويقوي المعدة غير أنه يعطش ويحدث وجع الحلق

ومن خصوصياتها الكرنب ، وليس يوجد بالبلاد المصرية ، وهو صنفان النبطي وهو المشهور وخوزي وهو غليظ الورق جداً شديد الخشونة . والكرنب النبطي الاندلسي وهو شبيه بالسلق صغير القلوب وأشد رخوصة من القنبيط

وقال جالينوس : الكرنب في السابعة ، وقوته قوة تجفيف اذا أكل واذا وضع من خارج ، ولكنه ليس بظاهر الحدة والحرافة بل قوته قوة تبلغ به الى ادمال الجراحات واشفاء القروح الخبيثة والاورام التي قد صلُبت وصارت في حد مايعسر انحلاله . وبزر الكرنب يقتل [الدود] اذا شرب وقضبان الكرنب اذا احرقت

يصير منها رماد يجفف تجفيفاً شديداً حتى أن قوته تكون قوة محرقة ، ومن أجل ذلك صاروا يخلطون معـه شحما عتيقا ويستعملونه في مداواة وجع الجنبين اذا عتق وفي سائر العلل الشبيهة بهذا النوع من الوجع لانه يحلل تحليلا قويا

وقال ديسقوريدوس : في الثانية ان سلق سلقة خفيفة وانحل سهل البطن وان سلق سلقا جيداً أو سلق مرتين بماء بعد ماء امسك البطن ولقد زرع بمصر فما اكل لمرارته ولا نبت بعد جهد . واذا أكل الـكرنب نفع من ضعف البصر والارتعاش ، واذا اكله المخمور سكن خماره . وعصارة الكرنب اذا خلط بالشراب وشرب نفع من اسعة الافعى واذا خلط بدقيق الحلبة والخل وتضمد به نفع من النقرس ووجع القروح الوسخة العميقة واذا احتملته المرأة مع دقيق الشيلم ادر الطمث . وورق الـكرنب اذا دق ناعما وتضمد به وحده أو مع سويق نفع من كل ورم من أورام البدن ومن الاورام البلغمية ومن الحمرة ويبريء

الشرى والجرب المتقرح . واذا خلط بالملح قلع النار الفارسية ويمسك الشعر المتساقط . واذا أكل الورق نيئاً مع الخل نفع المطحولين واذا مضغ ومص ماؤه اصلح الصوت المتقطع وزهره اذا عمل منه فرزجة واحتملته المرأة بعد الحبل قتل ما في بطنها

وقال ارجنجانس : الكرنب ينفع السعال القديم والنقرس اذا صب طبيخه على المفاصل وان أطعم الصبيان نشأوا نشوءاً سريعا وعصيره ان شرب بالنبيذ أياما ذهب بوجع الطحال . ورماده يبرئ حرق النار ويبرئ عصيره الحكة والجرب وان خلط بالزاج والخل وطلي به على الجرب والبرص نفع وأكله يجلب النوم ويصفي الصوت وينفع من عضة الكلب

وقال الرازي : مرق الكرنب ينفع من السعال ومن وجع الظهر العتيق ووجع الركبة

وقال مسناوس : أكل الكرنب يحسن اللون وان سلق مرتين ثم طيب بكمون وزيت وملح وفلفل وغلي

عليه نفع اصحاب العفر في الامعاء . والماء الذى يغسل الكرنب به او يطبخ فيه ينقى البدن ويخفف الصداع وينقى العينين اللتين يجد فيهما صاحبهما ظلمة من رطوبة أو بخار غليظ ، وينفع الاحشاء ولا سيما الطحال الغليظة ، والذين غلبت عليهم السوداء الا انه ينقى العروق

وقال ابن ماسويه الكرنب مولد للمرة السوداء والدم العكر وان طبخ باللحم السمين قلت غائلته . وفي الكرنب الشامي صنف آخر سمي الموصلى وله ورق اخضر جعل مثل ورق الكرنب الاندلسي غير انه منبسط على وجه الارض وينبت بمقامات العجوز . وبدمشق كرنب آخر بري ثمره مدور ابيض اللون على هيئة الفلفل الابيض وهو ينفع من نهش الافاعي ، وعروقه اذا جففت وسحقت وسقي منها وزن درهمين بشراب ينفع من نهش الافاعي

وأما القنبيط الذي يدعى عند المصريين بالكرنب فهو اغلظ واقوى وابطأ في المعدة من الكرنب ، وورقه الناشىء حواليه أقل ضرراً وأصلح من جمارته الصفراء الناشئة

في وسطه للمائية الغالبة عليه . واجتنابه كله احمد لتوليده الدم العكر ، والاكثار منه يضعف البصر ، وهو مطلق للبطن ، كثير البخار يورث احلاماً رديئة وسدداً ومرة سوداء ، واصلح ما يؤكل مطبوخاً باللحم السمين ، وبيضه الاصفر الذى يسمى جمارة يهيج القراقر والنفخ ويزيد فى المني

وقال الطبري القنبيط بارد يابس غليظ عسر الانهضام ردىء الغذاء واذا طبخ بيضه الذي هو ثمره وصب ماؤه ثم اكل بالخل والزيت والمري زاد في المنى

وقل الرازي : لمائه خاصية في منع السّكر . وخاصية بزر القنبيط افساد المني اذا احتملته المرأة بعد الطهر من الطمث

وقل الاسرائيلي واذا شربه المخمور حلل خماره . واذا شرب قبل الشراب منع السكر . انتهى والله أعلم

وفيه يقول مؤلفه :

بغضي في قنبيط قد حكى والفكر صارم

لرءوس من يهود قطعت تحت العمائم

ومن خصوصياتها الباذنجان الاحمر الرفيع والابيض القليل البزر الرقيق القشر

قال ابن البيطار : اسمه فارسي معرب ويسمى بالعربية الارنب

قال الرازي : جيد للمعدة التي تقىء الطعام وردىء للرأس والعين يولد ماء اسود يسير المقدار ويتولد عنه كثير القوابي والبواسير والرمد والامراض السوداوية ويفتح سدد الكبد والطحال واذا سلق ثم قلي بدهن اللوز ذهب عنه أكثر حدته وحرافته ، والمشوى منه أصلح للمعدة التي تقىء الطعام ، والمطبوخ بالخل أوفق للمحرورين واصحاب الاكباد الحارة والاطحلة الغليظة

وقال ابن ماسويه : والاحمد في اتخاذه ان يقشر ويشق ويحشى ملحاً ويترك وقتاً طويلاً فى الماء البارد ثم يصب ذلك الماء عنه ويعاد عليه ماء آخر ثم يسلق ويطبخ بالحملان والجدايا والدجاج وان اكل مقلواً بسيرج وخل ومري يمتص

بعد اكله ماء الرمان . وكثرة اكله تولد السرطانات والصلامات والجذام والسهر وتكثر البلغم والبواسير الا ان اقماعه اذا جففت في الظل وسحقت نفعت البواسير بعد ان تطلى بدهن مسخن

وقال بعضهم في وصف الباذنجان يشبه انوف الزنج واذناب المحاجم وبطون العقارب وبزر الزقوم . فقيل له انه يحشى باللحم المقلى بالزعفران فقال لو حشي بالتقوى ما افلح ابدا

وقال الشاعر :

واذا صنعت غذاءنا فاصنعه غير مبندجي
اياك هامة اسود عريان اصلع كوسجي

وقل مؤلفه البدري فيه وهو مقلي :

بذنجة شبهتها لما قلاها واخترم
بسقط زنج راقد وزند من بعض الخدم

وقال فيه أيضاً :

بذنجكم كزنوج كواسج في التثام

خضر الطراطير هاموا بالرقص تحت الخيام

ومن خصائصها الكراث . قال الغافقي الشامي صنفان منه صنف أعناقه طويلة ورءوسه صغار ، وصنف منه اعناقه قصيرة ورءوسه مدورة كبار اطيب طعماً من الاول هو المسمى بالقفلوط وهو مما يؤكل أصله دون فروعه .وهو في الثانية نافخ رديء الكيموس تعرض منه احلام رديئة ويدر البول ويلين البطن ويلطف ويحدث غشاوة في العين ويدر الطمث ويضر بالمثانة المتقرحة والكلى واذا طبخ بماء الشعير اخرج الفضول التي في الصدر وورقه اذا طبخ بماء البحر والخل وجلس النساء فيه نفعهم من انضمام فم الرحم والصلابة العارضة له وقد يسلق سلقين بماء بعد ماء ثم ينقع بماء بارد حتى يحلو طعمه ويقل نفخه

وقال الرازي : يهيج الباه والانعاظ ، وهو أسكن وأقل في الحدة والاعطاش من البصل ، وأغلظ جرما وأبطأ نزولا وانهضاما

وقال ابن ماسويه [١] ينفع من القولنج ، واذا أكل الكراث أو طبخ نفع من البواسير الباردة وورق الكراث الشامي من خاصيته النفع للرحم التي فيها رطوبة تزلق الولد

وكراث المائدة المسمى عند أهل العراق بالقرط وفي الشام بالبقل وفي الحجاز بالكراث

وقال ابن اسحق [٢] : هو الكراث النبطى ويخرج من تحت الأرض أوراقا ثلاثا دون اعناق في لون ورق الكراث الاندلسى وشكله الا أنه دقيق جداً وما تحت الارض من أصله قدر عقدتين أو ثلاث ، أبيض مستطيل غير مستدير

[ديسقوريدوس : والكراث النبطي هو اشد حراقة من الكراث الشامي] ، وفيه شيء من قبض ، ولذلك ماؤه اذا خلط بالخل ودقاق الكندر قطع الدم

---

(١) في (مفردات ابن البيطار) : « ابن ماسه »

(٢) فى (مفردات ابن البيطار) : « ابن سمحون قال علي ابن محمد . . . الخ »

وخاصة الرعاف ، ويحرك شهوة الجماع ، واذا خلط بالعسل ولعق كان صالحا لكل وجع يعرض في الصدر وقرحة الرئة ، واذا أكل نقى قصبة الرئة ، واذا أدمن أكله أظلم البصر ، وهو رديء للمعدة ، واذا تضمد به مع السماق قطع الثآليل ويبري الشرى ، واذا تضمد به مع الملح قلع خبث القروح واذا شرب من نوره وزن درهمين مع مثله من حب الآس قطع نفث الدم من الصدر

وقل ابن ماسويه : حار فى الدرجه الثالثة يابس في الدرجة الثانية ، مصدع ، يولد بخاراً ردئا ويري أحلاما مرعبة ، ينفع من السدد العارضة فى الكبد المتولدة من البلغم وان سلق وطحن وأكل وضمد به البواسير العارضة من الرطوبة نفع منها

وقال الرازى : مفتق لشهوة الطعام منعظ معين على الاستكثار من الباه ، ولا يصلح لاصحاب الامزجة الحارة ومن يسرع اليه الرمد والامتلاء الى راسه

وقال اليهودي : خاصيته افساد الاسنان واللثة

قال مونس [١] اذا ضمد به على موضع لسعة الافعى نفع منها

[ماسرجويه] وبزره اذا دهنت به المقعدة أذهب البواسير وأكله يخرب الاضراس وينثرها غير انه اذا وجد في الامعاء باغها أساله ؛ واذا شرب من بزره ملعقة أحدث انتشارا صحيحاً . انتهى

وأما الجزر قال ابن الجوزي : حار رطب ؛ يحرك الباه ؛ ويدر البول ؛ بطيء الهضم دفع مضرته انضاجه وفيه نفخ . اصلاحه بالخل والمرى والخردل

ومن تشبيه ابن المعتز قوله :

أنظر الى الجزر الذي يحكي لنا لهب الحريق
كمدية من سندس وبها نصاب من عقيق

وبها الزعتر . قال ابن الاثير : الزعتر نوعان بستاني وبرى . وهو حار يابس محلل ملطف ؛ يسكن وجع الضرس اذا مضغ ؛ وينفع من أوجاع الوركين ؛ وينفع

(١) في [مفردات ابن البيطار] : « اسحاق بن عمران »

الكبد والمعدة ، ويخرج الديدان ، ويدر البول ، ويمري ويشهي الطعام ، ويحلل الرياح ، وقدر مايوجد منه مثقال وا كله ينفع من غشاوة البصر الحادث من رطوبة ، ودهنه ينفع الصدر والرئة ؛ وينفع من لسع الحيات لاسيما النديّ منه . وذكروا أن القنفذ وابن عرس اذا تناهشا الافاعي والحيات تعالجا باكل الزعتر البري . والله اعلم

وفيه يقول ابن وكيع :

زعتر بل ادق من أرجل النمل   وازكى من نفحة الزعفران
كسطور كسين نقطا وشكلا   من يدي كاتب لطيف المعاني

وبها الفجل حار يابس محرك الباه رديء الكيموس يهضم ولا ينهضم لانه يهضم بجوهره اللطيف فاذا انحل ذلك الجوهر بقي جوهره الكثيف الذي فيه عاصيا على القوى الهاضمة لزجاً سريعاً الى التعفن رديئا للمعدة يدر البول ويجلو المثانة فاذا أكل على الريق ازال البلغم وقوّى المعدة لكنه يضر الرأس والاسنان والعين ؛ لكن ماءه يجلو العين واذا طلي بمائه البهق زال ومن طبخ الفجل

باللبن الحليب وشربه تنظفت مثانته من الرمل والحصى . والمطبوخ من الفجل يصلح للسعال المزمن العتيق والكيموس المتولد في الصدر ، واذا اكل الفجل قبل الطعام لين البطن وانفذ الغذاء ، واذا اكل بعده صار الطعام صافيا ولا يدعه يستقرّ . وماء ورقه يفتح سدد الكبد ويزيل اليرقان وينفع من نهش الافاعي . وان وضعت شدخة منه على العقرب ماتت ، وماؤه اقوى من ذلك ، وأين لذغت العقرب من أكل فجلا لم تضرّه . ونَور الفجل يحلل الرياح وينفع من النمش الكائن في الاعضاء وآثار الضرب والكلف . ومن أكل بزر الفجل مع العسل ذهب بعض فؤاده . انتهى

وبها السذاب . حار يابس ينفع وجع الصدر ويقاوم السموم ويشرب من يحذر السم من بزره وزن درهم مع ورقة شراب يجفف ويقطعه ومن أغلى السذاب في سيرج وطلى به جسده لم يكن في ثيابه قملة ومن آلمه ضرسه فأخذ ورق السذاب مع زبيبة سوداء فمضغه سكن

وبها النعناع حار يابس وفيه رطوبة تحرك به شهوة الجماع ويقوي المعدة ويسخنها ويجوّد الهضم ويسكن الفواق الحادث عن امتلاء وينفع اليرقان وخصوصاً بشرابه واذا تركت منه طاقات في اللبن لم يتجبن

وبها الرشاد حار يابس ملطف يقتل الدود ويحلل الرياح ويقطع البلغم والرطوبة الا انه يضر المعدة والمثانة

وبها البقلة الحمقاء باردة رطبة تنفع الضرَس والصداع الحار تضر المني وتقطع شهوة الجماع ، دفع ضررها بالجرجير تصلح للامزاج الحارة والشباب في الصيف ، واذا شرب بزر البقلة مع السكر نفع السعال الحار ، والاقباط تسميها رجلة

وفيها يقول السراج الوراق :

وأحمقٌ أضافنا ببقـــلة
لنسـبة بينهما ووصـــله

فمن أقلُّ أدباً من سـفلة
قد مد ما بين الضيوف رجله

وبها الاسفاناخ حار معتدل رطب وقيل بارد ينفع من السعال وخشونة الحلق والصدر ويقمع الصفراء والمرار مضرته أنه يسيء الهضم دفعها بمعجون الورد

وبها الكرفس حار يابس يحلل الرياح ويسكن الاوجاع وينفع من عسر البول ويخرج المشيمة ويهيج الباه وينفع المعدة وبردها والسعال والطحال وينقي الكلى والمثانة ويفتت ويصدع الدماغ الا أن يضاف اليه الخس يصلح للامزاج الباردة والكهول في الشتاء وأكله في الشتاء يذهب البلغم

وبها السلق الاحمر والابيض حار رطب وقيل بارد ملين للطبيعة وبه تلطيف يفتح به سدد الكبد والطحال ينبغي لمن يأكله أن يطيبه بالخل والخردل وأصل السلق مولد البلغم لا يوافق المعدة وماؤه يذهب الحرارة من الرأس ويقلع الثآليل . مضرته يحرق الدم .دفعها . . .والمرى ينفع من الكلف اذا استعمل ورقه ضمادا بعد غسل الموضع بنطرون ومن طلا رأسه بالسلق زالت الصيبان منه واسودّ

شعره وتجعد وطال

بها الهندباء باردة رطبة وقيل يابسة جيدها الرطب يقوي المعدة ويفتح سدد الكبد والطحال والاحشاء والعروق ويقطع حرارة الدم ويبرد الكبد الحارة وانفعها للكبد أمرّها وماؤها المعتصر ينفع اليرقان الذي من السدد مضرتها تبطيء بالهضم ، دفع مضرتها بالرشاد ، تصلح للامزجة الحارة والشباب في الصيف

وبها البصل . حار يابس وقيل رطب ينفع من تغير المياه ويفتق الشهوة ويهيج الباه ويزيد في المني ويحسن اللون ويقطع البلغم وينظف المعدة إلا أنه يثير الشقيقة ويصدع الرأس ويولد رياحا ويظلم البصر ، وكثرة أكل البصل تورث النسيان وتفسد العقل ، دفع مضرته الخل واللبن ، يصلح الامزاج الباردة ، واذا دق وعجن بالعسل ووضع على الكلف الغليظ والقوابى والبهق الاسود قلع ذلك ، واذا دق ناعماً وطلي به موضع الشعر نفع داء الثعلب ، وان أحرق كان أنفع ، وينفع من نهش الحيات

والكَلْب العَكَلِب

وبها الثوم حار يابس سخن مجفف جيده القليل الحدّة ، ويقوي المعدة ، ويسخن المعدة مع البدن ، ويقطع البلغم ويحل النفخ ، ويصفي الحلق ، ويحفظ صحة البدن وينفع من تغيرت عليه المياه ، والسعال المزمن ، وأوجاع الصدر من البرد ، ويخرج العلق من الحلق ، وينفع من السموم ويفتح السدد ، الا أنه يهيج الصفراء ويضر الدماغ ويصدع ويضعف البصر والباه ، ولا يصلح بأن يأكله معتقل ولا مصدع وخلطه غليظ ، والنيء منه يقتل الدود ، والمطبوخ ينظف المثانة . ومن أخذ شيئاً مطبوخا منه أو مقلواً بسيرج وتحمل به ازال الحكاك عنه ونفعه من عرق النساء ، ومن أكل الثوم ولذغته العقرب لم تضره. وان طلي مكان اللذغة بالثوم خرج السم من اللاسع ، واذا مضغ على سن سكن ألمه ، ومطبوخه ومشويه يسكن وجع الاسنان ، ورماد الثوم اذا طلي بالعسل على البهق والقوابي نفع ، ومن أراد أن يذهب ريح الثوم من فيه

فليمضغ دقيق الباقلاء

وبها الكسفرة [(١)] اليابسة حارة مع قبض وقيل باردة [(٢)] تقوي المعدة المحرورة لكنها تولد ظلمة البصر ، ولا ينبغي الاستكثار منها لانها تحرق الدم وتعفنه وتقطع الشهوة وتفسد الذهن والرطوبة وربما قتلت

وبها الكراويا حارة يابسة تحلل الرياح وتقتل الدود العارض في الامعاء وتسمن وتنفع الخفقان والمغص وترخي الرئة، دفع ضررها بالشعير . انتهى

وبها الكمون كالكراويا وأقوى في تحليل الريح ، حار في الثانية يابس في الثالثة اذا غسل الوجه بمائه صفاه فان

---

(١) وردت في كتب النبات والعقاقير بلفظ كسفرة وكسبرة وكزبرة

(٢) هذا قول (ديسقوريدوس) وقد تكلم على ذلك ابن البيطار في لفظ « كزبرة » من مفرداته بمقالة تدل على فضل وعلم

استكثر منه صفر اللون واذا سخن بالخل وشم قطع الرعاف

وبها القرع . قال جالينوس في السابعة مزاجه بارد رطب ، وهو منهما في الدرجة الثالثة ، ولذلك صار عصير جرادته نافعاً من وجع الاذن الحادث عن ورم حار متى استعمله الانسان مع دهن ورد ، وكذلك جملة جرم القرع وما دام نيئاً فطعمه كريه ومضرته للمعدة عظيمة . وقد رأيت انسانا أقدم على أكله نيئاً فاحسَّ في معدته بثقل وبرد وأصابه عليه غثيان وقيء . فاذا سلق فانه يغذو غذاء رطبا وانحداره عن المعدة سريع لرطوبته ولما فيه من الملاسة والتزليق ، واذا انهضم فليس خلطه برديء متى لم يسبق اليه الفساد قبل انهضامه والفساد يعرض له من قبل ابطائه في المعدة وعدم انحداره ، ومهما اكل معه انقلب خلطه وتشبه به

وقال ديسقوريدوس : يسكن الاورام البلغمية ، واذا طبخ كما هو وعصر وشرب ماؤه بعسل وشيء يسير

من نطرون اسهل البطن اسهالا خفيفا

وقال الرازي : بارد مولد للبلغم وهو طعام المحرورين يطفئ ويبرد ويسكن اللهب والعطش وينفع من الحميات ، واذا طبخ بالخل نقص من غلظه وبطؤ هضمه وكان اشد تطفية للصفراء والدم ، الا أنه في هذه الحالة لا يصلح لاصحاب خشونة الصدر والسعال وأما من به سعال وحمى فليطبخه مع كشك الشعير ومع الماش المقشر ودهن اللوز الحلو وليجتنبه المبرودون والمبلغمون لانه يولد فيهم القولنج الغليظ ، وان اكلوه فليأ كلوه مطبوخا بالزيت مطيبا بالفلفل وليشربوا عليه الشراب الصرف ، فاذا وضع مع اللبن يصلح منه الخردل ، واذا وقع في الخل فانه يصلح غلظه لكن لا يصلح برودته

وقال اسحق بن سليمان : اذا لطخ بالعجين وشوي في الفرن أو التنور واستخرج ماؤه وشرب ببعض الاشربة اللطيفة سكن حرارة الحمى الملتهبة وقطع العطش

وقال حبيش [بن الحسن] : اذا شرب من مائه

المستخرج بالشيّ فيكون مع عشرين درهماً من الجلاب اوزن عشرة دراهم من السكر الابيض ، ومقدار مايشرب منه أربعة آواق الى نصف رطل وحميته تسقط الشهوة ودهنه في نحو دهن البنفسج جيد للحر والسهر

وقل اسحق بن عمران : ماؤه يسكن الصداع اذا شرب أو غسل به الرأس ، وقد ينوم من يبس دماغه اذا قطر منه في الانف وهو يلين البطن كيف استعمل ولم يداوَ المبرسمون والمحرورون بمثله ولا أعجل نفعاً منه

وقال الشريف : ماؤه المشوي بالعجين اذا اكتحل به يذهب صفرة العين الكائنة من اليرقان ، واذا اكتحل بماء زهره اذهب الرمد الحار ، وقشر القرع اليابس اذا أحرق وذر على الدم المنبعث قطعه ، واذا أحرق وسحق وعجن بخل وطلي به البرص نفع منه ، واذا قشر حبه ودق واستخرج دهنه انتفع به من وجع الاذان ووجع الامعاء الحارة ومرقة الفروج المطبوخة بالقرع منعشة المغشي عليهم من حدة الاخلاط الصفراوية في الحميات وحراقة

قشره اليابس تنفع من قروح الاعضاء اليابسة وهي جيدة لتطهير الصبيان ومن قروح الذكر وتجففها

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا طبختم قدراً فاكثروا فيها من الدبّاء فانه يشد قلب الحزين» انتهى

وانشدني شيخنا العلامة شهاب الدين المنصور :

ياعين أعيان الزمان ويا   شيخ الشيوخ ومحيي الشرع
ماقرع البابَ عليك امرء   الا وذاق حلاوة القرع

وبها الكمأة وهي من خواصها . قال ابن البيطار في الثانية وهو أصل مستدير لا ورق له ولا ساق ، لونه الى الحمرة يؤخذ في الربيع ويؤكل نيئاً ومطبوخا

وقال جالينوس : في الثامنة قوام جرم الكمأة من جوهر أرضى وهي غليظة الكيموس قليلا الا أنه ليس برديء تورث عسر البول والقولنج واجودها ما كان من موضع فيه رمل قليل والكمأة الحمراء قاتلة واجود الكمأة الشديدة التلزز والاملاس والميل الى البياض وأما المتخلخل

الرخو فرديء جدا في المعدة الحارة يولد الاوجاع في أسفل الظهر والصدر ويولد السدد ، وماؤها يجلي البصر وادمان اكلها يورث السكتة والفالج وهي بطيئة الانهضام وينبغي لآكلها ان يقشرها وينقيها تنقية كبيرة ليصل اليها الماء ويخرج غلظها وربما تدفن في الطين الحار يوما وليلة ثم تغسل ثم تسلقها بالماء والملح والفودنج والسذاب سلقا بليغا ثم تؤكل بالزيت الركابي والمري والسعتر والفلفل . واليابسة من الكمأة ابطأ في المعدة وأكثر ضرراً وينبغي ان يشرب عليها النبيذ المعسل الصرف ويؤخذ الترياق والزنجبيل

وقال ابن الجوزي : الكمأة نبات يتولد من عفونة الارض الكثيرة الامطار يولد البلغم الشديد والاسود اشد غلظا يولد السوداء ويفسد النكهة وهي من الاغذية الرديئة لكن ماءها يجلو العين لقول النبي ﷺ « الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين » اخرجاه في الصحيحين . انتهى

وقال الغافقي في مفردات ابن البيطار : ان من أكلها

واسعه شيء من الهوام ذوات السموم مات ولم يخاصه الدواء البتة . انتهى

وبها اللوبياء . قال ابن الجوزي : منه أبيض ومزاجه بارد يابس ، ومنه أحمر وفيه حرارة ونفخ ، جيده الاحمر يدر البول ويولد خلطاً ويغشى ويولد احلاما رديئة رفعها بالزيت والمري والخردل ومنه غليظ وقليل صاف ينفع الامزاج الباردة اليابسة يصلح للكهول نفخه اقل من الباقلاء

وبها الارز . حار قيل بارد منفعته من لذغ المعدة مضرته القولنج لانه يحبس البطن دفعها أن يطبخ بالدهن واللبن . واذا طبخ الارز بعد أن يغسل بدهن اللوز أو السيرج أو السمن أو الالية لم يحبس البطن بل يسكن الوجع العارض في المعدة والامعاء وغذاؤه محمود معتدل يصلح للامراض الحارة الرطبة ، واذا طبخ باللبن الحليب ولد السوداء لتوليده خلطاً غليظاً لكنه ينفع الباه

الباقلاء . بارد رطب وقيل يابس ، أجوده الابيض

السمين وارداه الطري ، يحدث الحكة ويولد البلغم ودفع مضرته بالسعتر والملح ويؤكل بعده الزنجبيل ، والباقلاء تنفع من السعال . مضرته يبلد الحواس دفعها باطالة نقعه واجادة نضجه وأكله بالفلفل والملح والسعتر مع الادهان لما فيه من النفخ والترهل والنوم والكسل والسدد يولد الاخلاط الغليظة ويرى أحلاما رديئة واذا طبخ بقشره كان أردأ وأكثر توليداً للرياح والباقلاء وتجلو البهق من الوجه

وفيها يقول القاضي جمال الدين ابو الحسن على بن منصور الخزرجي صاحب (غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات) وقد صلق قدامه الباقلاء :

وقدر بها تصلق الباقلا قبيل الصباح لمن قد خمر
أتينا بها وسط زبدية فكان كأحسن شيء حضر
فصوص من العاج مطبوقه لها غلف من أديم البشر

ومن مجون ابن العطار الدنيسري قوله :

شاقني حارس فول زهره حاكى عيونك

وابتغى التعريض قلنا لعن الله قرونك

ومن بديع ابن وكيع قوله :

ان للباقلاء نوراً ظريفاً

جلّ في الحسن عن بديع مثال

قد حكى ضحوة لنا اذ تبدى

سرر الروم ضمخت بغوال

ومن بديع المذكور ومقاصده قوله فيه :

فصل الربيع بدا لنا بنسيمه يدعو فتسرع نحوه الخلق

زهر الباقلا به فكأنه[1] بين الرياض حمائم بلق

ومن تشابيهه الفائقة قوله :

كأن ورد الباقلاء اذ بدا

لناظريه اعين فيها حور

كمثل الحاظ اليعافير اذا

روّعها من قانص فرط الحذر

كانها مداهن من فضة

اوساطها فيها من المسك اثر

(١) كذا

كأنه سوالف من خرّد
قد نبتت سوداً لها بيض الطرر

ومن لطائفه قوله فيه :

لى نحوَ ورد الباقلا لحظ سباني بالدعج
كأنما بياضه يلوح في ذاك البلج
خواتم من فضة بها فصوص من سبج

وله رحمه الله تعالى :

كلفت بنَور باقلا سبتني
كأنه فسري فيه فاشِ
اذا نزل الفراش عليه يوما
حسبت النور افراخ الفراش

وبها الذرة . باردة يابسة مجففة

وبها الدخن يابس يعقل

وبها الماش بارد رطب جيده الاخضر الكبار يسهل الاخلاط المؤذية ويلين الصدر وينفع من السعال مع الحمى ويضعف الاسنان ويولد الرياح بطيء الانهضام وهو

غذاء جيد للمحموم اذا طبخ بدهن اللوز .

وبها القرطم . حار رطب يسهل البلغم ويحلل الاورام الصلبة وينقي الصدر والصوت ويزيد في الباه ، لكنه رديء للمعدة ، مقدار الشربة منه خمسة دراهم

وبها العدس . بارد يابس ، جيده الابيض الناضج ، يسكن حدة الدم ، ويقوي المعدة ، مضرته بالماليخوليا والاعصاب والبصر دمه غليظ وهو عسر الانهضام ، يصلح الامزاج الدموية والشباب في الصيف ويكره لاصحاب السوداء ، لانه يتولد منه خلط سوداوي فيحدث فيهم الوسواس والجذام وحمى الربع ويضر بالعين التي مزاجها يابس وينفع العين التي مزاجها رطب ؛ ومما يدفع ضرره الاسفاناخ والسلق مع كثير من الادهان . وينبغي أن يلقى على رطل من العدس سبعة أرطال من الماء حتى ينضج جيدا

ولا ينبغي أن يخلط به حلو فانه يولد سدداً في الكبد ، ومن أكثر من أكله اظلم بصره لشدة تجفيفه ويقلل البول والطمث فلا يقربه من يقطر في بوله

وبها السمسم . حار رطب دسم مغثٍ معطش مسقط للشهوة مرخ للحشا عسر الانهضام ، الا أنه يسمن ويحلل الاورام الحارة وهو جيد لضيق النفس والربو . رديء للمعدة . دفع مضرته أن يؤكل بالعسل . ودهن السمسم هو السيرج محلل الاورام البلغمية والقولنج وينفع السعال وخشونة الحلق الا أنه رديء لفم المعدة

وبها بزر قطونا . بارد رطب يجلو ويغسل وينقي ويطفي العطش اذا قلي فان ضرب في الماء حتى يرخي لعابه وشرب اطلق الطبيعة

وبها الترمس . حار يابس . نفعه يقتل الدود وينفخ سدد الطحال عسر الانهضام يولد خلطاً بارداً دفعها أن يؤكل بالخل يصلح للامزاج البلغمية والشيوخ في الشتاء

وفيه يقول مهيار :

وترمس طاف به مهفهف كالقمر
من اسود واصفر واحمر وأخضر
نخلته لما أتى به فصوص جوهر

وبها الحمص . حار رطب وقيل يابس والاسود أقوى جيده الكبار ويجلو ويزيد في المني جداً ويفتت الحصى ويحسن اللون طلاء وأكلا ويصفي الصوت ويفتح السدد من الكبد والطحال، وينبغي أن يؤكل في الطعام . وطبيخ الاسود بدهن الاوز ويفتت الحصا في المثانة والكلى . وهو رديء لقروح المثانة ورطبه اكثر توليداً للفضول من يابسه . وماؤه يحدر الدود وينقي المثانة والامعاء الدقيقة وينفع من وجع الظهر ويخرج الجنين ويدر الطمث . دفع مضرته بالخشخاش والكمون والاسود أنفع . واذا نقع في الخل على الريق وصبر عليه نصف يوم قتل الدود . انتهى

وفيه يقول الشهابي ابن الاطرش ويعرض بذكر الامير طشتمر حمص أخضر لما عاد من النفي :

لما رجعتَ الينا من شقة البعد والبين
خلناك تحنو علينا يا حمص اخضر بقلبين

وبها الحلبة . حارة يابسة ملينة للطبيعة اذا اكلت مطبوخة بعدالطعام . ومتى طبخت مع التين اليابس طبخا

جيداً ثم صفيت والقى ماؤهما في العسل وطبخ ثانية حتى يصير كالعرق نفع أصحاب السعال العتيق ونقى الصدر والرئة من الخلط الغليظ اللزج

وبها الخس قال ابن الجوزي : بارد رطب ينفع السهر ويولد ماء كثيراً ويجلب النوم وينفع من الهذيان واحراق الشمس للرأس ويقطع سيلان المني . وهو أفضل البقول وأقلها رداءة وا كثرها غذاء سريع الهضم ينفع الامزاج الحادة والاورام الحارة واليرقان وينفع من اختلاف المياه وهو يسكن شهوة الجماع وينفع من كثرة الاحتلام وبزره أشد في ذلك الاأن ضرره يجفف المنى ويضر الباه والبصر ويحدث ظلمة ، دفع مضرته بالكرفس . والله أعلم

وفيه يقول مؤلفه البدرى على لسان بعض الظرفاء :

صحبت في الزيه[1] يوما خلين والجوع مسّا
بفولة جاد لى ذا وذا ببقل وخسّا[1]

ومن محاسن الشام أرض الميطور والسيلوق وهما

(١) كذا

من متنزهاتها ويقال أن أول من غرس بها غراساً بيده سليمان بن عبد الملك وكان يروي عن النبي ﷺ حديثاً يقول: قال النبي ﷺ « من غرس غرساً كتب الله له من الاجر بقدر ما يخرج من ثمار ذلك الغرس » وقال النبي ﷺ « نعم المال النخل الراسخات في الوحل المطعمات في المحل » وقال ﷺ « ابتغوا الرزق في خبايا الارض » يعنى الزراعة . وقيل لعثمان رضي الله عنه « اتغرس بعد الكبر ؟ » فقال : « لأن توافيني الساعة وأنا من المصلحين خير من توافيني وأنا من المفسدين » . وقيل لابي الدرداء رضي الله عنه وهو يغرس جوزة « اتغرس وأنت شيخ وهي لا تطعم الا بعد عشرين سنة » فقال « لا علىّ بعد أن يكون الاجر لي . ومر كسرى بشيخ وهو يغرس فقال « اترجو أن تأكل من ثمرتها » فقال « غرسوا وأكلنا ونغرس فيأكلون » فقال كسرى « زه » وأعطاه اربعة آلاف درهم فقال الشيخ « ان الشجر تدرك وتطعم في سبع سنين وقد أطعمتْ شجرتي في يوم واحد » فقال كسرى اعطوه

أربعة آلاف اخرى

رجع . ويقال أن سليمان بن عبد الملك كان نهما في الاكل فجاءه بستاني ليضمن بستانه هذا فقال اركبُ اليه اولا انظر فاكهته ثم نضمنك اياه ثم ركب ودخل البستان فلم يدع به من الثمار الا اليسير حتى ماخلّى فيه من البندق الاخضر والفستق الاما عزب عنه ثم نادى الضامنَ سليمان وقال للشهود اكتبوا على هذا ضمان هذا البستان فقال البستاني كنت أضمنه قبل دخول امير المؤمنين اليه فضحك منه . ويقال ان قشر البندق والفستق تجمع فجاء قدر مكوك طائفي وفضل عنه (١)

قال ابن الجوزى : البندق حار يابس اغلظ من الجوز وابطأ انهضاماً ويولد رياحا في البطن الاسفل الا أنه يقوى المعدة والامعاء وخلطه غليظ في الدماغ ويؤكل

(١) كان القصاصون يبالغون أولاً بذكر القصص في هذا الباب تقربا للعباسيين ، ثم خاف من بعدهم خلف تجاوزوا حدود المنطق والعقل في هذا الاغراق واسرفوا فيه

مع قليل فلفل فينفع من الزكام وينفع من النهوش خصوصا في التين والسذاب وكذلك الجوز.

قال ابن البيطار : في السابعة وفيه من الجوهر الارضي البارد اكثر مما في الجوز وكذلك هو أشد عفوصة منه عند المذاق ، وذلك موجود في شجرته وثمرته وقشره

قال جالينوس : اذا سحق وشرب بالعسل ابرأ من السعال المزمن واذا قلي واكل مع شيء يسير من الفلفل انضج النزلة واذا حرق وسحق وخلط بالشحم العتيق من شحم الخنزير أو شحم الدبّ ولطخ به داء الثعلب نبت فيه الشعر. والبندق المحروق اذا سحق مع الزيت وسقيت به يافوخات الصبيان الزرق سوّد أحداقهم وشعورهم ومن اكل البندق قبل الطعام نفع من السموم وهو مقطع للخلط اللزج نافع من النفث الحادث من الرئة

وفيه يقول بعضهم وابدع :

ولقد شربت مع الغزال مدامة حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبي الغرير ببندق شبهته ببنادق من ساج

فكسرته فوجدت صوفاً أحمراً   قد لف فيه بنادق من عاج

الفستق حار يابس وقيل رطب وقيل معتدل منفعته للمعدة يقوى فمها ويقوى الكبد ويفتح سددها وينقي الكليتين والمثانة يفتح منافذ الغذاء ويزيد في الباه وينفع من لذغ العقرب وسائر الهوام خصوصا الشامي لكنه يصير الشرى دفع مضرته بمشمش يابس والله أعلم . انتهى

وفيه يقول مهذب الدين الدهان :

وفستقة شبهتها اذ رايتها
وقد عاينتها مقلتي بنعيم
زبرجدة خضراء وسط حريرة
بحقة عاج في غلاف اديم

وهو ماخوذ من قول الصابي :

زمرد صانه حرير   في حق عاج له غلاف

واحسن منه قول ابن المعتز بالله :

زبرجدة ملفوفة في حريرة   مضمنة دراً مغشى بياقوت

وقال فضل الكاتب وابدع :

وفســتق مســتلذ من بعد شرب الرحيق
حق من العاج يحوى زمرداً في عقيق

ومن لطائف ابن سكرة قوله :

كانما الفستق المملوح حين بدا
مقشراً في لطيفات الطيافير
والقلب من بين قشريه يلوح لنا
كألسن الطير من بين المناقير

عود وانعطاف الى ذكر سليمان بن عبد الملك . نقل الحافظ ابن عساكر في تاريخه عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث قال اخبرنا ان سليمان بن عبد الملك أمر قيم بستانه ان يحبس على الفواكه لا يجني منها شيئاً وأمرني بالركوب معه عند طلوع القمر من آخر الليل ومن حضر من أصحابه ، فلما دخلنا الى البستان انفرد كل منا يأكل حتى ارتفع النهار ثم صرنا اليه وقد أكلنا قدر الطاقة ونحن نقول هذا القطف العنب استوى فيخرطه في فيه وهـذه التفاحـة نضجت وهذه الانجاصة ناعمة وكلما رأينا شيئاً نضيجاً نشير اليـه

فيتناوله ويأكله حتى آن الضحى ، فأقبل على قيم البستان وقال ويحك ياشمردل انى قد جعت فهل عندك شيء تطعمنيه . قال نعم عناق حولية حمراء قال ائتني بها بلا تأخير فجاء بها مشوية على خوان وهو قائم بين اشجار الفاكهة فصار يتناول منها قطعة بعد قطعة ويتناول عليها الفاكهة الى ان فرغت . فقال له ياشمردل هل عندك غيرها فقال نعم دجاجتان معلوفتان قد عميتا شحماً قال ائتني بهما ففعل كما فعل بالعناق واتى بهما وهو قائم بين أشجار الفاكهة حتى فرغا وقال له ان كان عندك سويق بسمن سلاو بعض سكر فائتني به فانى جائع فجاء بذلك فأكله واستدعى بماء بارد وجعل شمردل يصب عليه الماء وأمير المؤمنين يحركه حتى كفأه فارغا ثم أعاد الاكل فى الفاكهة فأكل ملياً واذا بالسماط حضر فجلس يأكل كأنه لم يأكل شيئاً

قال الحارث فعجبنا منه

ويقال انه عرضت له حمى عقيب هذا اشرف منه على الموت وقيل بل سبب موته انه أكل اربعمائة بيضة

وسلتي تين وسبعمائة رمانة وخروف وست دجاجات ومكوك زبيب طائفي . انتهى

وانما ذكر ذلك على سبيل الاستطراد وذكر بستانه والله أعلم

ومن محاسن الشام (السهم) وهو متصل بارض الصالحيـة . وهو درب ما بين دور وقصور ، وفاكهـة وزهور ، ومياه تجري بهدير كالبحور . وفيه يقول القيراطي :

دمشق بواديها رياض نواضر
بها ينجلي عن قلب ناظرها الهمُّ
على نفسه فليبك من ضاع عمره
وليس له فيها نصيب ولا سهم

ومن لطائفه قوله فيها وفي السهم :

بقاع دمشق للأمير بشائر
فقف بمغاني جنكها متنزها

بقاع اذا قوس الرباب بسهمه
رماها غدت بالوشي بردا مسهما

وما أحسن قول القيراطي :

دمشق سما سهمها على قوس الكواكب ، وأقبلت من كتائب زهورها في مواكب . وتحرك عودها حين غنت عليه من الورق الفينان ، وطفح يزيدها فقلت وهذا مما يعجب ابا سفيان

ومن المحاسن ارض بضار وبهران ، وهما معدِن التوت ، واصل حسنه المنعوت

وهو أصناف : محسني . بندقي . عجمى . مخضب . قرشي . حراديني . شامي وهو الاسود

قال جالينوس في السابعة التوت المحسني الابيض اذا كان نضيجا فهو يطلق البطن وما لم ينضج وقدِّد صار دواء يحبس البطن حبساً شديداً حتى انه يصلح لقروح الامعاء والاستطلاق ولجميع العلل التي هي من جنس التحلب ، ويخلط بعد أن يسحق مع الاطعمة كما يخلط السماق

فان أحب انسان أن يشربه شربة مع الماء أو مع الشراب أو مع عصارة التوت المدرك فهي نافعة لادواء الفم

وقال ابن الجوزى : اذا أكل التوت الابيض على الريق أسهل وولد خلطاً جيداً فان أكل على الطعام ولد كيموسا وأضر بالمعدة وهو رديء الغذاء فاسد الدم خلطه غليظ يكره منه غير النضيج والاوفق أن يغسل قبل أكله ليؤمن اضراره بالمعدة والرأس ويشرب بعده السكنجبين والتوت النضيج المبرد بالثلج ينفع المعدة التي غلب الحر عليها واليبس . انتهى

وفيه يقول المهلبي :

كلوا من التوت وانشطوا فانه على الارى مسلط(١)
كأنما التوت على اطباقه لآلىء بعندم منقط

ومن مجون لسان الدين ابن الخطيب قوله فيه :

أقول له اذ ابتعنا عصيرا
وجاوزنا المنازل والبيوتا

(١) كذا

لعلك يا حبيب القلب تأتي
وتأكل عندنا عنبا وتوتا

ونقلت من خط المرحوم شمس الدين محمد النواجي قوله :

بالله يا صاح قم وباكر بستان لهو حوى نعوتا
تشبع نخلاً به وكرما مرتبا يا نعا وتوتا

والتوت الاسود الشامي قال ابن الجوزي في (لقط المنافع) الحلو حار رطب والحامض بارد جيده الكبار السود . ومنفعته لاورام الحلق وادرار البول ، ومضرته يحدث مغصا وسوء استحالة وهو رديء للمعدة الا أنه لا يضر معدة صفراوية ودفع مضرته الاطريفل الصغير يصلح للامزاج الدموية والشباب في الربيع في البلد الحار والله يعلم

ومن محاسن الشام (الصالحية) مشحونة بالزوايا والترب والمدارس حتى ان بها قصبة دون ميل تمشي فيها بين ترب ومدارس ببناء جميل استولى عليها المباشرون

والنظار ، فازالوا منها العين ولم يبق سوى الآثار . فكم من مدرسة اندرست بعد الصلاة والتراويح ، وأمست في ظلمة بعد تلك المصابيح . وهي تقول أصبحتُ حاصلا ، بعد ما كان ايواني بالقراء عامرا آهلا ، وهذه تقول أضحيت مربطا للبهائم ، بعد ما كنت معبداً للقائم والصائم . وهذه تقول اتخذوني مسكنا ، وهذه تقول جعلوني متبنا . وهذه تقول هدّوني ، واخذوا سقفي وكشفوني . وهذه تقول اخربوا جداري . وباعوا الباب ، وجعلوني مأوى للكلاب . والاوقاف تستغيث الى المولى المغيث . فيقال لهم اسمعوا كلام الرحمن في محكم القرآن « ان الينا إيابَهم ، ثم إن علينا حسابهم »

فياشوقاه لحسن (الجركسية) وحلاوة (الركنية) ويالهفاه على (جامع الافرم) و (الناصرية) . تغيرت تلك المعاهد ، وغلقت أبواب تلك المساجد والمعابد . انا لله وانا اليه راجعون . ان هذا لهو البلاء الجسيم ، فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وبالصالحية نهران ، فيها يجريان . (ثورا) و (يزيد) ، وكم عليهما من غرفة وقصر مشيد

يحكى عن ابن الصائغ الحنفي انه لما قدم من القاهرة الى دمشق المحروسة نزل في (الجسر الابيض) عند الامير مجير الدين ابن تميم ونهر ثورا يمر بداره المانوسة فاجلسه على جانب النهر لاجل برد الهواء ، فرأى شمس الدين ابن الصائغ ما يمرّ من الفواكه على وجه الماء وصار يتناول ويأكل ما استطاب ويضع قدامه منه ما اعجبه ثم التفت لابن تميم وقال له أنت يغنيك هذا النهر عن شراء الفاكهة بفيض فضله العميم وانشده في الحال ارتجالاً :

يقول وقد رأى ثورا خليلي   يفيض بسائر الثمرات فيضا
أيكفيكم فلا تشرون شيئاً   فقلت له نعم ونبيع أيضا

فقال ابن الصائغ : وهذه الفاكهة اليس يرميها في النهر أرباب الغيطان . قال له ابن تميم انما هذه من اشتباك الاشجار وانحنائها عليه فيلقيها النسيم عند ما تشتمل الاغصان واما البساتنة فانهم يضعون فواكه مجموعة على

ابواب البساتين كالزكاة لمن يمرّ بها ويحتاج الى شيء فيأخذه من الفقراء والمساكين

وأُخبرت في القديم ان بعض الفقراء يضع مكتله على رأسه ويسرح في طرق البساتين فيعود وقد امتلأ مكتله مما يسقط من الاثمار من غير ان يتناول بيده شيئاً

وفي البساتين من يزرع اشجاراً للفقراء يعرفونها بالتكرار ، وغالب مايزرع من ذلك على الطرقات ليقرب تناولها . انتهى

وغالب أهل الصالحية يهادون سكان المدينة بالبلح والاترج والكباد ، لنمو حسنه عندهم ونضارته التي هي في ازدياد

قال ابن الجوزي البلح حار يابس وقيل بارد ينشف الرطوبة ويدبغ المعدة ويحبس ، جيده غير القابض يضر بالاسنان والفم . دفع مضرته بالسكنجبين واذا اكل أول مايحلو أحدث قراقر . والبسر والبلح يحدث السدد فى الاحشاء والكبد ويولد الاكثار منهما اخلاطا غليظة

وهما رديئان للصدر واللثة والجمار الذى هو طلع بارد يابس يقوي الحشا ويعقل البطن والطبع ويضر الصدر والحلق دفع مضرته بالتمر والشهد خلطه غليظ بطيء الهضم ينفع الامزاج الحارة الرطبة ومن اكثر من أكل الطلع مرضت معدته واورثه القولنج

وباسناد عن عائشة رضي الله قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلوا البلح بالتمر فان الشيطان اذا نظر الى ابن آدم يا كل البلح بالتمر يقول يقى ابن أدم جنى الحديث بالعتيق» انتهى

الرطب حار رطب يقوي المعدة الباردة ويوافقها ويزيد في الباه لكنه سريع التعفن ودمه رديء وهو مصدع ويولد السدد ويؤذي الاسنان وينبغي ان يشرب بعده السكنجبين

وعن انس قال «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأ كل البطيخ بالرطب» ورواه ابو داود . وعن عبد الله بن جعفر قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كل القثاء بالرطب » اخرجاه في الصحيحين . وعن ابي داود من حديث عائشة رضي الله

عنها أن النبي ﷺ كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول « يكسر حر هذا برد هذا » . وقال ابو سليمان الخطابي وفي هذا بيان الرطب والعلاج ومقابلة الشيء بالمضاد له وفيه اباحة التوسع بالاطعمة ونيل الملاذ المباحة

والرطب المعسل حار رطب ينفع المعدة الباردة ويضر الحنجرة والصوت . دفع مضرته بالسويق الخشخاشي . فاذا عتق كان أقل حرارة واكثر رطوبة وازيد في توليد المنى فاذا ربي بالعسل والزعفران تضاعفت حرارته لكن يكسرها اللوز في موضع النوى ويؤكل بعده الخس بالخل

والتمر جيده البرني الحديث الكبار وهو حار رطب في الاولى يقوي الكبد والاعصاب ويلين الطبع ويزيد في المنى ولكنه يصدع لحرارته ويولد السدد ويؤذي الاسنان سريع التعفن

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « كلوا التمر على الريق فانه يقتل الدود » وعن انس بن مالك ان وفد عبد القيس من أهل هجر قدموا على النبي

ﷺ فقال « خير ثمراتكم البرني يذهب بالداء ولا داء فيه »

وفي مدينة النبي ﷺ تمر يقال له العجوة . وفي الصحيحين من حديث سعد بن ابي وقاص عن النبي ﷺ انه قال « من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » وعن أبي سعيد وجابر قالا قال رسول الله ﷺ « العجوة من الجنة وهي شفاء من السم » . واعلم انما خصت عجوة المدينة بدعاء النبي ﷺ لان التمر لا يفعل ذلك

والقسب معتدل في الحرارة يابس يحبس الطبع وهو احمد من التمر . وما الطف قول صدر الدين بن الادمي في التمر :

لم أرد التمر الذي اهديتموه لسوى
خوفيَ من نواكم لان في التمر النوى

وقال ظافر الحداد في وصف النخيل :

وعشية بهرت لعينك منظراً
قدم السرور بها لقلبك وافدا
روض كما أخضرّ العذار وجدول

نقشت عليه يد النسيم مباردا

والنخل كالهيف الحسان تزينت

فلبسن من أثمارهن قلائدا

وقال بعضهم :

أما ترى التمر يحكي في الحسن للنظار

مخازناً من عقيق قد قمعت بنضار

كأنما زعفران فيه مع الشهد جاري

يشف مثل كئوس مملوءة بعقار

ومما ينسب الى نفطويه قوله :

كأنما النخل وقد نكست رءوسها الريح باذيالها

احبة فارقها إلفها فأطرقت تنظر في حالها

ومن محاسن ابن سارة قوله في الجمار :

جمارة كالماء لكنها ما بين أطمار من الليف

كأنها جسم رطيب وقد لفف في ثوب من الصوف

والنصير الحمامي في من أهدى له جمارة :

أهدى لنا جمارة من لست أخلو من عذابه

فكأنما هي جسمه لما تجرَّد من ثيابه

ابن المعتز يصف الطلع بقوله :

ومريضة الاجفان تفتن كل ذي عقل وناسك
اهدت الينا طلعة والشوك للأحشاء ناهك
فكأنها لما بدت في كفها مكوك حائك
حتى اذا فضت رأيت من اللجين بها سبائك

ومن محاسنه قوله فيه :

كأنما الطلع يحكي لناظري حين يقبل
سلاسلاً من لجين يضمها تحت صندل

وأخذه بلا قافية ابن عبد ربه :

أفدي الذى أهدى الينا طلعة
اهدى الى القلب المشوق بلا بلا
فكأنما هى زورق من فضة
قد أودعته من اللجين سلاسلا

وأخذه ابن وكيع فقال وهو من لطائفه :

طلع هتكنا عنه أثوابه من بعد ما قد كان مستورا

كأنه لما بدا ضاحكاً في العين تشبيها وتقديرا
درج من الصندل قد أودعت فيه يد العطار كافورا

ومن معانيه البديعة قوله :

وطلع هتكنا عنه جيب قميصه
فيا حسنه من منظر حين هتكا
حكى صدر خود من بني الروم هزها
سماع فشقت عنه ثوبا ممسكا

ومن مقاصده قوله في البسر الاحمر :

انظر الى البسر اذ تبدى ولونه قد حكى الشقيقا
كأنما خوصه عليه زبرجد مثمر عقيقا

ومن بدائع ابن القطاع قوله فيه :

انظر البسر ان صورته أحسن ما صوره الرائي
كأنما شكاله لمبصره أنامل قمعت بحناء

ابن حمديس الصقلي قوله في البلح :

أما ترى النخل أطلعت بلحاً جاء بشيراً بدولة الرطب
مكاحل من زمرد خرطت مقمعات الرءوس بالذهب

ابن النقيب اللباني قوله في البسر الابيض :

انظر الى البسر الذي قد جاءنا بالعجب
كيف غدا في لونه كعاشق مكتئب
كأنه من فضة قد غمست في ذهب

ومن لطائف ابن وكيع قوله في الرطب :

أما ترى الرطب المجنى لآكله
حلوى اعدت لنا من صنعة الباري
ما باشرتها يد العقاد في عمل
في الدست يوماً ولا حطت على النار

الاترج * قال ابن البيطار كثير بأرض العرب وهو مما يغرس غرساً ولا يكون بريًّا وورقه مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة ونواره شبيه بنوار النرجس الا أنه الطف وله بزر شبه الكمثرى

وقال جالينوس في السابعة وجوف الاترج الذي فيه البزر حامض الطعم وقوته قوة تجفف تجفيفا كثيراً حتى

يقال انه في الدرجة الثالثة من درجات الاشـياء التي تبرد وتجفف

[اسحق بن سليمان] وما كان منه حامضاً كان بارداً يابساً في الدرجة [الثالثة] يقوي المعدة ويزيد في شهوة الطعـام ويقمع حدّة [المرّة] الصفراء ويزيد الغم العارض منها ويسكن العطش ويقطع الاسهال وينفع من القوباء والكلف اذا طلي عليها ، ويستدل على ذلك من فعله في الحبر اذا وقع في الثياب فانه اذا طلى عليه قلعه وذهب به

[جالينوس] وشحم الاترج الذي بين قشره وحماضه يولد اخلاطا غليظة باردة

[ابن سينا] ينفخ بطيء الانهضام يورث القولنج ، ويجب أن يؤكل مفـرداً ولا يخلط بطعام قبله ولا بعده والمربى بالعسل اسلم واقبل للهضم

وقال ابن الجوزي الاترج جيده السوسي الكبار وهو بارد رطب ولحمه بارد وقشره حار يابس وحماضه بارد يابس ودهنه ينفع البواسير وحبه ينفع الدماغ الذى ناله البرد

ويحلل الرياح العارضة فيه . والله أعلم

وفيه يقول عبد الله بن المعتز بالله :

يا حبذا يومنا ونحن على   رءوسنا نعقد الاكاليلا
في روضة ذللت لقاطفها   غصونها الدانيات تذليلا
كأن اترجها تميس به   أغصانها حاملا ومحمولا
سلاسل من زبرجد حملت   من ذهب أصفى قناديلا

وما أرشق قول ابن رشيق :

اترجة سبطة الاطراف ناعمة
تلقى النفوس بحظ غير منحوس
كأنما بسطت كفاً لخالقها
تدعو بطول بقاء لابن باديس

ومن تشابيه ابن بوبن [1] من مزدوجته :

كأنما أترجه المصبغ   أيدي زناة من زنود تقطع

ومن بديع ابن المعتز قوله :

وكان الاترج كف كعاب   جمعته لضمها بسوار

(١) كذا

ومن التشابيه البديعة قول ابن حمديس :

انظر الى الاترج وهو مصبغ
ان كنت في التشبية اى محقق
مثل الاكف غدت تضم انامِلا
يدخلنَّ في اناء ضيق

ومن محاسن محيي الدين الدهان :

حياك من تهوى باترجة ناعمة مقدودة غضه
جلدها من ذهب أصفر وجسمها الناعم من فضه

وقال الامير أبو فراس بن حمدان في الكباد :

أما ترى الكباد في حسنه اذا بدا في وسط بستانه
كعاشق أبصر محبوبه فاصفرّ من خيفة هجرانه

وقال ابن زيدون في الحماض :

يا حبذا حماضة تحدث للنفس الطرب
كأنها كافورة لها غشاء من ذهب

الليمون . قال صاحب الفلاحة ستة أنواع منها المركب وهو نوعان أحمر وأصفر ومنها التفاحي وهو نوعان والمخم

والحلسمى ، وغالب ما يستعمل الاصفر والتفاحي

وأخبرني بعض الغياطنة أن بمصر الايمون أربعة عشر نوعا ولم يعد منهم ولا واحداً

وقال ابن البيطار والايمون مركب من ثلاثة اجزاء مختلفه المنافع والقوى وهي القشر والحماض والبزر . في طعم قشره بعض مرورة وقبض خفي وله عطرية ظاهرة وفيه تسخين وتجفيف مزاجه حار في أول الدرجة الثانية يابس في آخرها

ومن لطائف النصير الحمامي قوله فيه :

أهدى الي الظبي ليمونة
لا زلت ذا شكر لاحسانه
صفرتها تحكى اصفراري به
وطعمها من طعم هجرانه

وله فيه :

ليموننا هذا الذي قد بدا يأخذ من اشراقه بالعيان
كأنه بيض دجاج وقد لطخه العابث بالزعفران

النارنج قال ابن الجوزى حماضه بارد يابس يقوى المعدة ويقطع البلغم ويسكن الصفراء الا انه يرخي الاعصاب دفع مضرته أكله بالسكر يشهى الطعام وحبه يحلل الرياح الباردة من الدماغ وهو ألطف من الاترج ومختاره ماقلت حموضته وقشره حار يابس وخاصية النارنج ان من ادمن شمه يأخذه الرعاف الى ان يموت والله سبحانه وتعالى أعلم وزهره يسمى بالقداح

ومن محاسن ابن قرناص قوله في نواره :

نديميَّ هبّا قد قضى النجم نحبه
وهبَّ نسيم ناعم يوقظ الفجرا
وقد أزهر النارنج أزرار فضة
تزر على الاشجار أوراقها الخضرا

ومن أغراض شهاب الدين محمد بن دمرداش قوله :

ان أينع النارنج حاكى لونه
في صبغه القانىّ خد حبيبى

واذا تبدّى مزهراً فكأنما
جمع الوصالَ عذارهُ ومشيبي

وقال مؤلفه البدرى :

نارنجة قد أشبهت حسناء في
عرس النسيم تميس مع نشر طوى
يا حسنها تجلى لنا في حلة
من سندس أزرارها من لؤلؤ

وقال أيضاً :

في الكيميا صحت لنا نارنجة من حطب
لجين زهرها يعُد سبائكاً من ذهب

ومن لطائف الارجانى قوله فيه :

ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كقامة اغيد
اذا ميلتها الريح كانت كأ كرة بدت ذهبا في صولجان زبرجد

ومن محاسن الصاحب ابن عباد :

بعثنا من النارنج ما طاب عرفه

ونمت على الاغصان منه نوافج
كرات من العقيان احكم خرطها
وايدي الندامى حولهن صوالج

ومن بدائع ابن وكيع قوله :

ألا اسقني الراح في جنة طرائف أثمارها تزهر
كان تمايل نارنجها مقابض كيمختها أخضر

ومن ألغاز ابن خلكان قوله فيه :

ما اسم اذا صحفته الفيته من بعد ذاك ولفظه تاريخ
في ضمنه نار اذا حققتها لاجمرها وار ولا منفوخ
حيران ان صحفته وعكسته لاالعذل يسمعه ولاالتوبيخ
ياريح بلغ من احب تحيتي ان الحبيب لما تقول مصيخ

ونقلت من خط بلدينا الشرف القواس الدمشقي :

نظرت الى نارنجة في يمينه
كجمرة نار وهي باردة اللمس
فقربها من خده فتالقت
فشبهتها المريخ في دارة الشمس

ومن بدائع ابن قرناص الحموي قوله :

نارنجة برزت في منظر عجب زبرجد ونضار صاغه المطر
كأن موسى كليم الله اقبسها نارا وجرّ عليها ذيله الخضر

ومن اغزال ابن دمرداش قوله :

تأمل ترى النارنج في الدوح باسما
نضيرا يروق العين من جلناره
وقد لاح تحت الغصن غضاً كأنه
خدود الذي أهواه تحت عذاره

ومن المعاني التي سبكها ظافر الحداد قوله :

تأمل فدتك النفس ياصاح منظراً
يسر به قلب اللبيب على الفكر
حيا وابل يجرى على شجر بدا
به ثمر النارنج كالاكر التبر
دموع حداها الشوق فانهملت على
خدود تراب تحت انقبة خضر

ونقل ابن خلكان في ترجمة السلامي انه كان شاعراً

مجيداً فرحل في صباه من مدينة السلام الى الموصل وبها جماعة من كبراء الشعراء كالسري والببغاء والخالديين فارادوا اختباره في النظم فقال أبو الفرج الببغاء أنا اكفيكم ذلك وصنع وليمة ودعاه الى عنده وقال له في غضون المحاضرة ماتقول في هذا النارنج الذي بمنزلنا فانشده ارتجالا وقال :

ونارنج تميل به غصون ومنها مايرى كالصولجان
اشبهه ثدايا ناهدات غلائلها صبغن بزعفران

فحرك كل منهم رأسه وقال هذا التشبيه هجس بفكري الآن . وانشد :

تطالعنا بين الغصون كأنها نهود عذارى في ملاحفها الصفر

السري :

اذا ماتبدى في الغصون حسبته نهود عذارى مسهن خلوق

ومن محاسن الشام (جبل قاسيون) فان الصالحية في سفحه وتحت ذراه . وهو جبل مبارك به آثار الانبياء والصحابة والاولياء وبه (الكهف) ويقال انه كهف اصحاب القصة وبه مغارة الدم يقال ان كل ليلة جمعة يرى بها قطرة

دم وبه محاريب الاربعين محل تعبدهم . وقال بعضهم :

تحن الى وادي دمشق جوانحي   وان كان مما قل فيه نصيبي
واني لاهوى قاسيون لانني   رأيت أسمه شبها لاسم حبيبي

وبه ينبت من عند الله تعالى من الازهار والاشجار مالا ينبت في غيره وسقيه بالامطار

فمن ازهاره القرنفل وهو شديد العطرية

والخزام وهو مشهور بالعطرية

والشيح . قال ابن الجوزى حار يابس في الثالثة أفضله ما كان الى البياض وهو بدمشق يخرج الدود . واذا احرق وسحق ووضع في زيت أو في دهن اللوز وطلى به من لم ينبت له لحية اسرع نباتها لانه يوسع مسامها بلطافته ويمنع من داء الثعلب . وعن عبد الله بن ابى جعفر القرشى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بخروا بيوتكم باللبان والشيح »

وبه السماق . قال ابن البيطار في الاولى يستعمل في الطعام وهو ثمر نبات يقال له اروس برسوديسقوذس (١)

(١) في مفردات ابن البيطار « رؤس برسوديسمقوس »

وهو بالعربية سماق الدباغين وانما سمي هكذا لان الدباغين يستعملونه في دباغة الجلود . وهي شجرة تنبت في الجبال والصخور طولها نحو من ذراعين وفيها ورق طويل لونه الى حمرة الدم وهو مشرف الاطراف على هيئة المنشار وله ثمر شبيه بالعناقيد كثيف وفي عظم الحبة الخضراء الى العرض

وقال جالينوس في الثامنة يقبض ويجفف وانفع ما فيها الثمرة وعصارتها

[ديسقوريدوس] ويعمل منه حقنة لقرحة الامعاء ويقطر في الاذن التي يسيل منها القيح واذا تضمد بالورق [مع الخل] والعسل اضمر الداحس ومنع الورم [الخبيث الذي يقال له غنغرانا]

[الرازي] وزعم قوم انه اذا شد في صوف مصبوغ بحمرة وشد على صاحب النزف من أى عضو كان قطع الدم

[ابن ماسويه] وينفع الاسهال المزمن الذي يكون من الصفراء واذا نقع في ماء ورد واكتحل به نفع من

ابتداء [الرمد] الحار مع مادة وقوّى الحدقة

[اسحق بن عمران] وان نقع في ماء نفع من السلاق والاحتراق وقطع الحكة العارضة للعين ، وان اخذه من به قيء دائم ودقه مع الكمون دقا جريشاً وشرب منهما بماء بارد قطع القيء عنه

وقال ابن الجوزي السماق بارد في الثانية يابس في الثالثة قابض مقو للمعدة يشدها ويجلو خشونة اللسان ويسكن العطش والغثيان الصفراوى واجوده الاحمر . انتهى

وبه الزعرور . قال صاحب كتاب الفلاحة هي شجرة تنبت بنفسها في الجبال والصحاري وتغرس في البساتين وفلاحتها كفلاحة الخوخ والمشمش واذا حولت ضعفت ومن اراد قوتها فليحمل اليها من التراب الذى كانت به ويطمره حواليها فانها تقوى واجوده الاحمر البستاني البالغ وهو بارد يابس ردىء للمعدة والكلى يولد بلغماً والجبلي يقمع الصفراء ويحبس السيلانات ويقوى المعدة ويقمع القيء الا انه يصدع

وقال صاحب المفردات هي شجرة مشوكة ولها ثمر صغار شبيه بالتفاح في شكله لذيذ في كل واحدة منها ثلاث حبات ولذلك سماه قوم طريفلن (١) وهو ذو الثلاث حبات وهو قابض واذا اكل كان جيداً للمعدة ممسكا للبطن مسكنا للصفراء والدم ولا يحبس البول ويشهي الاكل ويولد القولنج

وقال صاحب (اللقط) الزعرور الجبلي بارد يابس مطفيء للحرارة يقمع الصفراء والبستانى الاحمر بارد رطب مولد للبلغم ردىء للمعدة والله أعلم

وهذا الاحمر لاحاجة به لجناه وانما يرمي سياجا لشدة شوكه وكذا في السياج توت اسود لا يجنيه زراعه كورد السياج السالف لنا ذكره

ومن السياج شجرة يقال لها (الزيزفون) (٢) لها زهر

(١) كانت في الاصل (طريفان) وفي مفردات ابن البيطار (طريفلن) وفي اللغة الفرنسوية لفظ *Triphylle* بمعنى ثلاثي الورقات (٢) قال ابن البيطار هو اسم دمشقي للنوع الذى لا يثمر من شجر الغبيراء

اصفر برائحة عطرية وفيه تهييج للنساء اذا شممنه وهذه الاربعة الاشياء انما يزرعونها لشدة شوكها . انتهى

وفيه يقول ابن حني وأبدع :

كانما الزعرور لمـــا بدا

في حسن تقدير وأمر أنيق

جلاجل مخضوبة عندماً

أوخرزات خرطن من عقيق

يضوع من رياه لما هفا

به نسيم الريح مسك نشيق

ونقلت من خط الشهابي أحمد بن العطار الدنيسري :

باكر الدوحة واغنم واجتلي

غصن زعرور تسامى وافتخر

حقة من ذهب داخلهــا

قطنة فيها ثلاث من درر

وبه الخرنوب قال ابن الجوزى بارد يابس وقيل حار ،

جيده الحلو الطري ينفع القيام ما دام طرياً فاذا يبس عقل البطن والرطب ردىء للمعدة واليابس أبطأ انهضاما يدفع ضرره الفانيد ، والمضمضة بطبيخه جيدة لوجع الاسنان. انتهى والله أعلم

ومن محاسن الشام قرية (منين) . خضرة نضرة ، وهى شمالي جبل قاسيون ، وبها السيدان الجليلان (الشيخ جندل) و (الشيخ أبو الرجال) أعاد الله علينا من بركاتهما ويقال أن الشيخ جندل لا يقبل من ينام عنده ، فاذا نام الانسان حول الضريح يفتح عينه يجد نفسه ملقى خارج المزار وقد اشتهر ذلك عنه

والى منين ينسب الجوز المنيني لرقة قشره وبياض قلبه ، وهو صنوف : مغاربي ، وفرك ، ومنيني ، وجبلي ، وبستاني

قال جالينوس في السابعة : وهـذه الشجرة في ورقها وأطرافها شيء من القبض وهو في القشر الخارج اذا كان طرياً ابين . وكذلك الصبّاغون يستعملون هذا القشر ،

وأما قلبه الذي يؤ كل ففيه دهنية ، وبهذا السبب تسرع اليه الاستحالات

قال ابن الجوزي : الجوز حار رطب وقيل يابس عسر الانهضام ردىء للمعدة مضرته نتن الفم ويؤلم الحلق ويصدع ولا يصلح أ كل العتيق منه . ودفع مضرته بالخشخاش والمتولد عنه دم حار يصلح للامزاج اليابسة وللمشايخ اذا ا كل مع التين نفع من السموم لا سيما الجوز الاخضر

وقال ديسقوريدوس : الجوز عسر الانهضام مولد للمرة الصفراء حارّ لمن به سعال ، واذا ا كل على الريق هوّن القيء واذا احرق قشره وسحق مع شراب وزيت ولطخ به رءوس الصبيان حسن شعورهم وأنبت الشعر في داء الثعلب ، وداخله اذا احرق وخلط به شراب واحتملته المرأة منع الطمث

[اسحق بن سليمان] والجوزة الخضراء اذا اخذت عند ما تبقى قدر الحمصة ودقت وخلطت بالعسل وا كتحل

بها نفع من غشاوة البصر

[الشريف] واذا دق قشره الأخضر وألقى معه خبث الحديد مكسوراً وترك اسبوعا معه يحرك في كل يوم ثم خضب به بعد ذلك الشيب سوّده وكان منه صبغ عجيب واذا دلكت به القوابي والحزازات نفعها

[البصرى] والجوز المربّى جيد لبرد الكبد نشاف لرطوبة المعدة والله أعلم

وفيه لابى الفرج ابن هندو :

تأمل الجوز في اطباقه لترى رواق حسن عليه غير محطوط
كانه اكر من صندل خرطت فيها بدائع من نقش وتخطيط

وبها الثلج الذي يقيم من العام الى القابل . ويحمل ثلج السلطان الى القاهرة مدة العام وما يستعمل بدمشق الجميع منها يخزنونه في حواصل معدّة له

وقال ابن الجوزي الثلج بارد بالطبع يابس بالعرض وفيه خلط يولد سوداء في الكبد جيده ما كان من ماء عذب يجمد يجود الهضم لكنه يهيج السعال ويلين المفاصل

ويشنج ويضر العصب لانه يحقن البخارات الحارة فيها ويمنعها من التحلل ويضر المعدة خصوصاً التى يتولد فيها اخلاط باردة دفع مضرته شربه قليلا قليلا وهو صالح للامزجة الحارة وهو يطلق البطن أولا ثم يعقل واذا كانت المياه الثليجة والجليدة في آجام كانت رديئة ثقيلة وهي تولد البلغم في الشتاء والمرارة في الصيف وتورث شاربيها الطحلة وحشو الاحشاء وربما وقعوا في الاستسقاء وتضعف اكبادهم وتولد فيهم الجنون والبواسير ويعسر على نسائهم الحبل والولادة ويلدن اجنة متورمين . والثلج ردىء للمشايخ وماء الثلج يسكن وجع الاسنان الحار والله اعلم

ومن لطائف ابن عباد قوله :

اقبل الثلج فانبسط للسرور وبشرب الصغير بعد الكبير
فكأن السماء صاهرت الار ض وصار النثار من كافور

واخذه بلاقافية احمد بن علي العلوي فقال :

هواك من الدنيا نصيبي وانني
اليك لمشتاق كجفني الى الغمض

فزرني وبادر يوم ثلج كأنه
شمائم كافور نثرن على الارض

ومن محاسن قول أبي الفتح البستي :

قد نظمنا السرور في عقد انس وجعلنا الزمان للهو سلكا
وشربنا المدام في يوم ثلج عزل الفيء فيه رشداً ونسكا
فكأن السماء تنخل كافو راً علينا ونحن نفتق مسكا

اخذه ظافر الحداد فقال :

ويوم ضاحك يبكي ضعيف معا قد السلك
اذوب ببرده برداً كمبسم من حوى ملكي
كأن الريح تنثره على الارضين في وشك
تغربل من خلال الند كافورا على مسك

وينبت في الثلج الريباس قال ابن الجوزى بارد يابس مسكن للحرارة وقامع للصفراء نافع للاسهال يقوى المعدة والكبد الحرانين وهو شبيه باضلاع السلق وفيه خشونة وطعمه حلو يعطي حموضة بعفوصة ولا يطلع الا في الثلج والله اعلم

وفيه يقول أبو علي العثمانى النيسابورى :

انظر الى الريباس تنظر منه أعجب منظر
كسواعد بيض بدت من كم شعر أحمر

وينبت في جبال الثلج ايضا امير باريس . قال ابن البيطار هو البرباريس وبالفارسية الزرشك . ومنه اندلسي ورومي وشامى ، وأحسنه الشامي [يجلب من جبل بيروت وجبل بعلبك وهو اجود من الرومى عند باعة العطر بمصر والشام]

[الفلاحة] وهوشجرة خشنة النبات خضراء تضرب الى السواد تحمل حباً صغاراً بنفسجية

قال ابن ماسة بارد يابس فى الثانية يقوّى الكبد والامعاء وفيه قوة قابضة مانعة

[ماسرجويه] يمنع من الاورام الحارة اذا وضع عليها

[الرازى] هو قاطع للعطش جيد المعدة والكبد الملتهبين ويقمع الصفراء جداً

قال الرازي[1] حبه يجفف قروح الامعاء ويقطع نزف الدم الاسفل ، ولاسيما الذي يجاب من جبلي بيروت وبعلبك . انتهى

وينبت بهذا الجبل الصنوبر : قال ابن الجوزي حار في الثانية يابس في الثالثة حبه ينفع من الصداع البلغمي ، افراط استعماله مصدع دفع مضرته بالشاه صيني أو الصندل ، والغرغرة بطبيخ قشره يجلب بلغماً كثيراً . انتهى

وفيه يقول الشريف الرضي :

حب الصنوبر اذ أتا ك غنيت من كل البشر
نقل لعمري مشتهى ما ان يدوم له خبر
يحكي لنا صدفاً أتت في باطن منها الدرر

ومن اغراض ابن المعتز قوله :

صنوبر ظلتُ به مولعاً لانه أطيب موجود
كانه الكافور في لونه يحويه اذ لاح من العود

(١) نقله ابن البيطار عن كتاب (التجربتين) ولم يذكر جملة « ولا سيما . . . الخ »

وثَمَّ أشياء لا تنبت الا في الاراضي الحارة كالقلقاس فانه يطلع بارض قرية الغور من اعمال دمشق ولا ينبت في غيرها من أرض الشام

قال ابن البيطار ينبت على المياه في الاراضي الحارة وله ورق كبير أملس يشبه ورق الموز الا أنه ليس بطوله وهو مجفف يشبه ورق القرع ولكل ورقة من ورقه قضيب منفرد غليظ الاصبع ونبات القضيب من الاصل الذي من الارض وليس لهذا النبات ساق ولا ثمر واصله شبيه بالاترج إلا أن ظاهره مائل الى الحمرة وداخله أبيض كثيف مكتنز مشاكل للموز وطعمه فيه قبض مع حرافة قوية تدل على حرارته ويبسه وهو يابس في الاولى اذا سلق بالماء زالت حرافته جملة واكتسب مع مافيه من القبض اليسير لزوجة مغرية كانت بالقوة الا ان حرافته كانت تخفيها وتسترها ولذلك صار غذاؤه غليظا بطيء الانهضام ثقيلا في المعدة لكثافة جسمه ولزوجته الا انه لما فيه من القبض والعفوصة صارت فيه قوة مقوية للمعدة معينة على

حبس البطن اذا أخذ مقدار منه لايثقل على المعدة فيحيله ضرورة لثقله وبعد انهضامه ولما فيه من اللزوجة والتغرية صار نافعا [من سحوج الامعاء] ويزيد في الباه ويسمن وادمانه يولد السوداء والله أعلم

ومنها الموز . قال ابن الاثير في عجائبه الموز يسمى قاتل ابيه لان شجرته لاتثمر الا مرة في السنة ثم تموت ولا يحمل الأصل الواحد الا قنواً واحد ثم يموت ، وتخلفها اخرى من اصلها ويكون في القنو من خمسين موزة الى خمسمائة ومن حين نشوئها الى حين إثمارها شهران . ويقال ان فيه بريا وبستانيا والبري يسمى الطلح ، واكثر مايوجد في الجزائر . وورقها طوله ثلاث أذرع وعرضه ذراعان . وأجود الموز الكبار البالغ وثمرته حارة رطبة تنفع حرقة الصدر والحلق وتنفع المثانة وتدر البول وتلين الطبع لكنه ثقيل على المعدة والاكثار منه يولد السدد ويزيد في الصفراء والبلغم وأكله بعد الطعام يمنع بخار المعدة الى ان يرتقي الى الرأس

وقال ابن الجوزي جيده الكبار الحلو ينفع من خشونة الصدروالرئة وقروح الكليتين ويضر المعدة . دفع مضرته بالسكر ويتولد عنه دم بلغمي والله أعلم

وفيه يقول الخوارزمي :

يامن اتى البستان يقصد نزهة انظر لصنع الله فيما يخلق
الموز شبه عساكر مصفوفة من فوقها رايات خضر تخفق

وفيه يقول مؤلفه البدري :

انظر الى الموز الذي حلا وصفا اذ مر بي
سبائكا من فضة قد موهت بالذهب

ومنها القصب . قال ابو حنيفة : القصب أنواع فمنه أبيض وأصفر وأسود والاسود لا يعصر وهو يغلظ حتى لايحيط به الكفان وانما يعتصر الابيض والاصفر ويقال لعصارته عسل القصب واجوده مايجاء به من أرض الزنج فهو أصفر مثل الاترج . والقند ما يجمد من عصير قصب السكر ثم يتخذ منه السكر ويقال لما جعل فيه القند من السويق وغيره مقنود ومقند كما يقال معسول ومعسل

وقال أبو العبر[١] قصب السكر لطيف ملائم للبدن نافع من الخشونة التي تعرض في الصدر والرئة والحلق ويجلو الرطوبة اللطيفة المتولدة فيها ويدر البول ويولد نفخاً ولا سيما اذا أخذ بعد الطعام

وقصب السكر ماين للطبيعة واستعماله لتهييج القيء صالح اذا شرب على أثره ماء فاتر وتهوع بريشة طويلة قد غمست في السيرج

وقال المنصوري حار باعتدال يدر البول ويذهب بالحرقة الكائنة عند خروجه وينفع من السعال

[اسحق بن عمران] يقطع الالتهاب العارض في المعدة برطوبته ولطافته وينقي المثانة

وقال ابن الجوزي : القصب أشد تليينا من السكر لكنه يولد رياحا دفعها ان يقشر ويغسل بماء حار

وقال عفان بن مسلم المحدث : من مص القصب السكر بعد طعامه لم يزل يومه اجمع في سرور والله تعالى

(١) في مفردات ابن البيطار : (الدمشقى)

أعلم . انتهى

وفيه يقول خليل [١] بن الفرس رحمه الله :

سبحان من أنبت في ارضه ما بين شوك وجلا فيها
انبوبة مملوءة سكراً قد كان ماء وحلا فيها

وكتب مؤلفه البدري يستدعي بعض الاخوان في شهر رمضان الى غيط قصب :

في قصب السكر لي ذوق سريع ما اقتضب
شبهته بأهيف قد رقّ عشقا وانتصب
واصفرّ جسمه لذا أرخى له خضر العذب
فقم لوصل قطعه واسع له اخا الأرب
في الصوم قبل العصران ذا لأعجب العجب

قلت : واما محاسن الشام فانها لا تحصى ، وغوطتها الجامعة للمحاسن لا تستقصى . وقد جاء في الاخبار عن كعب الاحبار رضي الله عنه « غوطة دمشق بستان الله في أرضه »

(١) في نسخة دار الكتب المصرية (احمد)

وعن ابى امامة رضي الله عنه ان النبي ﷺ تلا هذه الآية « وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومَعين » قال « هل تدرون اين هي » قالوا « الله ورسوله أعلم » قال « هي في الشام بارض يقال لها الغوطة مدينه يقال لها دمشق هي خير مدائن الشام »

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ « قال هي دمشق »

قال الذهبي : وأجمع سواح الارض والاقطار على ان متنزهات الدنيا أربعة وهي (صغد سمرقند) و (شعب بَوّان) و (نهر الأبلة) و (غوطة دمشق)

قال أبو بكر الخوارزمي في رحلته : رأيتها كلها فكان فضل غوطة دمشق على الثلاث كفضل الاربعة على غيرهن ، كأنها الجنة وقد زخرفت وصورت على وجه الارض

وما أحسن قول الشيخ علاء الدين علي بن المشرف الماردني وقد أنشدنيه شقيقه ركن الدين محمد عند قدوم

اخيه الى دمشق المحروسة في سنة احدى وعشرين وثمانمائة :

ليس في الحسن للشآم نظير لا يغرنّك بالبلاد الغرورُ
كل ما تشتهيه نفسك فيها وبها البِشر والهنا والسرور
قلت للركب مذ أنخنا عليها وتراءت ولدانها والحور
هذه الجنة ادخلوا بسلام بلد طيب ورب غفـور

وقال الشيخ عبد الله الارموى رحمه الله « دمشق من أي جهة أقبلت عليها تجدها حلة بيضاء طرازها أخضر »

وقال الشهاب محمود من رسالة « وأما دمشق فكأنها وجه الحبيب ، وقد دار به العذار الاخضر الرطيب »

وقال الشيخ (عبد الولي الحضرمى) رحمه الله : « سحت البلاد ورأيت مابها من الاعاجيب ، فلم انظر كصغد سمرقند ، وهو نهر تحف به قصور وبساتين وقرى مشتبكة العمائر مقدار اثنى عشر فرسخا في مثلها ، وهى في وسط مملكة ما وراء النهر . ورايت شعب بوان وهى بقعة مذكورة بنيسابور [1] طولها فرسخان وقد التحفتها

(١) كذا

الاشجار، وجاست خلالها الأنهار . وهذا الشعب لبوان بن ايوح ابن افريدون ، وفيه يقول أبو الطيب المتنبي من قصيدة تشتمل على وصفه :

يقول بشعب بوان حصاني　　أعن هذا يُسار الى الطعان
أبوكم آدم سنَّ المعاصي　　وعلمكم مفارقة الجنان

ومررت بنهر الأبلة وهي من أعمال البصرة طوله أربعة فراسخ وعلى جانبيه بساتين كأنها بستان واحد قد مد على خط الاستواء نخله كأنه غرس في يوم واحد . ودخلت الى دمشق وتنزهت في غوطتها أجدها أحسن من الثلاث واكثرها خيراً طولها ثلاثون ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا مشتبكة القرى والضياع لا تكاد الشمس تقع على أرضها لغزارة أشجارها واكتناف أغصانها »

وقال الميدومي فى كتابه (لطايف الاعاجيب) كان بغوطة دمشق اشجار تحمل الواحدة منها أربع فواكه كالمشمش ، والخوخ ، والتفاح ، والكمثرى . وبها مايحمل الثلاث واقلهن اللونان من الفاكهة . قلت وهذا موجود

الى يومنا هذا فانى رأيت بها الكرمة الواحدة تطرح العنب الابيض والاسود والاحمر ورأيت بوادى النير بين شجرة توت تطرح التوت الابيض والاسود

وهذا من صنعة الفلاحة يسمى التطعيم وهو ان يأخذ قطعة خشب من التفاح ويشق ساق شجرة كمثرى تكون بساقين وتوضع تلك القطعة في احدى الساقين المشقوقة وتشدها بخرقة وتسقيها وتعاهدها الى أن تلحم بها ويخرج الورق الجديد ثم تثمر

رجعٌ الى بقية كلام الميدومي . قال : وكان غرس الاشجار في بعض البساتين كالسطور التي تقرأ . انتهى والله اعلم

ونقلت من شرح الشريشي مانقله عن شيخه ابن جبير قال : دمشق هي خير المشرق ، ومطلع حسنه المؤنق وعروس المدن قد تحلت بازاهير الرياحين ، وتجلت في حلل سندسية من البساتين . وحلت من موضع الحسن بمكان مكين ، وتجملت في منصتها بأجمل تزيين . وتشرفت

بان ادنى الله المسيح وامه الى ربوة ذات قرار ومعين . ظل ظليل ، وماء سلسبيل ، ورياض تحي النفوس بنسيمها العليل ، وتتبرج لناظرها بمجتلى صقيل ، وتناديهم هلموا الى مغرس للحسن ومقيل . قد سئمت ارضها من كثرة الماء ، حتى اشتاقت الى الظماء . فتكاد تناديك بها الصم الصلاب : اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . قد أحدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر ، وا كتنفتها ا كتناف الكمامة للزهر . وامتدت بشرقها غوطتها الخضراء امتداد البصر . ولقد صدق القائلون « ان كانت الجنة في الارض فدمشق لاشك فيها ، وان كانت في [السماء] فهي بحيث تسامتها وتساميها »

وقال البحتريّ فيها :

اذا أردت ملأت الطرف من بلد
مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشي السحاب على أجبالها فرقا
ويصبح النبت في صحرائها بددا

فلست تبصر الا واكفا خضلا
ويانعاً خضراً أو طائرا غردا
كأنما القيظ ولّى بعد جيئته
أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وقال ابن سعيد الموصلي :

سقى دمشق واياماً مضت فيها
مواطر السحب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه
حوامل المزن في احشا اراضيها

ومن محاسن الشام ما يصنع فيها من القماش والنسيج على تعداد نقوشه وضروبه ورسومه . ومنها عمل القماش الاطلس بكل اجناسه وانواعه . ومنها عمل القماش الهرمزي على اختلاف اشكاله وتباين اوصاله . ومنها عمل القماش الابيض القطني المصور لاحياء القصور ، واموات القبور . وبها أيضاً عمل القماش السابوري بجميع الوانه وحسن لمعانه

وفيها تعمل صناعة الذهب المسبوك والمضروب والمجرور والمرفوع ، والممدود والمرصوع . وفيها تعمل صناعة القرطاس بحسن صقاله ونقيّ اوصاله . وفيها تعمل صناعة القرضية ودباغاتها المرضية. وفيها تعمل صناعة الزموط والأقباع وتحمل لسائر البلاد والضياع . وفيها صناعة الحرير بالفتل والدواليب والسرير . وفيها تعمل صناعة السلاح ، بما فيها من الاعاجيب والاقتراح. وفيها تعمل صناعة الموشى والمدهون بما تحتار فيه النواظر والعيون . وفيها تعمل صناعة النحاس من الضرب والتفصيل والنقوش التى تشرح صدر الناس . وفيها صناعة الواح الصقال ودهن الواح صغار الكتاب ، وجفان القصع وتفصيل القبقاب

واذكرني هنا قول ابن هاني الاندلسي على لسان القبقاب واجاد ثم أفاد :

كنت غصنا بين الانام رطيبا

مائس العطف من غناء الحمام

صرت أحكى رءوس اعداك في الذلّ

برغم اداس بالاقدام

رجع . وغالب ما ذكرناه من هذه الصنائع تتبدل عليه أيادى الصناع من الواحد بعد الواحد الى أن ينيف على عشرة صناع حتى تتم

واعلم ان هذه الصنائع استخرجتها الحكماء بحكمتها ثم تعلمها الناس منهم وبعضهم من بعض وصارت وراثة من الحكماء والعلماء ومن العلماء للمتعلمين ومن الاستاذين للتلامذة للصناع هكذا نقله ابن جماعة في شرحه على نقول العيد ، انتهى

ومن محاسن الشام ما يحمل منها الى الديار المصرية عشرة قافات انفردت بها وهذه مسمياتها : قصب ذهب ، قبع ، قرضية ، قرطاس ، قوس ، قبقاب ، قراصيا ، قمر الدين من المشمش ، قريشة ، قنب

وكنت في هذا المحل اكتب واذا بشخص خليع يغلب عليه الخبال والدخل يتردد اليّ من أهل مصر

العتيقه يقال له تعاتير جاء الي" وقال عبر لي هذا المنام رأيت الليلة في النوم رجلا جليلاً من أهل الشام أعطاني قصعة بها آثار قطن فيه بعض قضامة مربوطة بخيط قنب . فأردت ان ادخل عليه سروراً قلت له : يا تعاتير من مناسبة الحبال القضامة وهي ذهب وفضة في وعاء مشدود معقود تناله من بعض رؤساء الشاميين . فسر بذلك وفارقني فأخذت أتعجب من الاتفاق وذكر هذه الاربعة قاقات المجلوبة من الشام الى القاهرة وفيما انا في مثل هذا السياق اذا أنا به في اليوم الثاني جاءني وهو يضحك فقلت ما بالك وما خبرك . قال : فارقتك فاخذت لي قطعة جبن ورطب وجلست آكلهم برغيف في عقبة قدام المقياس واذا برئيس شامي في خدمته عبيد وغلمان نزل الى تلك العقبة وقال للنوتي اطلع بنا المقياس لنزوره وزورنا الآثار وقال لغلمانه لاقونا بالخيل الى الآثار فنهرني بعض العبيد وقال ما تخرج . فقال له سيده دعه يؤانسنا . وسألني عن اسمي فقلت له الناس يسموني تعاتير وانما اسمي ابو الخير . فتهلل وجهه وقال :

هذا المكان ما اسمه فاقول له كيت وكيت وهذا يعرف بكذا الى ان توجهنا الى درج الآثار وأراد الطلوع واذا بمنديل سقط منه في المركب فبادرت لمناولته اياه فقال لي اعط منه للنوتى ديناراً وخذه لك بما فيه فقبلت يده وقال لى ما تروح معنا قلت له مرسومك هذا النوتى ابن حارتى وارجع معه فقال ادع لنا. وتركته وأنا لا اصدق من الفرح فقلت لبعض غلمانه ايش يقال لهذا الرئيس بين الشاميين قال هذا القاضي بدر الدين بن المزلق فدعوت له وانصرفت أجد بالمنديل خمسة دنانير ذهبا وسبعين نصفا فدفعت للنوتى دينارا وجئت لاتشكر منك على تعبير المنام واخبرك بتفسيره فقلت له هذا أعجب من الاول. انتهى

وغالب ما عددناه واوردناه من محاسن الشام انفردت به دون غيرها ويحمل منها لغالب البلاد لكثرة خيرها ومن اعاجيبها ان خيرها في الغالب لغير بنيها حتى انه ينسى الاهل والاوطان ولو فارقها لعاد اليها على طول الزمان

وقال القاضي الفاضل :

يقولون لي ماذا رأيت بشامهم
فقلت لهم كل المكارم والفضل
فبلدتهم خير البلاد واهلها
باحسانهم تغني الغريب عن الاهل

وقال ابن سعيد :

في جلق نزلوا حيث النعيم غدا
مطولا وهو في الآفاق مختصر
فالقضب راقصة والطير صادحة
والنسر مرتفع والماء منحدر
لكل واد به موسى يفجره
وكل روض على حافاته الخضر

وقال ابراهيم بن عبد الله الانصاري متشوقاً اليها :

رعى الله اياما تمضت بجلق
لقلبي عليها أنة وتوجع
رحلت وابراد الشباب قشيبة
وعدت واسمال المشيب ترقع

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي يتشوق اليها :

ادمشق لا بعدت ديارك عن فتىً
ابدا اليك بكله يتشوق
اشتاق منك منازلا لم انسها
انَّى وقلبي في ربوعك موثق
انّى اتجهتُ رأيت دوحا ماؤه
متسلسل يعلو عليه جوسق
والريح تكتب والجداول اسطر
خطٌّ له نسخُ الغمام محقق
ومعاطف الاغصان هزّتها الربا
طربا فذاك نما وهذا مونق
تتلو على الاغصان أخبار الهوى
فيكاد ساكت كل شيء ينطق

ومن محاسن الشام ان كل نزهة ذكرناها لها أوانٌ يتفرج أهل البلد فيه وزمان يتعاهدونها به ويرجعون اليه

ويعجبني قول ابن فائد البحراني :

برزت دمشق لزائري أوطانها
من كل ناحية بوجه ازهر
لو أن انسانا تعمد أن يرى
مغنى خلا من نزهة لم يقدر

ومن لطائفه قوله في الذهبيات وقد عاد اليها في الخريف :

صبغت بلون ثمارها أوراقها
فتكاد تحسب انهن ثمار
لو كان مكتوبا عليها يوسف
شهد الصيارف أنها دينار

ومن محاسن ابن ديار قوله في الذهبيات :

انظر الى ذهبيات الغصون وقم
الى المدام وواصلها الى العنق
أما ترى النهر بالتصفيق أطربها
فنقطته دنانيراً من الورق

ونقلت من خط الزيني ابن الخراط قوله :

اتانا الخريف نديمي فقم نجدد بالراح عيشاً ذهب
اذا ما جلونا عروس الطلا على الغصن نقطها بالذهب

ومن المعاني التي افتضها الرغادى :

يا ورقاً بالخريف يحكي على النحور المسلسلات
شبه الدنانير صففوها على سيوف مسلسلات

ونقلت من خط بلدينا العلاء بن ايبك الدمشقي :

لاتخش يا محبوبُ من فاقتي
فعن قريب ذهبي يأتي
فاذهب لفضيات ذا بالطلا
واستجلها في الذهبيات

ونقلت من خط المرحوم شيخ الاسلام شهاب الدين ابن حجر :

قد قال زهر الروض من ذا الذي
فضل فضل الذهبيات.

ما ذهبي يذهب من حجلة
مودعا بل ذهبي يأتي

ويعجبني قول المعوج الشامي وتلطف بقوله :

تأمل ترَ أرض الخريف عليلة
من البرد حتى عادها وابل القطر
وعالجها فصل الربيع فعوفيت
فنقطها الازهار بالبيض والصفر

ومن محاسن الشام صيفيتها وانها معلنة بحياة الازهار ونمو الاثمار . ولهذا قال الحافظ اليغموري :

واستنشقوا لهو الربيع فانه
نعم الصديق وعنده الطاف
يغذى الجسوم نسيمه فكانه
روح حواها جوهر شفاف

ويعجبنى قول ابن قرناص فيه :

بعث الربيع رسالة بقدومه
للروض فهو بقربه فرحان

ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه
مضمونها مالت به الاغصان

وشتويتها مؤذنة بموت الاشجار بالاصفرار ، وتغسيلها بعد التجريد بالامطار . ولهذا قال الحافظ اليغموري :

خذ في التدفي بالخريف فانه
مستوبل ونسيمه خطاف
يجري مع الاجساد جري حياتها
كصديقها ومن الصديق يخاف

ومن الدر النظيم قول ابن تميم :

ياشهر كانون من حب الغصون امتّ
الارض وجداً وأبكيت السما حزَنا
والمزن غسلها من فيض أدمعه
والثلج حاك لها من نسجه كفنا

لكن يعتدّون للشتاء بالاسمان والادهان ويمونون البيوت بالحبوبات ، ولحم القديد والمعسولات . والفاكهة المعلقة ، والحلاوات المؤنقة . ويكنون في الاماكن المبخرات

ولا يخرجون منها . فانها بلدة كثيرة المحاسن ، وماؤها غير آسن . وهي مباركة وفيها البركة وعيشها رغد في السكون والحركة . ولكن استقرى من كان مولده فيها لم يزل في قبض ، ما دام بها الا أن ينزل الى تحت الارض . ويقال أنه لا يوجد بها اثنان من أهلها على قلب واحد متصافيان

ويقال ان من قصدها بسوء ونواه اكبه الله تعالى فيه وأعثره . ولما قدم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم دمشق وحاصر أهلها فلما دخلها وهدم سورها وقع منه حجر كان عليه مكتوب باليونانية فارسل خاف بعض الرهبان فطبعه وقرأه فاذا عليه مكتوب : ويلك ام الجبابرة من رماك بسوء قصمه الله . ويلك من الخمس الاعين ، نقضُ سورك على يديه بعد الف سنة . فوجدوا الخمس الاعين عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب

فهي بلدة كثيرة البركات غزيرة الخيرات ، نعم بلدة الانبياء ، وموطن الاصفياء والاولياء . وبها صحابة من

الاجلاء ومقابرها حوت اماثل الفضلاء

ومنها جبانة باب الصغير بها بلال الحبشي رضي الله عنه وبها السيدة سكينة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وبها السيدة زينب بنت الامام على رضي الله عنهما وبها معاوية رضي الله عنه ، وبها اويس القرني رضي الله عنه ، وبها أبو عبيدة بن الجراح على ما قيل خارج الجامع المعروف به(١)

(١) زاد ابن الحوراني في كتابه (الاشارات الى أماكن الزيارات) أن من الصحابة المدفونين في (الباب الصغير) : اوس ابن أوس الثقفي الصحابي من أهل الصفة ، ذكره النووى في (تهذيب الاسماء)

وأبا الدرداء عويمر الخزرجي الصحابي ، ولي قضاء دمشق لعمر . وزوجته أم الدرداء الصغرى مدفونة بقربه

وواثلة بن الاسقع من أهل الصفة ، خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين

وفضالة بن عبيد ، ولي قضاء دمشق لمعاوية ودفن عند ابي الدرداء . وحمل معاوية نعشه وقال لابنه « اعني فاني لا أحمل بعده مثله »

ويليها مقبرة محلة القروانة وبها جماعة من الاجلاء والفضلاء.

وسهل بن الربيع الاوسي الصحابي

ويسرة بن فاتك الاسدي أخا خزيم بن فاتك ، وهو الذي قسم دمشق بين المسلمين بعد فتحها

وشمعون بن ختانة ابا ريحان الاسدي الانصاري

ومكحولاً مولى سعيد بن العاص ، سمع من انس وواثلة

ونقل ابن الحوراني عن الهروي في (الزيارات) أن في (مسجد النارنج) بباب الصغير ثلاثا من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وفضة جارية فاطمة ؛ وقبر سهل بن الحنظلية ، وقبر ام الحسن بنت حمزة بن جعفر الصادق ، وقبر علي بن عبد الله ابن العباس ، وقبر ابنه سليمان ، وقبر زوجته ام الحسن بنت جعفر ابن الحسن بن الحسين . وبمقبرة باب الصغير أيضاً قبر خديجة بنت زين العابدين ، هؤلاء في تربة واحدة . وقبر سكينة بنت الحسين . وقبر محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهم

وبها قبور كثير من الاولياء والصالحين لم يعلموا ، لما قيل من أن مقبرة باب الصغير حرثت وزرعت بعد مائة سنة ، فلذلك لا تعرف القبور

ومنها جبانة باب شرقي بها ابيّ بن كعب رضي الله عنه ، وبها جبل بن معاذ رضي الله عنه ، وبها ضرار بن الازور رضي الله عنه فى حارة السادة القدماء عفا الله تعالى عنهم

ونَقل عن الحافظ ابن طولون في (بهجة الانام) أن قبر معاوية الكبير في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الامارة (الخضراء) ، وهو الذي تسميه العامة (قبر هود) . أما الذي في الباب الصغير فهو قبر أبى ليلى معاوية الثاني ابن يزيد

وذكر صاحب (مثير الغرام) أن (الوليد بن عبد الملك) ـ الذي بنى مسجد دمشق ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقبة الصخرة المقدسة في بيت المقدس ـ دفن سنة ٩٦ بمقبرة باب الصغير شمالي قبر معاوية بنحو عشرين ذراعا وقبره ظاهر معروف يزار

وفي الباب الصغير من العلماء الشيخ حماد وهو من القدماء . ومنصور بن عماد بن كثير السلمي . وعمر بن الحسن الخرَقي من تابعي أصحاب أحمد بن حنبل وهو مؤلف « المقنع ». وأبو الفتح نصر بن ابراهيم بن نصر المقدسى النابلسي شيخ الشافعية بالشام وقد

وتليها مقبرة الشيخ رسلان أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وعنده جماعة من الاماثل والاجلاء الافاضل (١)

اجتمع به الغزالي واستفاد منه . وأبو البيان محمد بن محفوظ القرشي شيخ الطائفة البيانية ويعرف بابن الحوراني . قال ابن كثير له تآليف كثيرة وكان هو والشيخ رسلان أولاً مجاورين في المسجد الذي في رأس درب الحجر في اواخر السوق الكبير قريبا من الباب الشرقي . والحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر صاحب (تاريخ دمشق) دفن شرقي مدفن معاوية . وتاج الدين عبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري المعروف بابن الفركاح تلميذ ابن الصلاح والسخاوي وابن عبد السلام . وبدر الدين ابن مالك . وأبو الربيع سليمان ابن بلال الجعفري الهاشمي تلميذ الفزاري والنووي . وابن هشام وابن رجب . وابن قيم الجوزية . وابراهيم الناجي . وأبو العباس أحمد الميلى

(١) قال (ابن الحوراني) الشيخ ارسلان الدمشقي ابن يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله الجعبري . مدفون مع شيخه ابى عامر المؤدب ، توفى بعد الاربعين والخمسمائة

وخارج باب توما شرحبيل كاتب وحي رسول الله ﷺ والسيدة خولة [بنت الازور] رضى الله عنهما

وجبانة بيت لهيا بها سادة وأعيان وصالحون لهم قدر وشان.

ويليها مقابر باب الفراديس بها أبو الدحدح [الصحابي] رضي الله عنه ، وبها عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما (١).

ومقبرة سويقة صاروجا بها صالحون من أجلّ المسلمين

ومقابر الصوفية بها جماعة من العلماء ائمة الدين

(١) قال (ابن الحوراني) : وفي مقبرة باب الفراديس مشهد الخضر ، وعنده قبر محمد بن عبد الله بن الحسن المقدسي ثم الدمشقي المعروف بأبي شامة وكان له شامة كبيرة فوق حاجبه الايسر تو في سنة ٦٦٥

وفي مسجد الاقصاب سوق حجر بن عدي الصحابي وأصحابه.

وصالحي المسلمين كابن الصلاح وابن تيمية وابن المبارك وغيرهم (١)

ويليها مقبرة القنوات وباب السريجة وبها علماء الامة

(١) مقابر الصوفية هي الواقعة الآن في حديقة مستشفى دمشق على نهر بانياس عند محطة البرامكة غربي دمشق . قال ابن الحوراني : وممن دفن فيها (قطب الدين أبو المعالى مسعود ابن محمد بن مسعود) انفرد في دمشق برئاسة الشافعية توفي في رمضان سنة ٥٧٨

ومنهم (الفخر ابن عساكر) توفي سنة ٦٢٠ ودفن مقابل قبر (ابن الصلاح) المتوفى سنة ٦٤٣

ومنهم (عبد الرحمن بن نوح) من أشياخ النووي وكان مفتي دمشق في وقته توفى سنة ٦٥٤

ومنهم (عماد الدين بن كثير البصري القرشى) توفي سنة ٧٧٤ ودفن عند شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨

ومنهم (ابراهيم بن سليمان الحموي) له شرح الجامع الكبير في ست مجلدات وشرح المنظومة فى مجلدين

ومنهم (ابراهيم بن عبد الرزاق الحنفي) شارح القدوري توفي سنة ٨٠٧

واهل الرحمة . آخر من دفن بها شيخنا المرحوم العلامة محب الدين البصروى الشافعي رحمه الله

ومنها جبانه الحمرية (١) وبها المرحومون من الاولياء والصالحين

ومنها مقابر محلة السيدة عاتكة رضي الله عنها ويقال ان في ظاهرها ضريح المسالك لركاب النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه

ومنها جبانة محلة القبيبات وبها العلماء العاملون والمجاذيب والصالحون كالسيد الشريف الشيخ الزاهد العالم تقى الدين أبي بكر الحصني الشافعي امدنا الله بمدده . وهذه جملة المقابر التى في المدينة الخارجة عن مقابر الصالحية والقابونين وغير ذلك

وثَم صحابة في قرى الضواحي رضى الله عنهم كسعد

(١) قال ابن الحوراني هي بمحلة الشويكة وممن دفن فيها أحمد بن بدر الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٣٤ ، ومحمد بن الحر الحنفي توفي ٧٨٩

ابن عبادة رضى الله عنه بارض المنيحة(١) وتميم الداري رضى الله عنه بقرية تميم التي سميت به وابو الدرداء رضي الله عنه فانه داخل قلعة دمشق والسيدة زينب الكبرى بنت الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وهي اخت أم كلثوم الكبرى التي تزوجها عمر رضي الله عنه وكانتا مع اخيهما الحسين لما قتل وقدمتا الشام وهاتان والحسن والحسين ومحسن الذي مات صغيراً أولاد الامام علي من فاطمة رضي الله عنهما ثم تزوج بعد موت فاطمة وتسرى فجاءه بنون وبنات ومن جملة البنات زينب الصغرى وأم

(١) نقل ابن الحوراني عن النووي في (تهذيب الاسماء) قال : سعد بن عبادة الصاحبي الانصاري الخزرجي الساعدي كان نقيب بني ساعدة وصاحب الانصار في المشاهد كلها، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه من بيت جود » شهد العقبة وبدراً والمشاهد، توفي سنة ١٦ واتفقوا على أنه كان بحوران ومات بها، قال الحافظ ابن عساكر وغيره : هذا القبر المشهور في المنيحة يقال انه قبر سعد بن عبادة فيحتمل أنه نقل من حوران اليها

كلثوم الصغرى ، هكذا ذكره شيخنا الحافظ برهان الدين الناجي رحمه الله تعالى ورضي عنه . وقال الشيخ العارف أبو بكر الموصلي رحمه الله تعالى في كتابه (فتوح الرحمن) توفيت السيدة زينب الكبرى بنت عليّ رضي الله عنهما بغوطة دمشق عقيب محنة أخيها ودفنت في قرية من ضواحي دمشق اسمها راوية ثم سميت البلدة بها فالآن يقال للبلدة الست ولا تعرف الا بقبر الست رضي الله عنها قال : وكنت ازورها في أول أحد من العام ، ومعي جماعة من أصحابي الفقراء ، ولا ندخل الى قبرها بل نستقبله ونغض ابصارنا ، لما قرره علماؤنا في أن الزائر للميت يعامله بما لو كان حيا من الاحترام ، فبينما أنا في البكاء والخشوع والحضور وكأني بها وقد تراءت لي في صورة امرأة كبيرة محترمة موقرة لايقدر الانسان ان يملأ نظره منها احتراما فاطرقت فقالت : يابني زادك الله ادبا الم تعلم ان جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يزورون أم أيمن (١) لكونها

(١) قال الزبيدي في التاج : ام أيمن امرأة أعتقها صلى الله

امرأة محترمة وبشر الامة أن جدي محمداً صلى الله عليه وسلم وجميع اصحابه وذريته يحبون هذه الامة ، الا من خرج عن الطريق فانهم يبغضونه . فلحقني ازعاج من كلامها غيبني فلما عدت الى الحسّ لم أجدها فواظبت على زيارتها الى يومنا هذا انتهى

وبالقرية المذكورة ضريح السيد الجليل مدرك [الفزاري الصحابي] اعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته

وهذا الذي وصل الينا من معرفة من بدمشق من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين . وثَم فيها من الانبياء والصحابة والاولياء والصالحين غير ماذكرناه لكن لتوالى المحن واندراس العلم والمعاهد والدمن وبانقراض المخبر انقطع الخبر فلا عين ولا اثر

فان الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى قال في شرح [سنن] أبي داود الشام من العريش الى بالس وقيل الى الفرات وقال ابن السمعاني هي بلاد بين الجزيرة والغور الى الساحل ويجوز فيها التذكير والتأنيث والهمز وتركه وأما عليه وسلم وهى حاضنة أولاده فزوجها من زيد فولدت له أسامة

شآم بفتح الهمزة والمد فاباه اكثرهم الا في النسب انتهى والله أعلم

فعلى هذا انظر مافي بلاد الشام من الانبياء والصحابة والصالحين قال الحافظ العراقي « دمشق بلاد الانبياء وموطن الاصفياء من الصحابة والتابعين والاولياء » وبسندي الى النبي صلى الله عليه وسلم انه اخبر انه زويت له مشارق الارض ومغاربها وقال سيبلغ ملك امتي مازوى لي وانهم سيفتحون مصر وهي أرض يذكر فيها القيراط وان عيسى ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق . انتهى

واما فضائل الشام فكثيرة ومحاسنها جمة غزيرة ، وبركاتها مشهورة واخبار خيراتها مأثورة . ولهذا أطلقنا عنان القلم في غيضاتها وروضاتها وقطوفها الدانية للمتفكر في متنزهاتها ، وهيمنا الى الدور في تسلسل انهارها ونبهنا الاحداق في حدائق ازهارها

* * *

وقد ختمنا كتابنا بذكر الانبياء والصحابة والاولياء

والمشائخ والصالحين والعلماء العاملين وذكر المقابر ، فان كل انسان اليها صائر . ونحبس عنان جواد القلم في ميادين طرسه ، فان من دخل الى المقابر انقطعت اخباره بتواريه في رمسه

والله تعالى اسأل ان يؤنسنا بالقرآن العظيم في قبورنا وان ينقلنا منها الى الجنان بمحمد شفيعنا صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما يتارج شذاهما ملء الاكوان ويفوح ضوعهما على نشر الازهار وطي عرف الريحان ويكون كالنسيم في دوره بين الرياض والتنسيم فيكون آخر منتهاه أول مبتداه ان شاء الله تعالى بكرمه ومنه



فهرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة